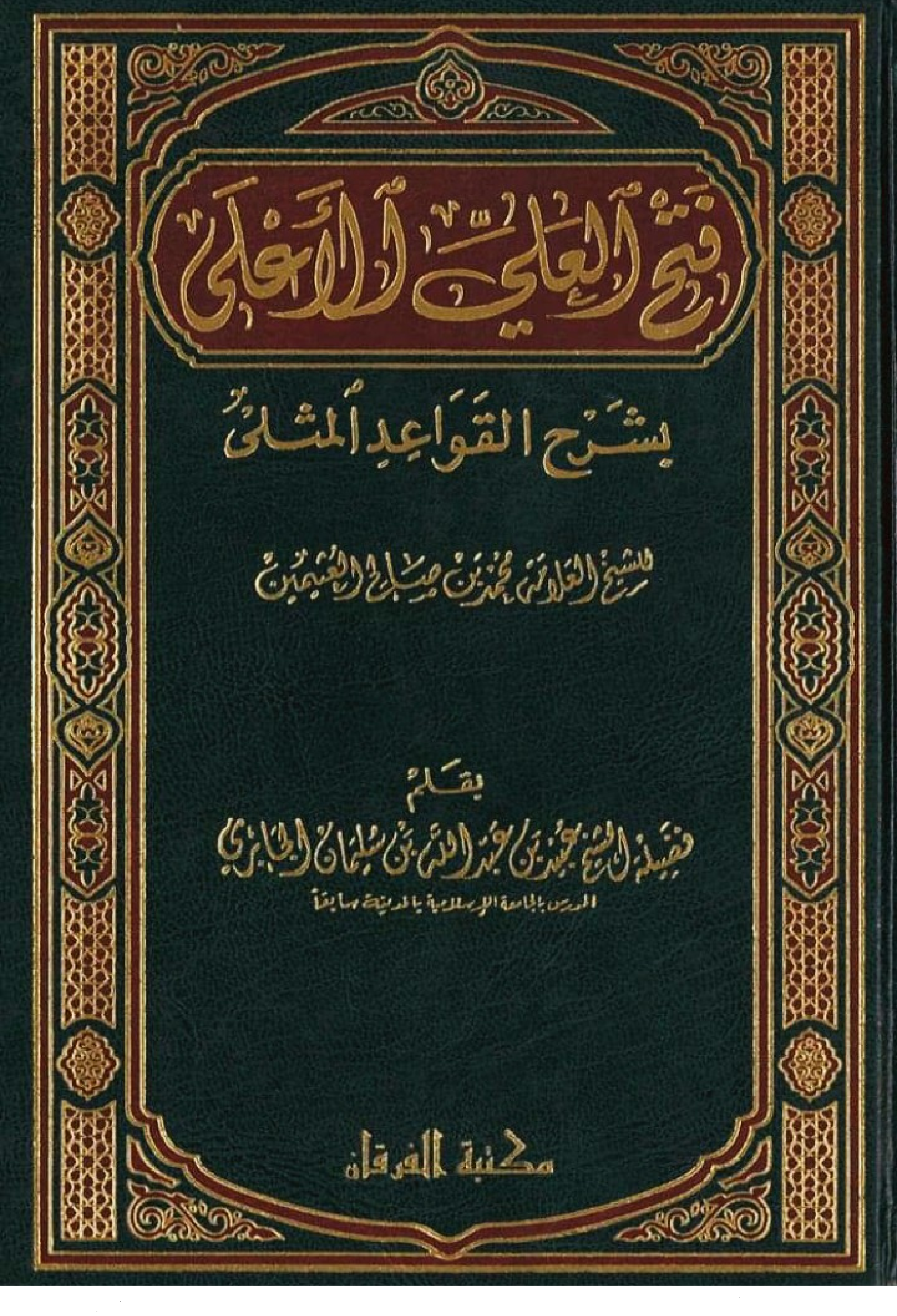

فتح العلي الأعلى
بشرح القواعد المثلى
للشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين
بقلم
فضيلة الشيخ عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري
المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة سابقاً
مكتبة الفرقان

فتح العلي الأعلى

بشرح القواعد المثلى

لِلشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين

بقلم

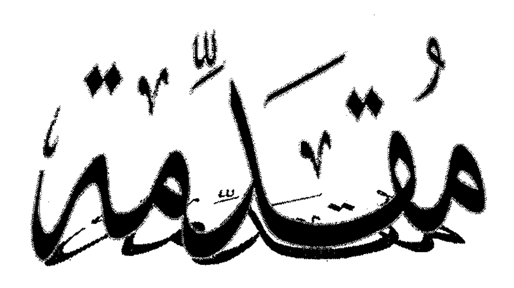
فضيلة الشيخ عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري

المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة سابقاً



مكتبة الفرقان





الحمد لله العلي الغفار وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن المتكبر العزيز الجبار وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم المصطفين الأخيار صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الأطهار والبررة الخيار وسلم تسليما كثيرا ما تعاقب الليل والنهار، أما بعد:

فإنه قد اتفق لي أن استعرض في مجالس متعددة مع طلاب العلم، الكتاب المبارك الموسوم بالقواعد المثلى لمصنفه سماحة الإمام العلامة الفقيه المجتهد الشيخ : محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - فأعجبت بهذا


فتح العلي الأعلى
بشرح القواعد المثلى

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م



مكتبة الفرقان

الفرع الرئيسي
الإمارات العربية المتحدة - عجمان - ص.ب: ٢٠٢٨٨
هاتف: ٠٠٩٧١٦٧٤٤٤٤٣٥ - فاكس: ٠٠٩٧١٦٧٤٢٤٠٩٤
- فرع الشارقة: هاتف وفاكس: ٠٠٩٧١٦٥٦٢٦٣٣٦
- فرع المدينة المنورة: شارع الملك عبد العزيز النازل
الجوال: ٠٥٢٥٩١٤٦٧
- فرع مصر: القاهرة - عين شمس - هاتف: ٠١٠٥٦١٨١٧٩
- فرع باكستان: كراتشي - منطقة مترو ول - تلفاكس: ٠٠٩٢٢١ ٨١٤٣٩٨٤
موقع المكتبة على شبكة الإنترنت: www.furqanalsalafia.com
E-mail : furqan1@emirates.net.ae

الكتاب كثيراً وأخذت منه فوائد جمة لما تضمنه هذا الكتاب من صحـــة المعتقد وسداد المنهج الذي قرره مؤلفه في محتواه بالدليل مـــن الكتـــاب والسنة، وكيف لا ينال هذا الكتاب المبارك مني هذه المكانة ؟! بل أظنـــه نائلاً نفس المكانة عند كل من خالطت السنة بشاشة قلبه وتشرب بهـــا في لحمه ودمه وعروقه والشيخ - رحمه الله - في جميع ما يقرره في أحكـــام الدين الاعتقادية منها والعملية مشهودٌ له عند من يعرف قدره من طـــلاب العلم ومن علماء أهل السنة بجودة التحقيق ودقة الاستدلال والرســـوخ في العلم وسعة الاطلاع ودحض الباطل و الذب عن السنة وأهلها معتمـــدا على نصوص الكتاب والسنة وإجماع الأئمة ، فعزمت إن شاء الله علـــى شرح هذا الكتاب المبارك الذي لم اعلم حتى الساعة مصنفا مثله مع صغـــر حجمه شرحا مختصرا وسميته " **فتح العلي الأعلى بشرح القواعد المثلى** " وقد ضمنت هذا الشرح ما يأتي :

أولاً : تلخيص القاعدة .

ثانياً : تفصيل ما احتوته من مسائل، اصطلحت عليـــــها أثنـــاء التلخيص.

ثالثا : أستشهد كثيراً بشواهد أخرى إضافة على ما دونه الشـــيخ - رحمه الله - في هذا المصنف الجيد وليس هذا مني استدراكاً على الشيخ - رحمه الله- بل إتمام للفائدة، وقد كان هذا الشرح الملخص الذي فهمناه

من هذا الكتاب المبارك مسجلاً على أشرطة فلما عزمت على طبعه قمت بالحذف منه والإضافة إليه حسب ما يستدعي المقام وضمن ما أضفته نبذة مختصرة عن حياة المصنف رحمه الله تعالى تشتمل على :

- **اسمه ونسبه .**
- **ولادته .**
- **طلبه للعلم .**
- **رحلاته العلمية .**
- **أشهر مشايخه .**
- **إنتاج الشيخ وآثاره العلمية .**
- **من فضائل الشيخ -رحمه الله- .**
- **منزلة الشيخ عند ولاة الأمر .**
- **طاعة ولاة الأمر عند الشيخ .**
- **منهج الشيخ -رحمه الله- .**
- **ثناء العلماء عليه .**
- **وفاته -رحمه الله- .**

وقد آن الأوان للشروع في المقصود والله المستعان وعليه التكلان وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ترجمة المصنف

اسمه ونسبه : هو أبو عبد الله محمد بن صالح بـــن محمـــد بـــن عثيمين الوهيبي التميمي .

ولادته: ولد الشيخ -رحمه الله- في مدينة عنيزة ، إحدى مـــدن القصيم في عام ١٣٤٧هـــ، في السابع والعشرين من شـــهر رمضـــان المبارك، ونشأ الشيخ في عائلة معروفة بالدين والاستقامة.

طلبه للعلم: تتلمذ أولاً على جده لأمه الشيخ/ عبد الرحمن بـــن سليمان آل دامغ -رحمه الله-، فقد قرأ عليه القرآن وحفظه في صغـره، ثم توجه لطلب العلم وبدأ بتعلم الخط والحساب ، وفنون الآداب .

وكان الشيخ بن عثيمين -رحمه الله - قد أوتي ذكاء في صغـــره، وهمة عالية في العلم وطلبه، وأصبح مزاحماً لكبار العلماء بركبه منذ الصغر ،منهم الشيخ العلامة الفقيه / عبد الرحمن بن ناصر السعدي الذي أقـــام اثنين من طلابه الكبار لتعليم الصغار، وهما الشـــيخ/ علـــي الصـــالحي ، والشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع، فقرأ المصنف عليـــهما " مختصـــر العقيدة الواسطية " ، و" منهاج السالكين في الفقـــه " كلاهمـــا للشـــيخ السعدي رحمة الله و"الآجرومية" و"الألفية" في النحو والصرف، ثم أصبـــح ملازماً للشيخ الفقيه العلامة عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- .

رحلاته العلمية : بمشورة من الشيخ علـــي الصـــالحي ، وبعـــد استئذان من الشيخ السعدي رحل الشيخ -رحمه الله- إلى الرياض لطلـــب

العلم حينما فتحت المعاهد العلمية وذلك عام ١٣٧٢هـ، ودخل السنة الثانية من المعهد العلمي آنذاك، وفي القسم الخاص منه، ثم التحق بكلية الشريعة منتسباً، وتخرج فيها .

وبعد وفاة الشيخ السعدي وذلك عام ١٣٧٦هـ، رشح بعض المشايخ لإمامة المسجد الكبير إلا أنهم لم يستمروا على ذلك إلا مدة قصيرة، فرشح الشيخ بن عثيمين -رحمه الله- لإمامة المسجد الكبير، وعندها بدأ الشيخ بواجباته أقام الدروس والمواعظ والخطب مكان شيخه.

منصب القضاء : عرض على الشيخ تولي القضاء، من قبل مفتي المملكة العربية السعودية آنذاك العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله- ، وألحّ على فضيلته بتوليه القضاء، بل وأصدر قراراً بتعيينه رئيساً للمحكمة الشرعية في الأحساء، فطلب منه الإعفاء، وبعد مراجعات واتصالات سمح بإعفائه من منصب القضاء.

أشهر مشايخه :

١- العلامة الفقيه الأصولي المفسر / عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله- ، وهو الذي لازمه طويلاً وتأثر بمدرسته كثيراً ، وعنه أخذ أغلب الفنون، وبه أصبح جامعاً للعلوم .

٢- عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله-، وقد تتلمذ عليه الشيخ لما كان في الرياض طالباً في المعهد العلمي، وقرأ عليه صحيح البخاري، وبعض رسائل الشيخ بن تيمية -رحمه الله-،

وبعض الكتب الفقهية، قال الشيخ بن عثيمين -رحمــه الله- : " لقد تأثرت بالشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- من جهـــة العناية بالحديث، وتأثرت به من جهة الأخلاق أيضاً، وبسط نفسه للناس " .

٣- الشيخ الأصولي المفسر اللغوي / محمد الأمين بن محمـــد المختـــار الجكني الشنقيطي -رحمه الله-، ودرس عليه الشـــيخ في المعـــهد العلمي، يقول عنه بن عثيمين -رحمه الله-:" فلما ابتـــدأ الشـــيخ الشنقيطي درسه، انهالت علينا الدرر، من الفوائد العلمية من بحـــر علمه الزاخر، فعلمنا أننا أمام جهبذ من العلمـــاء، وفحـــل مـــن فحولها، فاستفدنا من علمه، وسمته، وخلقه، وزهده، وورعه" .

٤- الشيخ علي بن حمد الصالحي -رحمه الله- .

٥- الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع -رحمه الله- .

٦- الشيخ عبد الرحمن بن علي عودان -رحمه الله- قرأ عليه الشـــيخ بعض كتب الفقه، ودرس عليه علم المواريث .

٧- الشيخ عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ -رحمه الله-.

إنتاج الشيخ وآثاره العلمية : لم يتصد الشيخ للتأليف إلا بعـــد الثلاثين من عمره، وآثاره العلمية منتشرة في أرجاء المعمـــورة، بواســطة الوسائل الحديثة المقروءة منها والمسموعة والمرئية، وكان جهد الشيخ غـير

منحصر في علم معين ، بل له باع في الفنون كلها، تأليفـــاً وتدريســـا، شرحاً وتعليقاً .

من أشهر مؤلفاته -رحمه الله- :

١- فتح رب البرية بتلخيص الحموية، وهو أول كتاب ألفه الشـــيخ -رحمه الله- .

٢- الأصول في علم الأصول .

٣- مصطلح الحديث .

٤- مجالس رمضان .

٥- تسهيل الفرائض .

٦- شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، لموفق الدين بن قدامه المقدسي -رحمه الله- .

٧- عقيدة أهل السنة والجماعة .

٨- القواعـــد المثلـــى في صفـــات الله وأسمـــاءه الحســـنى **(وهو هذا الكتاب الذي قمنا بشرحه)** .

٩- الضياء اللامع في الخطب الجوامع .

١٠- أصول التفسير .

١١- نيل الأرب من قواعد بن رجب .

١٢- منظومة في أصول الفقه .

١٣- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله .

١٤- الشرح الممتع لزاد المستقنع .

١٥- القول المفيد شرح كتاب التوحيد .

وهناك مؤلفات كثيرة هذه من أهمها، وهناك الكثير من الأشـــرطة المسجلة في دروس الحرمين الشريفين وفي غيرهما، نافعة في بابها، مفيـــدة لطالبها .

من فضائل الشيخ -رحمه الله-: كـــان الشـــيخ -رحمـــه الله- مدرسة وحده، فكان نعم المربي على الإخلاص لله-تعالى-وبإخلاصـــه -رحمه الله-، جعل الله له القبول في الأرض، ويسر له انتشار علمه، وسـهل له السبل والوسائل .

وكان -رحمه الله- مع هذا معتصماً بالكتاب والسـنة، لا يحيـد عنهما ولا يرغب إلى غيرهما، محذراً من البدعة، مرهباً عنها.

ومن فضائله المشهورة ، منهجه العلمي المحكم، وروعة تأصيلاتـه العلمية المتقنة، الميسرة للعلم وفهمه، حتى أقبل الناس علـــى شـروحاته وتعليقاته، وأصبحت دروس الشيخ -رحمه الله- مفاتيح للعلوم .

ومن فضائله -رحمه الله- أنه كان عالم أمـة، ولم يكـن عـالم خاصة، فكان يستفيد من علمه الخاص والعام، القريب والبعيـد، عـبر الإذاعة والأشرطة، والهاتف، وغير ذلك من الوسائل الحديثة .

ومن فضائله بذله وقته ونفسه وماله لديـــن الله -ﻷ-، فكـــان حريصاً على الدروس المقامة بمسجده، ملازماً لها، إلا أنه لم يكن مكتفيـــاً بذلك، بل كان إذا سافر إلى الرياض أو مكة أو المدينة يقيـــم الحلقـــات العلمية، والمحاضرات الدعوية، والمواعظ الإرشادية، بل وكان يذهـــب إلى القرى والهجر، ويحضر المحافل العامة، ويشهد المناسبات، ويدير النـــدوات، كل ذلك في سبيل الدعوة إلى الله -ﻷ- .

ومن فضائله حسن خلقه، ولطف معاملته، ولا يستغرب الطيـــب من معدنه، وكان الشيخ -رحمه الله- دائم التبسم، وإذا مازح مازح حقاً.

ومن فضائله -رحمه الله- ورعه وزهده في الدنيا، ويظهر ذلـــك على ملبسه ومأكله ومركبه، مع أنه كان بإمكانه أن يلبس أحسن الثيـــاب ويتفاخر بها وبأنواع من المراكب، لكنه أعرض عنها، وعلم أنها من زهـــرة الحياة الدنيا، وقد طولب الشيخ بأن يتولى منصب القضاء فلم يرغب ورعا وزهدا .

منـــزلة الشيخ عند ولاة الأمر: لقد كان للشيخ -رحمه الله-عند ولاة أمر هذه البلاد المباركة، منزلة خاصة، وأنزلوا الشيخ منزلته اللائقـــة به، فلا يذهب ملك، أو أمير، أو وزير إلى القصيم إلا كان من أولويـــات مهامه زيارة الشيخ -رحمه الله- في منـــزله .

ومن ذلك إكرام ولاة الأمر له بمنحه جائزة الملك فيصل العالمية على جهوده في الدعوة إلى الله ونشر العلم وبذله في سبيل الله.

ومن ذلك بناء المسكن الخاص لطلبة الشيخ -رحمه الله- .

وقد سافر الشيخ للعلاج إلى أمريكا بمشورة مـــــن ولاة الأمـــر، وبرعاية منهم، ولما توفي -رحمه الله- كان أول من فجع بـــه هـــم ولاة الأمر، وكانوا من أوائل المعزين لذويه وللأمة .

طاعة ولاة الأمر عند الشيخ: قد ظهر في هذه الأزمنة قوم مـــن الخوارج يدعون عدم وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر، أما الشيخ بـــن عثيمين -رحمه الله- ، فكان المثل الأعلى في امتثاله لأوامر الشرع كلـــه، ومن ذلك ما جاء في الشرع من السمع والطاعة لولاة الأمر بـــالمعروف، وعدم نزع يد الطاعة إلا أن نرى كفرا بواحا فيه عندنا من الله برهــــان، وكان الشيخ -رحمه الله- مطيعاً لولاة الأمر، ناصحاً لهم، مضى في ذلـــك على منهج السلف الصالح، ومن اقتفى أثرهم، وكان الشيخ -رحمـــه الله- يولي هذا الأمر عناية فائقة، ويؤكد علية في مناسبات كثــــيرة، وينصـــح الشباب من التهور، والعمل بالعواطف دون النظر إلى الشرع، **يقـــول - رحمه الله-**:" وأما النصيحة لأئمة المسلمين فهو صـــــدق الــــولاء لهـــم، وإرشادهم لما فيه خير الأمة في دينها ودنياها، ومساعدتهم في إقامة ذلـــك، والسمع والطاعة لأوامرهم، ما لم يأمروا بمعصية الله، واعتقاد أنهم أئمــــة متبعون فيما أمروا به، لأن ضد ذلك هو الغش والعناد لأوامرهم، والتفرق والفوضى التي لانهاية لها، فإنه لو جاز لكل واحد أن يركب رأســــه، وأن يعتز برأيه ويعتقد أنه هو المسدد للصواب، وهو المحنك الـــذي لا يدانيـــه

أحد، لزم من ذلك الفوضى والتفرق والتشتت، ولذلك جاءت النصـوص القرآنية، والسنة النبوية بالأمر بطاعة ولاة الأمور، لأن ذلك من النصيحة لهم، التي بها تمام الدين"(١).

ويقول أيضاً :" إن من حقوق الرعاة على رعيتهم أن ينـاصحوهم ويرشدوهم، وأن لا يجعلوا من خطئهم إن أخطئوا سلما للقدح فيـــهم، ونشر عيوبهم بين الناس، فإن ذلك يوجب التنفير عنـــهم، وكراهتـــهم، وكراهة ما يقومون به من أعمال، وإن كانت حقا، ويوجب عدم السمع والطاعة لهم، وأن من الواجب على كل ناصح وخصوصاً من ينصح ولاة الأمور أن يستعمل الحكمة في نصيحته، ويدعوا إلى سبيل ربه بالحكمـة والموعظة الحسنة، فإن رأى ممن ينصحه من ولاة الأمور قبـــولاً للحـق وانقياداً له فذلك، وإلا فليتثبت في الأمر، وليتحقق من وقوع الخطأ منـه، وإصراره عليه، ثم ليرفعه إلى من فوقه إن كان في ذلك مصلحـة وإزالـة للظلم، كما كان السلف الصالح يشكون ولاتهم إلى مـــن فوقـهم، إذا رأوهم قد سلكوا مالا ينبغي "(٢).

منهج الشيخ -رحمه الله-: كان الشيخ -رحمه الله- سـلفيا في عقيدته، ومنهجه، وسلوكه، وتعليمه، وتعلمه، وكان يحذر مـن البـدع صغيرها وكبيرها، ومما كان يحذر منه الحزبية المقيتة، ويدعو النـاس

---

(١) الضياء اللامع ص٢١٣ .

(٢) الضياء اللامع ص ٢١٥ .

إلى كتاب الله وسنة رسول الله -ﷺ-، على وفق منهج السلف الصـــالح رحمهم الله .

يقول الشيخ -رحمه الله-: "يجب على طالب العلم أن يتخلـــى عن الطائفية، والحزبية، بحيث يعقد الولاء والبراء على طائفة معينـــة، أو على حزب معين، فهذا لا شك خلاف منهج السلف، السلف الصـــالح ليس أحزابا، بل هم حزب واحد، ينضوون تحت قـــول الله -عز وجل- ﴿ **هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ** ﴾، فلا حزبية ولا تعـــدد، ولا مـــوالاة ولا معاداة إلا على حسب ما جاء في الكتاب والسنة، فمن الناس مثلاً مـــن يتحزب إلى طائفة معينة، يقرر منهجها، ويستدل عليه بالأدلة الـــتي قـــد تكون دليلاً عليه، وقد تكون دليلاً له، ويحامي دونها، ويضلل من ســـواه، حتى وإن كانوا أقرب إلى الحق منه، ويأخذ بمبدأ : من ليس معـــي فـــهو علي، وهذا مبدأ خبيث، لأن هناك وسطاً بين أن يكون لك أو عليـــك وإذا كان عليك بالحق فليكن عليك، وهو في الحقيقة معك، لأن النـــبي-ﷺ- قال:((انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً))، ونصر الظالم أن تمنعـــه مـــن الظلم، فلا حزبية في الإسلام، ولهذا لما ظهرت الأحزاب في المســـلمين، وتنوعت الطرق، وتفرقت الأمة، وصار بعضهم يضلل بعضا، ويأكل لحـم أخيه ميتاً، لحقهم الفشل، كما قـــال تعـــالى: ﴿ **وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ** ﴾، ولذلك نجد بعض طلاب العلم يكون عند شيخ مـــن

المشايخ، ينتصر لهذا الشيخ بالحق والباطل، ويعادي من سواه، ويضلله ويبدعه، ويرى أن شيخه العلم المصلح، ومن سواه إما جاهل أو مفسد، وهذا غلط كبير، بل يجب أخذ ما وافق الكتاب والسنة، وقول أصحاب رسول الله - ﷺ -"(١).

ثناء العلماء عليه : الشيخ -رحمه الله- معروف بعلمه، وخلقه، ومنهجه، ومن العلماء المبرزين الذين شهدوا له بذلك، شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله-، والشيخ ابن باز، والشيخ الألباني، والشيخ مقبل بن هادي الوادعي، والشيخ عبد العزيز آل الشيخ مفتي المملكة العربية السعودية حالياً، والشيخ العلامة عبد المحسن العباد، وغيرهم من العلماء المعاصرين، وكان -رحمه الله- من العلماء الموثوقين، والأئمة المتبعين .

ولذلك عين في هيئة كبار العلماء، وكان يحضر اجتماعهم في الرياض والطائف وغيرهما .

وفاته : توفي رحمه الله تعالى وغفر له وأسكنه فسيح جناته ونفعنا والمسلمين بعلمه في يوم الأربعاء الخامس عشر من شهر شوال عام واحد وعشرين وأربعمائة وألف للهجرة النبوية.

---

(١) كتاب العلم ص ٨١ .

وبموته رحمه الله أفل النجم الوضاء واستحكمت غربة الغرباء وحق لكل مسلم أن يقول :

خبت مصابيح كنا نســـتضئ وطوحت للمغيب الأنجم الزهــو

واســـتحكمت غربـــة الإســـلام شمس العلوم التي يـــهدى بهـــا



مقدمة المصنف

قال رحمه الله تعالى :

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شـــريك لــه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابـــه، ومن تبعهم بإحسان، وسلم تسليماً.

وبعد:

فإن الإيمان بأسماء الله وصفاته، أحد أركان الإيمان بالله- تعـلى- ، وهي: الإيمان بوجود الله - تعالى- والإيمـــان بربوبيتـــه، والإيمـــان بألوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته . وتوحيد الله به، أحد أقسام التوحيد الثلاثة :

١. توحيد الربوبية.
٢. توحيد الألوهية.
٣. توحيد الأسماء والصفات.

فمنـــزلته في الدين عالية، وأهميته عظيمة، ولا يمكن لأحـــد أن يعبد الله على الوجه الأكمل، حتى يكون على علمٍ بأسماء الله - تعـــالى - وصفاته، ليعبده على بصـــيرة، قـــال الله - تعـــالى -: ﴿ وَلِلَّهِ

ﭐلۡأَسۡمَآءُ ﭐلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ ﴾(١)، وهذا يشمل: دعاء المسألة، ودعاء العبادة.

فدعاء المسألة: أن تقدم بين يدي مطلوبك مـــن أسمـــاء الله – تعالى – ما يكون مناسباً، مثل أن تقول: يا غفور اغفر لي. ويا رحيـــم ارحمني. ويا حفيظ احفظني. ونحو ذلك.

ودعاء العبادة: أن تتعبد لله – تعالى – بمقتضى هذه الأسمـــاء، فتقوم بالتوبة إليه لأنه التواب، وتذكره بلسانك لأنه السميع، تتعبد لـه بجوارحك لأنه البصير. وتخشاه في السر لأنه اللطيف الخبير، وهكـــذا. ومن أجل منـــزلته هذه، ومن أجل كلام الناس فيه بالحق تارة وبالباطل الناشئ عن الجهل أو التعصب تارة أخرى، أحببت أن أكتب فيه مـــا تيسر من القواعد، راجياً من الله – تعالى– أن يجعل عملـــي خالصـــاً لوجهه، موافقاً لمرضاته، نافعاً لعباده. وسميته " **القواعد المثلى في صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى** ".

ش / وأقول تضمنت خطبة الكتاب ومقدمة المؤلف – رحمـــه الله – أموراً هامة ينبغي التنبيه عليها والتفطن لها ومن تلك الأمور :

أولاً : البدء بحمد الله، وحمد الله هو الثناء عليه بصفاتـــه الجليلـــة وأفعاله الجميلة اعترافاً من الحامد.

---

(١) الأعراف، آية ١٨٠.

وهذه السنة التي درج عليها علماء الإسلام وأئمة الهدى هي تأسياً بالكتـاب الكريم ، فإن أول سورة في المصحف هي الفاتحة التي هي السبع المثاني والقرآن العظيم وما أنزل الله في القرآن ولا في التوراة ولا في الإنجيل مثلها ، صح في ذلكم الخبر عن النبي ﷺ(١)، وقد ذكر الحمد في القران أكثر من أربعين مرة، ومن تلكـم المواضع التي ذكر فيها الحمد في القران الكريم فواتح أربع سور غير الفاتحـة وهي : الأنعام، والكهف، وسبأ، وفاطر، فكل السور الخمس يذكـر الله سبحانه وتعالى بعد افتتاحها بالحمد موجب حمده والثناء عليه ففي سـورة الفاتحـة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾(٢)، وفي سـورة الأنعـام: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾(٣)، وهكـذا فإن الناظر في هذه السور الخمس نظرة تأمل واستبصار وتفقه في القـران

(١) عن أبي سعيد بن المُعلّى ، قال : كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلـم أجبه فقلت : يارسول الله إني كنت أصلي فقـال : " **ألم يقـل الله اسـتجيبوا لله و للرسول إذا دعاكم** " ثم قال لي : **لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد** " ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له : ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن ؟ قال : (**الحمد لله رب العلمين**) **هي السبع المثـاني ، و القرآن العظيم الذي أوتيته**، أخرجه البخاري، كتاب التفسير ، باب ماجاء في فاتحـة الكتاب ، ج٩ ص٥ رقم : ٤٤٧٤ .

(٢) سورة الفاتحة، الآيات ٢-٣-٤.

(٣) سورة الأنعام، آية ١.

الكريم يجد ذلك واضحاً جلياً - أعني موجب الحمد - .

ثانياً: اتبع المصنف رحمه الله الثناء على الله بحمده بأمور وهـــي : الاستعاذة بالله والاستعانة به واستغفاره والتوبة إليه، وهذه الأربع مناسبة اتباعها للحمد يدل على اعتراف العبد بفضل الله عليه وان الله هو الغـــني وان العبد مهما يكن هو فقير إلى الله سبحانه وتعالى مفتقـــراً إلى عفـــوه ورحمته وان يكون الله معه في جميع أحواله شدةً ورخاءً وعسراً ويســـراً كما تدل على خضوع المتكلم لله عز وجل ومن كان هذا حاله فحـــري أن يرفعه الله .

ثالثاُ: الشهادة لله سبحانه تعالى بالوحدانيـــة ولنبيـــه بالرســـالة وبتحقيق هاتين الشهادتين يتم للعبد تجريد الإخلاص لله وحده وتجريـــد المتابعة للنبي ﷺ، وإن قال قائل: كيف يحقق المرء هاتين الشهادتين؟ قلنـــا: جوابك واضح وسهل وميسور — أعني لمن يسره الله عليـــه وإن كـــان عظيماً- فتحقيق شهادة أن لا اله إلا الله انه لا معبود بحق إلا الله قـــولاً واعتقاداً وعملاً وعلماً وتحقيق شهادة أن محمدا رسول الله يتضمن **أربعـــة** أمور:

أحدها : طاعته فيما أمر .

وثانيها: تصديقه فيما اخبر.

وثالثها: اجتناب ما نهى عنه وزجر .

ورابعها: ألا يعبد الله إلا بما شرع.

رابعاً : بيان سبب تأليف الكتاب وحاصله أمران :

أحدهما : منــزلة الإيمان بصفات الله تعالى ذكره مـــن الدين.

وثانيهما : هو خوض الناس وتكلمهم فيه وليس كـــل المتكلمين على هدى وصواب ، فمنهم أهل الحق وهـــم أهـــل السنة الذين عرفوا قدر الله سبحانه وتعـــالى فعظمـــوه حـــق تعظيمه فاعتقدوا ما تضمنه الكتاب الكريم وصحيح سنة النبي ﷺ ، من أسماء الله وصفاته وأن ذلك حق على حقيقته يجـــب الإيمان به على ظاهره كما يجب صونه عن التحريف والتـــأويل و الخيالات الباطلة و الظنون الكاذبة ، ومن عدا أولئك فـــهم أهل الباطل معطلة ومحرفة ومؤوله أو مشبهة كل أولئك علـــى الباطل وليسوا على السنة ولا على صحة المعتقد، هـــم علـــى البدعة والضلال وقد جرت عادة أهل الحق أن يبينوا للنـــاس السنة و يذبوا عنها وينصروها بالكتابة والخطابـــة والمذاكـــرة كما جرت عادهم أن يحذروا من البدع والمحدثات وهم في هذا وذاك متبعون هدي رسول الله ﷺ وهدي الخلفـــاء الراشـــدين والسلف الصالح المهديين من أصحـــاب النـــبي ﷺ ، وأئمـــة التابعين ومن بعدهم ممن هو على نهجهم مـــن أهـــل القـــرون

المفضلة مثل : الأئمة الأربعة ، والسفيانين[١] ، والحمـادين[٢] ، والأوزاعي[٣] ، والشعبي[٤] ، وسعيد بن جبير[٥] ، وسعيد بـــن المسيب[٦] ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر[١]، وعروة بن الزبـير[٢]، و

(١) ١ – سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، أبو عبد الله ، الكوفي ، ثقة حافظ فقيـه عابد إمام حجة ، مات سنة احدى و ستين ومئة ؛ تقريب الهذيب للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دار العاصمة ، ص ٣٩٤ .
٢–سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي ، أبو محمد الكوفي ، ثقة حافظ ، مات سنة ثمان و تسعين ومئة ؛ ؛ تقريب التهذيب ، ص ٣٩٥.

(٢) ١ : حماد بن سلمة بن دينار البصري ، أبو سلمة ، ثقة عابد من كبار الثامنة، مـات سنة سبع و ستين ومئة ؛ ؛ تقريب التهذيب ، ص ٢٦٨ .
٢ : حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي ، أبو اسماعيل البصري ، ثقةثبت فقيـه ...، من كبار الثامنة ، .. مات سنة تسع وستين ومئة ؛ ... ، تقريب التهذيب ، ص ٢٦٨ .

(٣) الأوزاعي : عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي ، أبو عمرو ثقة مشهور فقيه ، ثقة جليل من السابعة ، مات سنة سبع و خمسين ومئة ؛ تقريب التهذيب، ص ٥٩٣ .

(٤) الشعبي : عامر بن شراحيل الشعبي ، أبو عمرو ، ثقة مشهور فقيه فاضل من الثالثة ، قال مكحول : ما رأيت أفقه منه ، مات سنة خمس ومئة ، تقريب التهذيب ، ص٤٧٦ .

(٥) سعيد بن جبير الأسدي مولاهم ، الكوفي ، ثقةثبت فقيه ، من الثالثة ، و روايته عـن عائشة و أبي موسى ونحوهما مرسلة ، قتل بين يدي الحجاج سنة خمـس وتسـعين و لم يكمل الخمسين ؛ تقريب التهذيب ، ص٣٧٤ .

(٦) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بـن مخـزوم القرشي المخزومي، أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار من كبار الثانية، اتفقوا على أن

أبي عبيد القاسم بن سلام(٣)، والليث بن سعد(٤)، وكل أولئــــك الذيـــن سميناهم ومن هو على نهجهم هم أئمة السلف وأهل السنة والجماعة وأهل الحديث والفرقة الناجية والطائفة المنصورة، فليس بدعــــاً إذاً أن يصنـــف أبو عبد الله الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله - هذا الكتاب في أسمـــاء الله وصفاته .

خامساً : بيان مترلة هذا الباب - أعني باب الأسماء والصفـــات - وأن مكانته من الدين عالية وعظيمة كيف لا ؟ والتوحيد الخـــالص مـــن شائبة الشرك والبدعة لا يتم للعبد، حتى ينضم إلي معتقـــده في توحيـــد الربوبية والألوهية توحيد الأسماء والصفات.

مرسلاته أصح المراسيل ......، قال ابن المديني : لا أعلم في التابعين أوسع علماً منـــه ، مات بعد التسعين ؛ تقريب التهذيب ، ص٣٨٨ .

(١) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق التيمي ، ثقة ، أحد فقهاء المدينة ، قال أيوب : ما رأيت أفضل منه ، من كبار الثالثة ، مات سنة ست ومئة على الصحيح ؛ تقريـــب التهذيب ، ص ٧٩٤ .

(٢) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي ، أبو عبـــد الله المـــدني ، ثقـــة فقيـــه مشهور من الثالثة ، مات سنة أربع و تسعين ؛ تقريب التهذيب، ص٦٧٤.

(٣) أبوعبيد القاسم بن سلام البغدادي، الإمام المشهور، ثقة فاضل، مصنف من العاشــــرة، مات سنة أربع وعشرين ومئتين؛ تقريب التهذيب، ص٧٩٠ .

(٤) الليث بن سعدبن عبد الرحمن الفهمي، أبوالحارث المصري، ثقة ثبت فقيه إمام مشــــهور، من السابعة، مات سنة خمس وسبعين ومئة؛ تقريب التهذيب، ص٨١٧.

سادساً: التنبيه إلى الدعاء بقسميه، وانه منه ما هو دعـــاء عبـــادة ومنه ما هو دعاء مسألة، فدعاء المسألة: هو سؤال العبد ربه ما يحتاجه من جلب نفع وكشف ضر ومن أمثلة ذلك: دعاء الكرب المشهور " **لا الـــه إلا الله الحليم العظيم، لا اله إلا الله رب العرش العظيم، لا اله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم**"[(1)].

وأما دعاء العبادة: فيتضمن شيئين: أحدهما : التعبد لله بالســؤال فإذا سألت يا أيها المسلم ربك : الزوجة الصالحة، والولد الصالح ، وقضاء الدين ، وشفاء المرض مثلاً ، فتقرب إلى الله بهذا السؤال ، ويحسن كمـــا ذكر الشيخ – رحمه الله – أن تقدم بين يدي سؤالك ما يناسب مطلوبـك من أسماء الله ، فتقول مثلاً : يا تواب تب عليّ ، ويا رحيم ارحمني ، ويـا غني أغنني .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري في كتاب الدعوات ، باب الدعاء عند الكـرب ؛ج ١٢ ، ص ٤٣٣ ، رقم ٦٣٤٥ ؛ ت بن باز ، ط : دار الفكر . و أخرجه مسلم في كتـــاب الذكر و الدعاء و التوبة و الاستغفار ، باب دعاء الكرب ، ج ٤ ص ٣٩٨ ، رقـــم ٢٧٣٠ ؛ ت : فؤاد عبد الباقي ، ط : دار الحديث القاهرة؛ نصه : عن ابن عبـاس أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب : ((**لا إله إلاّ الله العظيم الحليم ، لا إله إلاّ الله رب العرش العظيم ، لا إله إلاّ الله رب الســـماوات و رب الأرض ورب العــرش الكريم**)) .

والشيء الثاني: تمجيد الله سبحانه وتعالى وتقديسه بالأذكار المحضة التي ليس فيها سؤال وإنما تتضمن الثناء وصدق الالتجاء من العبد لربه كقولك : سبحان الله العظيم ، سبحان الله وبحمده ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير.

****

****

الباب الأول

قواعد في أسماء الله تعالى

القاعدة الأولى : أسماء الله - تعالى - كلها حسنى.

القاعدة الثانية : أسماء الله - تعالى - أعلام و أوصاف.

القاعدة الثالثة: أسماء الله _ تعالى _ إن دلت على وصف متعد تضمنت ثلاثة أمور، و إن دلت على وصف غير متعد تضمنت أمرين.

القاعدة الرابعة : دلالة أسماء الله _ تعالى _ على ذاته و صفاته تكون بالمطابقة و بالتضمن و بالالتزام.

القاعدة الخامسة: أسماء الله _ تعالى _ توقيفية لا مجال للعقل فيها.

القاعدة السادسة: أسماء الله _ تعالى _ غير محصورة بعدد معين.

القاعدة السابعة: الإلحاد في أسماء الله _ تعالى _ هو الميل بها عما يجب فيها

****

****

***

قال المصنف رحمه الله تعالى

القاعدة الأولى:

أسماء الله – تعالى – كلها حسنى: أي بالغة في الحسن غايته، قال الله – تعالى –: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾(١)، وذلك لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه، لا احتمالاً ولا تقديراً.

مثال ذلك: " الحي " اسم من أسماء الله – تعالى –، متضمن للحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم، ولا يلحقها زوال. الحياة المستلزمة لكمال الصفات من العلم، والقدرة، والسمع، والبصر وغيرها.

ومثال آخر: " العليم " اسم من أسماء الله متضمن للعلم الكامل، الذي لم يسبق بجهل، ولا يلحقه نسيان، قال الله – تعالى –: ﴿عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾(٢)، العلم الواسع المحيط بكل شئ جملة وتفصيلاً، سواء ما يتعلق بأفعاله، أو أفعال خلقه، قال الله –تعالى–: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا

---

(١) سورة الأعراف آية ١٨٠.

(٢) سورة طه، آية ٥٢.

هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾[(١)].

ومثال ثالث: " الرحمن" اسم من أسماء الله -تعالى، متضمن للرحمة الكاملة، التي قال عنها رسول الله ﷺ: " لله أرحم بعباده من هذه بولدها"[(٢)]، يعني أم صبي وجدته في السبي فأخذته وألصقته ببطنها وأرضعته. ومتضمن أيضاً للرحمة الواسعة التي قال الله عنها: ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ ﴾[(٣)]. وقال عن دعاء الملائكة للمؤمنين: ﴿ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا ﴾[(٤)]، والحسن في أسماء الله تعالى، يكون باعتبار كل اسم على انفراده، ويكون باعتبار جمعه إلى

---

(١) سورة الأنعام آية ٥٩.

(٢) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم على النبي ﷺ سبي فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها تسقي إذ وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها و أرضعته فقال لنا النبي ﷺ: أترون هذه طارحة ولدها في النار ؟) قلنا لا وهي تقدر على أن لا تطرحه فقال: ((الله أرحم بعباده من هذه بولدها)) ؛ أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الولد و تقبيله و شمه، ج١٢ ص٣٦، رقم ٥٩٩٩. وأخرجه مسلم، ك:التوبة، باب: سعة رحمة الله، و أنها سبقت غضبه، رقم: ٢٧٥٤،ت:فؤاد عبد الباقي،ج٤، ط١، دار الحديث.

(٣) سورة الأعراف، آية ١٥٦.

(٤) سورة غافر، آية ٧.

غيره فيحصل بجمع الاسم إلى الآخر كمالٌ فوق كمال.

مثال ذلك : ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، فإن الله تعالى يجمع بينهما في القرآن كثيراً، فيكون كل منهما دالاً على الكمال الخاص الذي يقتضيه، وهو العزة في العزيز، والحكم والحكمة في الحكيم، والجمع بينهما دال على كمال آخر وهو أن عزته تعالى مقرونة بالحكمة، فعزته لا تقتضي ظلماً وجوراً وسوء فعل، كما قد يكون من أعزاء المخلوقين، فإن العزيز منهم قد تأخذه العزة بالإثم فيظلم ويجور ويسئ التصرف. وكذلك حكمه – تعالى – وحكمته مقرونان بالعز الكامل بخلاف حكم المخلوق وحكمته، فإنهما يعتريهما الذل.

ش / : هذا شروع من الشيخ – رحمه الله – فيما صنف كتابه هذا من اجله فبدأ أولا بالأسماء، أسماء الرب جل وعلا وقد تضمنت هذه القاعدة وهي أولى القواعد في الباب مسائل عدة:

المسألة الأولى:

بيان أن الرب سبحانه وتعالى له الأسماء الحسنى وقد ذكر الشيخ – رحمه الله– دليل هذه المسألة ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾. تمامها ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟

يَعْمَلُونَ﴾[١]، يقول ابن كثيرفي تفسيره: { عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ((**إن لله تسعة وتسعين اسماً , مائة إلا واحداً ,، من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر**)) أخرجاه في الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن أبي الزناد، عن الأعرج، عنه. و رواه البخاري عن أبي اليمان عن شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد به. و أخرجه الترمذي، عن الجوزجاني، عن صفوان بن صالح، عن الوليد بن مسلم، عن شعيب فذكر بسنده مثله، و زاد بعد قوله: ((**يحب الوتر**)): هو الله الذي لا إله إلا هو(إلى آخره) و قال الترمذي هذا حديث غريب.

وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة، ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث. و رواه ابن حبان في صحيحه، من طريق صفوان، به. و قد رواه ابن ماجة في سننه، من طريق آخر، عن موسى بن عقبة، عن الأعرج، عن أبي هريرة مرفوعا، فسرد الأسماء كنحو ما تقدم بزيادة و نقصان، و الذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه، و إنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم و عبد الملك بن محمد الصنعاني، عن زهير بن محمد أنه بلغه عن غير واحد

---

(١) سورة الأعراف آية ١٨٠.

من أهل العلم أنهم قالوا ذلك، أي: أنهم جمعوها من القرآن كما ورد عن جعفر بن محمد و سفيان ابن عيينة و أبي زيد اللغوي، و الله أعلم.

ثم ليعلم أن الأسماء الحسنى ليست منحصرة في التسعة و التسعين، بدليل ما رواه الإمام أحمد في مسنده، عن يزيد بن هارون، عن فضيل بن مرزوق، عن أبي سلمة الجهني، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((**ما أصاب أحداً قط هم و لا حزن فقال: اللهم، إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو علمته أحد ا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، و نور صدري، و جلاء حزني، و ذهاب همي، إلا أذهب الله همه و حزنه و أبدل مكانه فرحاً**)) فقيل: **يا رسول الله، أفلا نتعلمها ؟ فقال:** ((**بلى، ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها**)) [(١)]. و قد أخرجه الإمام أبو حاتم بن حبان البستي في صحيحه بمثله. و ذكر الفقيه الإمام أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية في كتاب " الأحوذي في شرح الترمذي " أن بعضهم جمع في الكتاب و السنة من أسماء الله ألف اسم، فالله أعلم.

و قال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى: (و ذروا الذين يلحدون في

---

(١) الحديث صحيح: السلسلة الصحيحة للألباني ــ رحمه الله تعالى ــ رقم: ١٩٩، المعارف، الرياض.

أسمائه)، قال: إلحاد الملحدين: أن دعوا ((اللات)) في أسماء الله. و قال ابن جريج، عن مجاهد: (و ذروا الذين يلحدون في أسمائه)، قال: اشتقوا " اللات " من الله، و أشتقوا (العزى) من العزيز. و قال قتادة: (يلحدون): يشركون. و قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: (الإلحاد): التكذيب و أصل الإلحاد في كلام العرب: العدل عن القصد، و الميل و الجور و الانحراف، و منه اللحد في القبر، لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمت الحفر } ا. هـ. ونظير آية الأعراف هذه الدالة صراحة على أن أسماء الرب كلها حسنى قوله جلّ وعلا: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[1].

قال ابن سعدي:{ ﴿لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ أي: له الأسماء الكثيرة الكاملة الحسنى. من حسنها، أنها كلها، أسماء دالة على المدح. فليس فيها اسم لا يدل على المدح والحمد. ومن حسنها، أنها ليست أعلاماً محضة، وإنما هي أسماء و أوصاف. ومن حسنها، أنها دالة على الصفات الكاملة، و أن له من كل صفة،أكملها، وأعمها، وأجلها. ومن حسنها، أنه أمر العباد أن يدعوه بها، لأنها وسيلة مقربة إليه، يحبها، ويحب

(١) سورة طه، آية ٨.

من يحبها، ويحب من يحفظها، ويحب من يبحث عن معانيها ويتعبد له بها، قال تعالى: ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ }[(١)] ا. هـ.

المسألة الثانية:

معنى الحسن في أسماء الرب عز وجل ما هو؟ أو معنى كلمة حسنى، ذكره الشيخ وفسره أي بالغُ في الحسن غايته، والمعنى انه ليس فوق حسن أسماء الرب عز وجل حسن، فإذا وجد حسنٌ في أسماء بعض المخلوقين، فذلك الحسن أولاً: هو دون حسن أسماء الرب جل وعلا، و ثانياً: معطي هذا الحسن هو الله سبحانه وتعالى.

المسألة الثالثة:

الاستدلال على حسن أسماء الرب سبحانه وتعالى بما تضمنته من صفات الكمال. أقول: والجلال والجمال، وقد ذكر الشيخ عدة أمثلة واضحة من تدبرها حق تدبرها وشرح الله صدره لصحة المعتقد وسداد المنهج، يعلم من خلال هذه الأمثلة التي ذكرها الشيخ وما تحتويه من أسماء الرب التي تضمنتها أمثلته - رحمه الله - من صفات الكمال، يعلم تمام العلم أن كل اسم من أسماء الرب عز وجل يتضمن صفة ليس فيها نقصٌ بوجه من الوجوه. وهذه قاعدة عامة فما ذكره الشيخ لا أعلق عليه لأنه لا مزيد عليه ولكن آتي بأمثلة أخرى، فاسم الرب الكريم يتضمن الكرم العام، الشامل لجميع المخلوقات، كيف لا وهو سبحانه وتعالى كما صح

---

(١) في تفسيره: تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج ٣، ص ٢٢٥.

عن نبيه ﷺ [١] أنه ينفق،يده سحاء الليل والنهار وأن خزائنه لا تنفد، توافق على ذلك الكتاب والسنة. وهاهنا تنبيه لطيف وهو في المسألة الرابعة.

هذه المسألة الرابعة:

تتضمن إيضاحاً لكمال حسن أسماء الرب عز وجل مجتمعة ومنفردة، فإن كل اسم من أسماء ربنا جلّ وعلا، جاء به الكتاب الكريم أو صحت به سنة رسولنا ﷺ يتضمن غاية الحسن الذي ليس فوقه كمال، فإذا انضم اسمان من أسماء ربنا إلى بعضهما حصل كمالٌ فوق الكمال، وإيضاح ذلك: مما ذكره الشيخ - رحمه الله - في" العزيز الحكيم". فإنك إذا لفظت بالعزيز استبان لك كمال العزة، وهو كمال القوة والمنعة وأن الله تعالى لا يغلبه غالب، وكذلك الحكيم، فإنه متضمن للحكمة البالغة، والحكم المبني على مشيئة نافذة وحكمة بديعة. فالحكم سواءً كان قدراً أم شرعاً فحكمه سبحانه وتعالى أعدل الأحكام وأصدق الأحكام وأرحم الأحكام لجميع الأنام، فإذا انضم العزيز والحكيم إلى بعضهما حصل في

---

(١) قال البخاري حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « قال الله عز وجل: أَنفق أُنفق عليك وقال يد الله ملأى لا تغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار وقال أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض؟ فإنه لم يغض ما في يده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع ». أخرجه البخاري، ك: التفسير، باب قوله: (وكان عرشه على الماء)، ج٩، ص ٢٥٦، رقم ٤٦٨٤.

نفس المؤمن كمال آخر وهو أن عزته سبحانه وتعالى مبنية على الحكمة، فليس فيها جور ولا ظلمٌ ولا حيفٌ، بل هي عزة عدل وإنصاف، وكذلك حكمه وحكمته مقترنان بالعزة بخلاف المخلوقين فإن كثيراً منهم من عزته خالية من الحكمة، بل فيها ظلم وجور وحيف وبطش، ومنهم من تكون عنده حكمة لكن هذه الحكمة لمصلحة أو - يعني تكميل نقص - فليست هي مبنية على العزة والاستغناء فقد ينتهج المخلوق الحكمة للمدارة، والمدافعة، واستجلاب، العواطف، والشهرة، والذكر الحسن، وتقريب الناس منه، أما الرب جلَّ جلاله فإنه غني عن ذلك كله فحكمه مبني على عزته وعزته مبنية على حكمته.

المسألة الخامسة:

قوله تعالى ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ فيها ثلاثة أمور:

إحدها: النص الصريح على اختصاص الرب تعالى ذكره بعلم الغيب واستئثاره به، وذلك بالإخبار أنه عنده مفاتيح الغيب، جمع مفتح.

وهي خزائنه، أو جمع مفتاح وهو ما يتوصل إليه به، وقد جاء تفسير مفاتيح الغيب في آية لقمان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ وبيان

ذلك فيما أخرجه الشيخان، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « مفاتح الغيب خمس: إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير ».

ثانيها: سعة علم الرب جلّ ثناؤه وتقدست أسماؤه، وإحاطة علمه بجميع مخلوقاته، في البر، والبحر، وفي ظلمات الأرض، فلا يعزب عن علمه في الأرض، ولا في السماء، مثقال ذرة.

ثالثها: في قوله ﴿ إِلَّا فِي كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ وجوب الإيمان بأن كل ما يجري في الكون قد سبق به علمه، وجرت به كتابته في اللوح المحفوظ، في السنن عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال:" أول ما خلق الله القلم، قال: له اكتب، قال: وماذا اكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شئ حتى تقوم الساعة "[١].

****

****

---

(١) رواه أبو داود في سننه.

قال المصنف رحمه الله تعالى

القاعدة الثانية:

أسماء الله تعالى، أعلام وأوصاف: أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني، وهي بالاعتبار الأول مترادفة لدلالتها على مسمى واحد، وهو الله ـ عز وجل *وبالاعتبار الثاني متباينة لدلالة كل واحد منها على معناه الخاص فالحي، العليم، القدير، السميع، البصير، الرحمن، الرحيم، العزيز، الحكيم. كلها أسماء لمسمى واحد، وهو الله* - سبحانه وتعالى -، لكن معنى الحي غير معنى العليم، ومعنى العليم غير معنى القدير وهكذا.

وإنما قلنا بأنها أعلام وأوصاف، لدلالة القرآن عليه. كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(١) وقوله: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾(٢). فإن الآية الثانية دلت على أن الرحيم هو المتصف بالرحمة. ولإجماع أهل اللغة والعرف أنه لا يقال: عليم إلا لمن له علم، ولا سميع إلا لمن له سمع، ولا بصير إلا لمن له بصر وهذا أمر أبين من أن يحتاج إلى دليل.

---

(١) سورة يونس ، أية ١٠٧.

(٢) سورة الكهف ٥٨.

ش /: وأقول المسألة الأولى في هذه القاعدة:

التقرير بأن أسماء الرب تكون أعلاماً وتكون أوصافاً، والفرق بين هذا وذاك بينه المصنف بقوله : (**فهي أعلام باعتبار دلالتها على الذات، و أوصافا باعتبار ما دلت عليه من المعاني**)، فإذا قلت مثلاً: يا رحمن، يا رحيم، يا كريم، يا منان، فإنك تدعوا مسمى واحد وهو الله سبحانه وتعالى، وإذا قلت: يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا غفور، يا تواب، فإن ما بعد اسم الجلالة من أسماء الرب جلّ وعلا أوصاف له وإذا قال قائل: ما الفرق بين الصنفين أو بين الاستعمالين فيما تلفظنا به في دعائنا ونحن ندعوا الله عز وجل ؟ نقول: نعم تنبه، فإن الفرق واضح جلي فهي باعتبارها أعلاما مترادفة متفقة في دلالتها على مسمى واحد وهو الله سبحانه وتعالى، فهي أعلام له.

وأما بالاعتبار الثاني: وهو كونها أوصافاً فإنها متباينة - يعني مختلفة في الدلالة - وكيف ذلك؟ نقول: لأن ما تضمنه الرحيم من المعنى غير ما تضمنه العليم، وما تضمنه التواب مثلاً غير ما تضمنه الحكيم.

المسألة الثانية:

استدل الشيخ - رحمه الله - على هذا البيان بالكتاب والإجماع - وإن شئت فقل بالنص والإجماع " إجماع أهل اللغة والعرف "- فالله سبحانه وتعالى قال: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾، فالغفور ذو الرحمة وصفان للرب جلّ وعلا، وكذلك إذا قلت إن الله هو الغفور الرحيم، فإن

الغفور الرحيم وصفان للرب عز وجل، واجمع أهل اللغة والعرف على أن الذات الواحدة توصف بعدة أوصاف ولا يستنكر ذلك أحد، وعلى سبيل المثال لو قلت: محمداً ﷺ نبياً، رسولاً، خاتماً، رؤوفاً، رحيماً، حريصاً على المؤمنين، ما استنكر ذلك عليك، ولم يقل عاقل: مَن هؤلاء الذين تعنيهم؟ لأنه لا يتبادر إلى الذهن عند العقلاء من هذه الأوصاف التي ذكرت بعد محمداً ﷺ إلا وهي أوصاف له، ولو أن سائلاً سأل فقال: من تعني، أنت قلت محمد ثم قلت بعد ذلك: رسولاً نبياً خاتماً حريصاً على المؤمنين بهم رؤوفاً رحيماً من تعني؟ لكان سؤاله هذا من أسمج الأسئلة إن لم يكن أسمجها ولعابه عوامُ الناس - أعني العقلاء منهم - فضلاً عن أهل العلم، ولرموه بالجهل والسخافة والسفه.

ص/: قال المصنف - رحمه الله تعالى -: وبهذا علم ضلال من سلبوا أسماء الله _ تعالى _ معانيها من أهل التعطيل وقالوا: إن الله تعالى سميع بلا سمع، وبصير بلا بصر، وعزيز بلا عزة وهكذا.. وعللوا ذلك بأن ثبوت الصفات يستلزم تعدد القدماء. وهذه العلة عليلة بل ميتة.

ش/ :هذا هو قول المعتزلة، الذين يثبتون أسماء الرب جل وعلا لكنهم يسلبونها ما تضمنته من المعاني الجميلة والصفات الحميدة، فإن كل اسم كما سبق يتضمن صفة كاملة ليس فيها نقص بوجه من الوجوه لله عز وجل.

فالمعتزلة يقولون: بأنها أسماء لا تفيد صفات ولا تفيد معاني فيلحقونها بالجوامد، ومن طريف ما يروى:

أن بشراً بن غياث المرِيسي(١)، شيخ المعتزلة في عهد المأمون وهو من تولى - أعني بشراً - كبرى القول بخلق القرآن، الفتنة العظيمة الكفرية، كان يقرر، فيقول: الله عليمٌ بلا علم، سميعٌ بلا سمع، بصيرٌ بلا بصر، فمر أعرابي فسمع منه هذا التقرير فقال: ذاك ربك أنت يا بشر، أما ربنا فليس كذلك.

وهذا في الحقيقة أمرا أظنه مطبقاً عليه عند جميع العقلاء، فلا يعقل موصوف بلا صفة، فلو قلت للأعمى: هذا بصير لقال الناس: ماذا تريد؟ إن كنت تريد بصر العينين فهذا كذب، وإن كنت تريد بصر القلب فلا بد من قرينه، أما أنك تصف أعمى بأنه بصير بلا قرينة فهذا ضربٌ من السفه، ولو قيل لإنسان: هذا عاقلٌ بلا عقل! لقيل له: تناقضت، كيف عاقل بلا عقل؟! ثم أبان الشيخ -رحمه الله- أن هذا المسلك مبني على شبهة

---

(١) هو أبو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبي كريمة العدوي مولاهم البغدادي المريسي ، من موالي آل زيد بن الخطاب رضي الله عنه ، كان من كبار الفقهاء، أخذ عن القاضي أبي يوسف ، وروى عن حماد بن سلمة و سفيان بن عيينة . نظر في الكلام ، فغلب عليه ، و انسلخ من الورع و التقوى ، و جرد القول بخلق القرآن ، و دعا إليه كان عين الجهمية في عصره و عالمهم ، فمقته أهل العلم ، ...قال البوطي : سمعت الشافي يقول : ناظرت المريسي فقال : القرعة قمار ....، مات في آخر سنة ثماني عشرة و مئتين ؛ سير أعلام النبلاء للذهبي ، ج ١٠ ، ص١٩٩ ـــ٢٠٢ .

وهي: أن تعدد الصفات يستلزم تعدد القدماء. فنقول هؤلاء لا يصفون الله بما نصفه به، ولا يسمون الله بما نسميه به مثل الأول، بل يقولون: قديم. فإذا قلت:

إن الله هو السميع، البصير، الرحيم، الرحمن، الكريم، المنان، يقولون: هذا يستلزم ذوات متعددة، وهذه حجة داحضة، وعلة واهية، وهي من أمراض الشبهات التي يقذفها الشيطان في قلوب أهل الأهواء. و قد بين المصنف - رحمه الله - ضلال هذه الحجة ووهيها و قال:

ص /: وعللوا ذلك بأن ثبوت الصفات يستلزم تعدد القدماء. وهذه العلة عليلة بل ميتة، لدلالة السمع والعقل على بطلانها.

أما السمع: فلأن الله تعالى وصف نفسه بأوصاف كثيرة، مع أنه الواحد الأحد. فقال - تعالى -: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾[2]. ففي هذه الآيات الكريمات أوصاف كثيرة لموصوف واحد، ولم يلزم من ثبوتها تعدد القدماء.

---

(١) سورة البروج، الآيات ١٢ – ١٥.

(٢) سورة الأعلى، الآيات ١ –٥.

ش /: وأقول: الدليل على بطلان قول المعتزلة الذين يثبتون لله أسماء مجردة لا تتضمن معاني جليلة، ولا صفات كاملة، باطلٌ من جهة السمع، ومن جهة العقل، والسمع يستعمله المصنف- رحمه الله تعالى - كثيراً ومراده به الشرع، والشرع هو: النص من كتاب أو سنة، والإجماع من أدلة الشرع.

فالسمع والنص والنقل بمعنى واحد، فالدليل السمعي في مجموعتين من آي التنزيل الكريم من سورتين يحفظهما الكثير من المسلمين كبارهم و صغارهم.

فالجملة الأولى: من سورة البروج، فالناظر فيها يرى واضحاً أن ربنا سبحانه وتعالى وجلَّ في علاه وصف نفسه بأوصافٍ كثيرة، فانظر الآية الأولى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾[1]. ثم قال: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾، قال العلامة ابن سعدي رحمه الله : {﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ أي هو المنفرد بإبداء الخلق وإعادته، فلا يشاركه في ذلك مشارك.

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ الذي يغفر الذنوب جميعها، لمن تاب، ويعفو عن السيئات لمن استغفره وأناب.

﴿ٱلْوَدُودُ﴾ الذي يحب أحبابه، محبة لا يشبهها شئ، فكما أنه لا يشابهه شئ في صفات الجلال والجمال، والمعاني والأفعال، فمحبته في قلوب

(١) البروج، الآيات ١٢-١٥ .

خواص خلقه، التابعة لذلك، لايشبهها شئ من أنواع المحاب. ولهذا كانت محبته أصل العبودية، وهي المحبة التي تتقدم جميع المحاب وتغلبها، وإن لم يكن غيرها تبعا لها، كانت عذابا على أهلها.

وهو تعالى الودود، الوادّ لأحبابه، كما قال تعالى: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ والمودة هي: المحبة الصافية. وفي هذا سر لطيف، حيث قرن ﴿ ٱلْوَدُودُ ﴾ بالغفور، ليدل ذلك على أن أهل الذنوب، إذا تابوا إلى الله وأنابوا، غفر لهم ذنوبهم، وأحبهم. فلا يقال تغفر ذنوبهم، ولا يرجع إليهم الود، كما قال بعض الظالمين. بل الله أفرح بتوبة عبده حين يتوب، من رجل على راحلته، عليها طعامه وشرابه وما يصلحه، فأضلها في أرض فلاة مهلكة، فيأس منها، فاضطجع في ظل شجرة ينتظر الموت. فبينما هو على تلك الحال، إذا راحلته على رأسه، فأخذ بخطامها. فالله أعظم فرحا بتوبة العبد من هذا براحلته، وهذا أعظم فرح يقدر. فلله الحمد والثناء، وصفو الوداد، ما أعظم بره وأكثر خيره، وأغزر إحسانه، وأوسع امتنانه!!

﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴾ أي: صاحب العرش العظيم، الذي من عظمته، أنه وسع السموات والأرض، والكرسي. فهي بالنسبة إلى العرش، كحلقة ملقاة في فلاة، بالنسبة لسائر الأرض.

وخص الله العرش بالذكر، لعظمته، ولأنه أخص المخلوقات بالقرب منه. وهذا على قراءة الجر، يكون " المجيد " نعتا للعرش. وأما على قراءة الرفع، فإنه يكون نعتا لله، والمجد سعة الأوصاف وعظمتها.

﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ أي: مهما أراد شيئا فعله، إذا أراد شيئا قال له كن فيكون، وليس أحد فعالا لما يريد إلا الله. فإن المخلوقات لو أرادت شيئا، فإنه لابد لإرادتها من معاون وممانع." }[1] ا. هـ.

فهذه ستة أوصاف للرب جلَّ وعلا، و لم يقل أحد من المسلمين: كم موصوفاً في هذه الآيات؟ بل العقلاء مطبقون على أن الموصوف هو الله عز وجل، وأظنك لو سألت عامياً سليم الفطرة من المسلمين لأجابك بهذا، هذه أوصاف لله عز وجل.

<u>والجملة الثانية</u>: من سورة الأعلى، فإن الرب سبحانه وتعالى قال في مبتدئ هذه السورة: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ﴾. ثم وصف نفسه بأنه ماذا ﴿ ٱلْأَعْلَى ﴾، ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴾[2]. قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى-: " قال

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ج٥، ص ٣٩٧-٣٩٨.

(٢) سورة الأعلى، الآيات ١-٥ .

الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا موسى يعني أبن أيوب الغافقي حدثنا عمي إياس بن عامر سمعت عقبة بن عامر الجهني لما نزلت ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾، قال لنا رسول الله ﷺ "اجعلوها في ركوعكم" فلما نزلت ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾،قال: "اجعلوها في سجودكم" رواه أبو داود وابن ماجه من حديث ابن المبارك عن موسى بن أيوب به. وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ قال: "سبحان ربي الأعلى" وهكذا رواه أبو داود عن زهير بن حرب عن وكيع به قال وخولف فيه وكيع رواه أبو وكيع وشعبة عن أبي إسحاق عن سعيد عن ابن عباس موقوفا، وقال الثوري عن السدي عن عبد خير قال سمعت علياً يقرأ ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ فقال سبحان ربي الأعلى. وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا حكام عن عنبسة عن أبي إسحاق الهمداني أن ابن عباس كان إذا قرأها ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ يقول: سبحان ربي الأعلى وإذا قرأ ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾، فأتى على آخرها ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ يقول: سبحانك وبلى، وقال قتادة يقرأ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان إذا

قرأها قال: سبحان ربي الأعلى، وقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ أي خلق الخليقة وسوى كل مخلوق في أحسن الهيئات. وقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ قال مجاهد: هدى الإنسان للشقاوة والسعادة وهدى الأنعام لمراتعها. وهذه الآية كقوله تعالى إخباراً عن موسى أنه قال لفرعون: ﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[١] أي قدر قدرا وهدى الخلائق إليه كما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: " إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء " وقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴾ أي من جميع صنوف النباتات والزروع ﴿ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴾ قال ابن عباس هشيماً متغيراً وعن مجاهد وقتادة وابن زيد نحوه. قال ابن جرير وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يرى أن ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم وأن معنى الكلام والذي أخرج المرعى أحوى: أي أخضر إلى السواد فجعله غثاء بعد ذلك ثم قال ابن جرير وهذا وإن كان محتملا إلا أنه غير صواب لمخالفته أقوال أهل التأويل }[٢] ا. هـ.

---

(١) سورة طه ، آية ٥٠ .

(٢) تفسير القران العظيم للحافظ أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، ج٤ ، ص ٥٣٤، ط١،ت: ١٤٠٦، دار المعرفة.

من هو هذا الأعلى الذي خلق، سوى،قدر، فهدى، أخرج المرعى، جعله غثاءً أحوى؟ قلت فبان من هو الأعلى، ولكن إذا حُكِّم العقل وجعل متبوعاً للنصوص أفسد الفطرة، وأفسد القلوب، وملأها زيغاً، وفتناً، وشبهاً.

ص/: وأما العقل: فلأن الصفات ليست ذوات بائنة من الموصوف، حتى يلزم من ثبوتها التعدد، وإنما هي من صفات من اتصف بها، فهي قائمة به وكل موجود فلا بد له من تعدد صفاته، ففيه صفة الوجود، وكونه واجب الوجود، أو ممكن الوجود، وكونه عيناً قائماً بنفسه أو وصفاً في غيره.

ش /:هذا هو الدليل الثاني على بطلان مسلك المعتزلة في نفي الصفات التي تدل عليها أسماء ربنا جل ثناؤه، فيتوجه إلى هؤلاء المعتزلة ومن سلك سبيلهم من الأشاعرة، والماتوردية، فيقال لهم:

أولاً: هل الصفات ذوات بائنة من الموصوف، حتى يلزم ما ذكرتم من تعدد القدماء؟ فإن قالوا: لا، خصموا أنفسهم، وإن قالوا: نعم فقد كابروا، فنقول: كذبتم، ليست الصفات ذوات بائنة بل هي أوصاف لمن اتصف بها فإذا قلت بكرٌ، عالمٌ، وأديبٌ، وشاعرٌ، فليس ما بعد بكر من الكلمات ذوات أخر بائنة منه بل هي أوصاف له.

وثانياً: كل موجود لابد له من صفة فواجب الوجود بنفسه هو الله سبحانه وتعالى وممكن الوجود ليس مستحيلاً وهو المخلوقات كلها فهي ممكنة وليست مستحيلة على الله سبحانه وتعالى، ثم هذا الموجود قد يكون عيناً مثل، الدار،و الحصان، والبعير و الإنسان فهذه كلها أعيان قائمة بنفسها،، وقد يكون الوصف أو يكون الموجود هذا وصفاً في غيره قائم به، فحينما تقول: عليُ شجاع، وإياس ذكي، وأحنف حليم، فهذه الكلمات شجاع، وذكي، وحليم، معاني قائمة بغيرها، وهي أوصاف لمن قامت به، وليست أعياناً، فشجاع وصفٌ في علي معنى قائمٌ به، وكذلك ذكي وحليم كلاً قائم بما وصف به.

ص/: وبهذا أيضاً علم أن: " الدهر" ليس من أسماء الله تعالى، لأنه اسم جامد، لا يتضمن معنى يلحقه بالأسماء الحسنى، ولأنه اسم للوقت والزمن، قال الله تعالى، عن منكري البعث: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾[1]. يريدون مرور الليالي والأيام.

فأما قوله ﷺ: " قال الله – عز وجل –: " يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار" [2].

---

(١) سورة الجاثية، آية ٢٤.

(٢) أخرجه البخاري ، ك : التوحيد ، ب : قوله تعالى يريدون أن يبدلوا كلام الله ، رقم ٧٠٥٣ ، البغا ، عن أبي هريرة .

فلا يدل على أن الدهر من أسماء الله _ تعالى _ وذلك أن الذين يسبون الدهر إنما يريدون الزمان الذي هو محل الحوادث لا يريدون الله تعالى، فيكون معنى قوله: " وأنا الدهر؟ ما فسره بقوله: " بيدي الأمر أقلب الليل والنهار"، فهو _ سبحانه_ خالق الدهر وما فيه، وقد بين أنه يقلب الليل والنهار، وهما الدهر، ولا يمكن أن يكون المقلِّب (بكسر الأم (١)) هو المقلَّب (بفتحها)، وبهذا تبين أنه يمتنع أن يكون الدهر في هذا الحديث مراداً به الله - تعالى-.

ش/:هذا المبحث هو خاتمة القاعدة الثانية من قواعد الأسماء، يتضمن الرد على شبهٍ بالأجوبة المقنعة المستندة على الدليل.

الشبهة الأولى:

هل الدهر من أسماء الله؟ فيقال: ليس الدهر من أسماء الله، أولا، لأنه اسمٌ جامد لا يتضمن معنى يلحقه بالأسماء الحسنى بوجه من الوجوه. وثانياً: الذين قالوا: إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر، لا يريدون أن الذي يميتهم ويحييهم أو الذي يهلكهم هو الله سبحانه وتعالى وإنما يريدون الزمن، يعني الوقت الذي هو محل الحوادث المهلكه لهم وهؤلاء هم الدهرية الذين ينكرون قدرة الله سبحانه وتعالى وينكرون أن الحياة والموت بيد الله عز وجل وينكرون البعث، هذا هو الرد على السؤال الأول. وهو قد يكون شبهة تعرض لبعض الناس وإن كان سنياً، وإنما هو في الحقيقة إشكال وهذا أفضل من كونه شبهة، ويزيد

(١) اللام.

هذا وضوحاً الجواب على الإشكال الثاني وهذا الإشكال كيف تصنعون بالحديث القدسي الذي رواه البخاري وغيره، عن النبي ﷺ، قال الله تعالى: " يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر بيدي الأمر...الخ ". وفي رواية " **لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر** " [1] ؟ فنقول: هذا الإشكال له جوابان:

أحدهما: تفسير المتكلم بهذا الحديث القدسي وهو الله سبحانه وتعالى فقد فسره بقوله: " بيدي الأمر أقلب الليل والنهار" وإيضاح ذلك أن الحديث تضمن الإخبار بمقلِّب اسم فاعل ومقلَّب اسم مفعول، ولا يمكن أن يكون المقلِّب وهو اسم الفاعل هو المقلَّب اسم المفعول، لا يمكن أن يكون الفاعل والمفعول واحد، هذا أول الجوابين.

وثانيهما: أن الذي يسب الدهر لا يسب الله تعالى هو يقصد سب الزمن وان كان السب يقع في الحقيقة على الله عز وجل لأنه هو مصرف الدهر وقد تقدم أن من المشركين من قالوا، فيما أخبر الله عنهم: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[2].

(١) أخرجه مسلم ، ك : الألفاظ ، ب : الني عن سب الدهر ، عن أبي هريرة ، رقم : ٥ / ٢٢٤٦ ، فؤاد .

(٢) سورة الجاثية، آية ٢٤ .

قال ابن كثير – رحمه الله تعالى –: { يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ أي ما ثم إلا هذه الدار يموت قوم ويعيش آخرون وما ثم معاد ولا قيامة وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون المعاد وتقوله الفلاسفة الإلهيون منهم وهم ينكرون البداءة والرجعة وتقوله الفلاسفة الدهرية المنكرون للصانع المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى فكابروا العقول وكذبوا المنقول ولهذا قالوا ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ قال الله تعالى: ﴿ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ أي يتوهمون ويتخيلون. فأما الحديث الذي أخرجه صاحبا الصحيح وأبو داود والنسائي من رواية سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ " **يقول تعالى يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلب ليله ونهاره** " وفي رواية " **لا تسبوا الدهر فإن الله تعالى هو الدهر** " وقد أورده ابن جرير بسياق غريب جدا فقال: حدثنا أبو كريب حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " كان أهل الجاهلية يقولون إنما يهلكنا الليل والنهار وهو الذي يهلكنا يميتنا ويحيينا فقال الله تعالى في كتابه: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ

إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ ويسبون الدهر فقال الله عز وجل: **يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار** " وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن منصور عن شريح بن النعمان عن ابن عيينة مثله، ثم روى عن يونس عن ابن وهب عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ " **قال الله تعالى يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار** " وأخرجه صاحبا الصحيح والنسائي من حديث يونس بن يزيد به وقال محمد بن محمد بن إسحاق عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال " يقول الله تعالى استقرضت عبدي فلم يعطني وسبني عبدي، يقول وادهراه، وأنا الدهر " قال الشافعي وأبو عبيدة وغيرهما من الأئمة في تفسير قوله ﷺ " **لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر** " كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة قالوا يا خيبة الدهر فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه وإنما فاعلها هو الله تعالى فكأنهم إنما سبوا الله عز وجل لأنه فاعل ذلك في الحقيقة، فلهذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار لا أن الله تعالى هو الدهر الذي يعنونه ويسندون إليه تلك الأفعال، هذا أحسن ما قيل في تفسيره وهو المراد والله أعلم. }[1] ا. هـ.

---

(١) تفسير القرآن العظيم للامام الحافظ أبي الفداء اسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، ج٤، ص١٦٢-١٦٣.

قلت: يخبر جل ثناؤه أن هؤلاء المشركين المكذبين بالبعث أهم يقولون ما الحياة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها لا حياة سواها.

وقوله: ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ أي ما يهلكنا فيفنينا إلا مر الليالي والأيام وطول العمر إنكاراً منهم أن يكون لهم رب يفنيهم ويهلكهم.

وقوله: ﴿ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ أي وما هؤلاء المشركين من ذلك من علم يعني من يقين علم لأهم يقولون ذلك تخرصاً بغير خبر أتاهم من الله ولا برهان عنه بحقيقته.

﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ أي ما هم إلا في ظن من ذلك وشك يخبر عنهم أهم في حيرة من اعتقادهم حقيقة ما ينطقون من ذلك بالسنتهم.

من فقه الآية:

أولاً: وجوب الإيمان بالبعث وكفر منكره.

ثانياً: الرد على من زعم أن الدهر من أسماء الله وهذا مستفاد من قوله ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ ووجه الدلالة أنه لو كان الدهر من أسماء الله لم يعب الله على المشركين هذه المقولة لأن المعنى وما يهلكنا إلا الله وهو صحيح.

فائدة: قال الشافعي-رحمه الله-: { إن العرب كان من شأنها أن تذم الدهر وتسبه عند المصائب التي تنزل بهم، من موت أو هرم، أو تلف أو غير ذلك، فيقولون: إنما يهلكنا الدهر وهو الليل والنهار ويقولون

أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر فيجعلون الليل والنـــــهار يفعـــلان الأشياء فيذمون الدهر بأنه الذي يفنيهم ويفعل بهم، فقال رسول الله ﷺ " لا تسبوا الدهر " على أنه الذي يفنيكم ويفعل بكم هذه الأشياء فإنكم إذا سببتم فاعل هذه الأشياء، فإنما تسبون الله تبارك وتعالى فإنه فاعل هـــــذه الأشياء } (١) ا.هـــ.

يريدون الزمن الذي هو فيه مرور الحوادث يريدون الليالي والأيـــام التي هي محل الحوادث وأنها هي التي تهلكهم.

****

****

******

(١) الإمداد ، ج ٣ ، ص ٤٢٨ .

قال المصنف رحمه الله تعالى

القاعدة الثالثة:

أسماء الله تعالى إن دلت على وصف متعد، تضمنت ثلاثة أمور:

أحدها: ثبوت ذلك الاسم لله - عز وجل -.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله - عز وجل-.

الثالث: ثبوت حكمها ومقتضاها.

ولهذا استدل أهل العلم على سقوط الحد عن قطاع الطريق بالتوبة، استدلوا على ذلك بقوله -تعالى -: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾(١). لأن مقتضى هذين الاسمين أن يكون الله - تعالى - قد غفر لهم ذنوبهم، ورحمهم بإسقاط الحد عنهم.

مثال ذلك: " السميع "، يتضمن إثبات السميع اسماً لله - تعالى-، وإثبات السمع صفة له، وإثبات حكم ذلك ومقتضاه، وهو أنه يسمع السر والنجوى كما قال -تعالى-: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾(٢). وإن دلت على وصف غير متعد تضمنت أمرين:

---

(١) سورة المائدة ، آية ٣٤.

(٢) سورة المجادلة ،آية ١.

أحدهما: ثبوت ذلك الاسم لله ــ عز وجل ــ.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله ــ عز وجل ــ.

مثال: ذلك " الحي " يتضمن إثبات الحي اسماً لله – عز وجل – وإثبات الحياة صفة له.

ش/: هذه القاعدة الثالثة ملخصها، في أمرين:

الأمر الأول:

أن من أسماء الرب جل وعلا ما يدل على وصف متعدٍ، وهذا الاسم يفيد ثلاثة أحكام أو ثلاثة أمور:

أحدها : ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل.

وثانيها: ثبوت تلك الصفة الإلآهية التي دل عليها ذلك الاسم.

وثالثها: ثبوت المقتضى والحكم.

واستدل الشيخ – رحمه الله تعالى – فضرب مثالين:

أحدهما: قوله تعالى: ﴿ **إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٤﴾** ﴾[1]. فإذا طبقنا تلك القاعدة أو طبقنا الأمر الأول الذي تضمنته تلك القاعدة، فإننا نستفيد من الغفور الرحيم الأمور الثلاثة:

---

(١) سورة المائدة، آية ٣٤.

الأول : ثبوت هذين الاسمين لله عز وجل، فنقول: من أسماء الرب جل وعلا الغفور ومن أسمائه الرحيم.

وثانياً : نستدل على أن صفة الرحمة والمغفرة ثابتتان لله عز وجل.

ثالثاً: نتأسى بالرب سبحانه وتعالى، في مغفرته ورحمته، فنرحم قطاع الطريق الذين سلموا أنفسهم لولي الأمر قبل القدرة عليهم فلا يقام عليهم الحد، لأن مقتضى هذين الاسمين أن الله غفر لهم ورحمهم، فارحموهم انتم، وكذلك التواب في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾. فالتواب اسمٌ لله عز وجل يدل على أ ن التوبة منه على عباده صفة له، وأنه يتأسى به سبحانه وتعالى في قبول التوبة عمن أساء إلينا نتوب عليه إذا تاب وطلب العفو.

فالوصف المتعدي: هو الذي يشتق من فعل متعدي، فالرحيم فعله رحم، وهذا الفعل متعدٍ.

ثانيهما:السميع في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ فإنه يتضمن، أولاً: إثبات هذا الاسم لله عز وجلّ، ويتضمن ثانياً: إثبات صفة السمع له، ويتضمن ثالثاً: مقتضى هذه الصفة، وحكمها، وهو مراقبة الله عز وجلّ، في السر والجهر، إذ هو يسمع السر وأخفى، كما قال تعالى ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾

الأمر الثاني من مضمون هذه القاعدة:

أن من أسماء الله سبحانه وتعالى ما ليس فيه وصفٌ متعدي، يعني لا يتأسى به فيه، فمثل الشيخ - رحمه الله - بالحي، يعني في مثل قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾(١). وقوله ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾(٢). فنستفيد شيئين:

أحدهما: إثبات هذا الاسم لله عز وجل.

وثانيهما: إثبات صفة الحياة الدائمة لله عز وجل، الحياة الكاملة التي ليس فيها نقص بوجهٍ من الوجوه، لكن لا نستطيع أن نقول تأسوا بالله فاحيو أو أديموا حياتكم، والمقصود أنه إذا كان الفعل الذي أخذ منه الاسم متعدياً، وثبتت الصفة تبعاً له أن يتأسى بالله فيه، فالعفو مثلاً يثبت اسماً لله عز وجل ويثبت تبعاً لذلك، صفة العفو وأن العبد ينبغي له أن يعفو عمن ظلمه، وكان من هديه ﷺ وخلقه وسمته الحسن العفو عند المقدرة.

---

(١) سورة غافر، آية ٦٥.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٥٥.

قال المصنف رحمه الله تعالى

القاعدة الرابعة :

دلالة أسماء الله – تعالى – على ذاته وصفاته، تكون بالمطابقة وبالتضمن وبالالتزام.

مثال ذلك:

" الخالق "، يدل على ذات الله، وعلى صفة الخلق بالمطابقة، ويدل على الذات وحدها وعلى صفة الخلق وحدها بالتضمن، ويدل على صفتي العلم والقدرة بالالتزام.

ولهذا لما ذكر الله خلق السماوات والأرض قال: ﴿ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمَۢا ﴾(١) .

ش/: هذه القاعدة متضمنة لأمرين :

أحدهما : في دلالة أسماء الله عز وجل على ذاته وصفاته.

وثانيهما : في دلالة الالتزام كما سيأتي .

الأول: في الدلالة فقد ذكر الشيخ – رحمه الله – أن دلالة أسماء الرب جل وعلا على ذاته وعلى صفاته تكون دلالة مطابقة ودلالة تضمن ودلالة التزام، والمثال الذي ضربه الشيخ في اسم الرب الذي هو الخالق،

(١) سورة الطلاق ، آية ١٢ .

فإن الخالق يدل على الذات العلية المقدسة، دلالة مطابقة - يعني موافقة - فهو خالق كل شيء سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، يخلق ما يشاء و يختار، وكذلك يتضمن صفة الخلق، ويتضمن الدلالة على الذات العلية، فإذا قيل الخالق لا يتبادر إلى الذهن منه شيء قبل الذات العلية، ويدل على الذات وحدها دلالة تضمن وعلى صفة الخلق وحدها دلالة تضمن، فالخالق كما قدمنا لا يقصد به إلا الله عز وجل، وكذلك يتضمن صفة الخلق.

وهو يدل أيضاً على صفتي العلم والقدرة دلالة التزام، وذلك أن البصير الذي رزق الفقه والكياسة والفطنة والعقل السليم يعلم تمام العلم أن موجد هذا الكون لا تخفى عليه منه خافية وهو قادر عليه مصرف له كيف يشاء، هذه دلالة الالتزام. ويدل على دلالة التزام من اسم الخالق على صفتي العلم والقدرة قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾[1] . وهذه الدلالة بأنواعها الثلاثة معلومة.

ص/ : ودلالة الالتزام مفيدة جداً لطالب العلم إذا تدبر المعنى ووفقه الله - تعالى - فهما للتلازم، فإنه بذلك يحصل من الدليل الواحد على مسائل كثيرة.

---

(١) سورة الطلاق آية رقم (١٢) .

واعلم أن اللازم من قول الله تعالى، وقول رسوله، صلى الله عليه وسلم، إذا صح أن يكون لازماً فهو حق وذلك لأن كلام الله ورسوله حق ولازم الحق حق، ولأن الله تعالى عالم بما يكون لازماً من كلامه وكلام رسوله فيكون مراداً.

وأما اللازم من قول أحد سوى قول الله ورسوله، فله ثلاث حالات:

الحالة الأولى:

أن يذكر للقائل ويلتزم به مثل أن يقول من ينفي الصفات الفعلية لمن يثبتها: يلزم من إثباتك الصفات الفعلية لله عز وجل أن يكون من أفعاله ما هو حادث. فيقول المثبت: نعم، وأنا ألتزم بذلك فإن الله تعالى لم يزل ولا يزال فعالاً لما يريد ولا نفاد لأقواله وأفعاله كما قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾(1). وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(2). وحدوث آحاد فعله تعالى لا يستلزم نقصاً في حقه.

---

(1) سورة الكهف، آية ١٠٩.

(2) سورة لقمان آية ٢٧.

الحالة الثانية:

أن يذكر له ويمنع التلازم بينه وبين قوله، مثل أن يقول النافي للصفات لمن يثبتها: يلزم من إثباتك أن يكون الله -تعالى- مشابهاً للخلق في صفاته، فيقول المثبت: لا يلزم ذلك، لأن صفات الخالق مضافة إليه لم تذكر مطلقة حتى يمكن ما ألزمت به، وعلى هذا فتكون مختصة به لائقة به، كما أنك أيها النافي للصفات تثبت لله - تعالى - ذاتاً وتمنع أن يكون مشابهاً للخلق في ذاته، فأي فرق بين الذات والصفات؟! وحكم اللازم في هاتين الحالتين ظاهر.

الحالة الثالثة:

أن يكون اللازم مسكوتاً عنه، فلا يذكر بالتزام ولا منع، فحكمه في هذه الحال أن لا ينسب إلى القائل، لأنه يحتمل لو ذكر له أن يلتزم به أو يمنع التلازم، ويحتمل لو ذكر له فتبين له لزومه وبطلانه أن يرجع عن قوله لأن فساد اللازم يدل على فساد الملزوم. ولورود هذين الاحتمالين لا يمكن الحكم بأن لازم القول قول.

فإن قيل: إذا كان هذا اللازم لازماً من قوله، لزم أن يكون قولاً له، لأن ذلك هو الأصل لا سيما مع قرب التلازم.

قلنا: هذا مدفوع بأن الإنسان بشر، وله حالات نفسية وخارجية توجب الذهول عن اللازم، فقد يغفل، أو يسهو، أو ينغلق

فكره، أو يقول القول في مضايق المناظرات من غير تفكير في لوازمه، ونحو ذلك.

ش/ : هذا هو الأمر الثاني: الذي ينبغي أن يعلم من دلالة الالتزام، وهذا الأمر ينقسم إلى قسمين:

أحدهما : اللازم من كلام الله وكلام رسوله ﷺ.

وثانيهما : اللازم من كلام غير الله ورسوله - يعني من كلام البشر-.

فاللازم من كلام الله وكلام رسوله لا يستغني عنه طالب علم يشتغل بالتحقيق والبحث في المسائل والاستدلال عليها واستنباط الأحكام من الأدلة، فاللازم من كلام الله وكلام رسوله حق إذا كان الاستنباط صحيحاً، لأن كلام الله حق وكلام الرسول ﷺ حق، والله سبحانه وتعالى هو العالم بما يلزم من كلامه وكلام رسوله الذي هو مبلغ عنه، فمثال اللازم الحق: حديث " **لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ**"(١)، فإن لازم هذا الحديث الذي هو مفهومه ومنطوقه، فمنطوقه يوجب الوضوء على المحدث إذا أراد الصلاة، ومفهومه يجوز للمسلم أن يصلي عدة صلوات بوضوء واحد إذا لم يحصل منه حدث أو ما هو في حكم الحدث يعني إذا لم يحصل منه ناقض لوضوء فإنه يسوغ له أن يصلي

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري، ك: الحيل، ب: في الصلاة، رقم ٦٩٥٤؛ أخرجه مسلم، ك: الطهارة، ب: وجوب الطهارة للصلاة، رقم ٢٢٥.

عدة صلوات بوضوء واحد ما دام وضوءه لم ينتقض، فلو قال قائل: هذا الحديث يلزم منه وجوب النية في الوضوء، قيل له: لا، ليس في هذا الحديث دلالة على النية في الوضوء لا من قريب ولا من بعيد لا بالمنطوق ولا بالمفهوم ، فهذا اللازم الذي استنبطته أيها المتكلم لازمٌ باطل لأنه من جهتك أنت من جهة فهمك أنت فلم يدل عليه كلام النبي ﷺ.

ومثالٌ آخر :

قوله ﷺ : " إنما الأعمال بالنيات ... الحديث "(١). لازم هذا أن النية شرط في صحة كل عبادة يتقرب بها العبد إلى الله عز وجل، فلو قال قائل: هذا الحديث فيه دليل على وجوب الطهارة لكل صلاة أو أن الطهارة شرط لصحة الصلاة، قلنا: ليس كذلك، ألزمت نفسك من هذا الحديث بما لم يلزمك، فليس في الحديث دليل على ما استنبطته لا من قريب ولا من بعيد، فاشتراط الطهارة لصحة الصلاة يستدل لها بنصوص أخر.

---

(١) البخاري، ك: بدء الوحي، ب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، ج ١، ص ١٥، رقم ١.

ومثال ثالث :

" في قصة معاوية بن الحكم - رضي الله عنه - حين لطم جاريته، ثم جاء إلى النبي ﷺ يستشيره فيها، فغضب النبي ﷺ فقال: يا رسول الله عليّ رقبة، أفلا أعتقها؟ قال: جئني بها، أنظر أمؤمنة؟ فقال النبي لها: أين الله؟ قالت: في السماء... الحديث "(١).

لازم هذا الحديث أن الله عز وجل ليس في كل مكان بل هو في السماء كما دلت على معناه نصوص أخر، أنه فوق عرشه وعرشه فوق جميع مخلوقاته، هذا هو الشيء الأول الذي يترتب على فهم التلازم .

الشيء الثاني : وهو اللازم من غير كلام الله ورسوله - يعني من كلام البشر- فهذا له ثلاثة أحوال:

الحالة الأولى : أن يذكر للقائل ويلتزم به، يعني يذكر السامع للمتكلم لازم قوله فيقول: نعم أنا ألتزم لك بهذا، أنا قلت هذا الكلام وألتزم لك بما ذكرت من الحكم المترتب عليه وهو اللازم.

---

(١) أخرجه مسلم، ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته، ج ١، ٣٩٥، رقم ٥٣٧، و لفظه : معاوي بن الحكم السلمي قال : { .. وكانت لي جارية ترعى غنماً لي قِبل أحد و الجوّابية ، فاطلعت ذات يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها ، و أنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون ، لكني صككتها صكة ، فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك عليَّ ، قلت : يارسول الله ! أفلا أُعتقها ؟ قال " ائتني بها " فأتيته بها ، فقال لها : " أين الله " قالت : في السماء ، قال : " من أنا " قالت رسول الله ، قال : " أعتقها ، فإنها مؤمنة " }.

مثال ذلك: إذا قال نافي الصفات الفعلية من جهمي، أو معتزلي، أو أشعري، أو كلابي، أو ماتريدي، إذا قال للسني الذي يثبت الصفات: يلزم من قولك أيها السني من إثبات الصفات الفعلية أن من أفعال الله ما هو حادث .

وأقول: **الصفات الفعلية:**

هي التي يفعلها الله سبحانه تعالى ويوقعها بمقتضى حكمته ومشيئته، مثل: الاستواء، والنزول للسماء الدنيا، والضحك، والفرح، والرضا، والغضب، والسخط، إلى غير ذلك من الصفات الفعلية، فالسني في هذه الحال يقول: نعم ألتزم لك بهذا، يعني ما ألزمتني به من إثبات للصفات الفعلية أن بعض أفعال ربنا حادثة أنا ألتزم لك بذلك، وهاك أدلة:

أولاً : استمع إلى قوله تعالى ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾(١). و قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٢) ، فهتان الآيتان وما في معناهما صريحتان في الدلالة

---

(١) سورة الكهف ، آية ١٠٩ .

(٢) سورة لقمان آية ٢٧ .

بأنه لا نفاد لأقوال الله وأفعاله ؛ قال ابن سعدي- رحمه الله- : في الآية الثانية { ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ ﴾ يكتب بها ﴿ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾ مدادا يستمد بها، لتكسرت تلك الأقلام ولنفد ذلك المداد، و ﴿ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾. وهذا ليس مبالغة، لا حقيقة له. بل لما علم تبارك وتعالى، أن العقول تتقاصر عن الإحاطة ببعض صفاته، وعلم تعالى، أن معرفته لعباده، أفضل نعمة، أنعم الله بها عليهم وأجل منقبة حصلوها، وهي لا تمكن على وجهها، ولكن مالا يدرك كله، لايترك كله، فنبههم تعالى على بعضها تنبيها تستنير به قلوبهم، وتنشرح له صدورهم ، ويستدلون بما وصلوا إليه إلى ما لم يصلوا إليه، ويقولون كما قال أفضلهم وأعلمهم بربه : " لا نحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك " [(1)]. وإلا ، فالأمر أجل من ذلك وأعظم.

وهذا التمثيل، من باب تقريب المعنى، الذي لا يطاق الوصول به إلى الأفهام والأذهان. وإلا، فالأشجار وإن تضاعفت على ما ذكر، أضعافا كثيرة، والبحور لو امتدت بأضعاف مضاعفة، فإنه يتصور نفادها وانقضاؤها، لكونها مخلوقة.

---

(١) صحيح أبي داود ، للألباني ـــ رحمه الله تعالى ـــ ، ب : القنوت في الوتر ، ج١ رقم : ١٢٦٥ ، لفظه : عن علي بن أبي طالب أن رسول الله ﷺ كان يقول في آخر وتره : " اللهم إني أعوذ برضاك منسخطك ، و بمعافاتك من عقوبتك ، و أعوذ بك منك ، لا أحصي ثناءاً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك " .

وأما كلام الله تعالى، فلا يتصور نفاده، بل دلنا الدليل الشـــرعي والعقلي، على أنه لا نفاد له ولا منتهى، فكل شئ ينتـــهي إلا البـــاري وصفاته (وأن إلى ربك الأزمان السابقة، مهما تسلسل الفرض والتقديـر، فهو تعالى قبل ذلك إلى غير نهاية. وساعد على ذلك من ســاعد، بقلبــه ولسانه ، فالله تعالى، بعد ذلك إلى غير غاية ولا نهايـــة . والله في جميــع الأوقات، يحكم، ويتكلم، ويقول، ويفعل كيف أراد، وإذا أراد، لا مـــانع له من شئ، من أقواله وأفعاله. فإذا تصور العقل ذلك، عـــرف أن المثـــل الذي ضربه الله لكلامه، ليدرك العباد شيئا منه، وإلا، فالأمر أعظم وأجل.

ثم ذكر جلالة عزته وكمال حكمتـــه فقـــال: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ أي : له العزة جميعا، الذي ما في العالم العلوي والسفلي مـــن القوة إلا هي منه، هو الذي أعطاها للخلق، فلا حول ولا قـــوة إلا بـــه. وبعزته قهر الخلق كلهم، وتصرف فيهم ، ودبرهم . وبحكمته خلق الخلـــق، وابتدأه بالحكمة، وجعل غايته، والمقصود منه، الحكمة. وكذلـــك الأمـــر والنهي، وجد بالحكمة، وكانت غايته المقصودة، الحكمة، فهو الحكيم في خلقه وأمره } .[1] ا .هـــ .

قلت : ويزيد هذا المعنى وضوحاً قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ ، ﴿ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ .

---

(١) تفسير ابن سعدي الجزء الرابع صفحة ١١٤ إلى ١١٥.

ثانياً : أن الله سبحانه وتعالى كلم السماوات والأرض فقال: ﴿ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴾ (١) . وكلم الملائكة فقال: ﴿ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ ﴾(٢) . وكلم آدم حين نفخت فيه الروح ووصلت إلى أنفه فعطس فقال الحمد لله ، فقال الله له: " يرحمك ربك يا آدم ". فانظر فإنه لا يشك أحد أن خلق السماوات والأرض قبل خلق الملائكة وخلق

الملائكة قبل خلق آدم، هذا لا يشك فيه أحد ولا ينازع فيه أحد، فآحاد أفعال ربنا جلّ وعلا متجددة يوقعها سبحانه وتعالى بمقتضى حكمته ومشيئته.

وهاك، الدليلُ الثالث: وهو فيما حولك من المخلوقات ستدرك أن فلان مخلوق قبل فلان لأن فلان الذي خُلق أولاً أكبر سناً من فلان، ولا يقول عاقل أهما خُلقا معاً في لحظة واحدة.

الحال الثانية :

أن يذكر المتكلم من نفات الصفات للسني لازماً والسني لا يلتزم له بذلك بل ينفيه ويقول: لا، ألتزم لك بذلك.

---

(١) سورة فصلت ، آية ١١ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٣٠ .

مثال ذلك : لو قال معطلٌ لسني: هل تثبتون الوجه صفة لله؟ نقول: نعم، والضحك نقول: نعم صفة لله، والفرح صفة لله كذلك، وهل تثبتون النزول صفة لله؟ نقول: نعم، فيقول يلزم من هذا مشابهة الخالق للمخلوق، نقول: لا، ليس كذلك واسمع .

أولاً : أن الصفات التي أثبتناها لله عز وجل أثبتناها بالنصوص وليست من تلقاء أنفسنا .

ثانياً : هي ذكرت مضافة إلى الله عز وجل فتكون خاصة به، لأنها لم تذكر مطلقة.

وثالثاً : ألم تعي قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [1].

ورابعاً : أنت نفسك يا هذا المعطل الذي ألزمتني بما ليس لازماً من كلامي وأنا انفيه إلى أن ألقى ربي أليست تثبت لله ذاتاً لا تشابه ذوات خلقه؟ فسيقول: نعم، فيقول السني: إذاً ما لفرق بين الذات والصفات؟ كيف تشبه صفات الخالق بالمخلوق، كيف تقول بالتباين بين ذات الخالق وذوات المخلوقين ولا تقول بالتباين بين صفاته وصفات خلقه؟! هذا ضرب من العبث واللعب وفساد العقل والفطرة وتحريف النصوص من الكتاب والسنة وخلاف ما أجمع عليه أئمة السنة.

الحال الثالثة : أن يكون اللازم مسكوتاً عنه، فإذا ذكر للمتكلم قد ينفيه وقد يثبته وقد يفسره بشيء و هذا يحدث في أحوال، منها :

---

(١) سورة الشورى ، آية ١١ .

حالات المناظرة، فلو قال أشعري لسني: أنتم تقولـــون بالـــترول الإلهي إلى السماء الدنيا يلزم مشابهة الخالق بالمخلوق ولـــوازم أخـــرى، فيقول له وأنت تثبت الإرادة؟ فيقول: نعم، فيقول: لازمها إذاً أن الخـــالق يشبه المخلوق، وهو لا يريد بهذا، مشابهة الخالق بالمخلوق ، ولكن قالـــه استترال للخصم، وكسر لكبريائه وغطرسته.

وكذلك في حال الغضب، فإن الإنسان مع شدة الغضب قد يقول كلاماً من سب أو شتم ، فإذا هدأ غضبه وقيل له: أنت قلت كذا فإنـــه ينفي ذلك و يتبرأمنه بشدة . فلو أراد إنسان أن يلزم المتكلم في هـــذه الحال بكلامه قلنا: لا ، هذا مدفوع، بأن الإنسان بشر تعرض له عوارض فيقول كلاماً لا يتفطن لما يترتب عليه.

****

****

****

قال المصنف رحمه الله تعالى

القاعدة الخامسة:

أسماء الله تعالى توقيفية، لا مجال للعقل فيها: وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزاد فيها ولا ينقص، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه -تعالى- من الأسماء فوجب الوقوف في ذلك على النص لقوله - تعالى -:

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾(١). وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٢). ولأن تسميته تعالى بما لم يسم به نفسه، أو إنكار ما سمى به نفسه، جناية في حقه تعالى فوجب سلوك الأدب في ذلك والاقتصار على ما جاء به النص.

ش/: هذه القاعدة الخامسة، يقرر المصنف فيها لمن يطلب المنهج السديد في أسماء الرب عز وجل، وذلك أن أسماء الرب توقيفية، ومعنى

---

(١) سورة الإسراء، آية ٣٦.

(٢) سورة الأعراف، آية ٣٣.

توقيفية: أن ثبوتها يتوقف على النص فلا يسوغ لمسلم أن يسمي الله عز وجل بما لم يرد به كتابٌ ولا سنةٌ للأدلة الآتية:

أولاً: قوله جلَّ وعلا: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾(٣). والآية الأخرى ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٤).

قال ابن جرير -رحمه الله-:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يتجردون من ثيابهم للطواف بالبيت ويحرمون أكل طيبات ما أحل الله لهم من رزقه، أيها القوم إن الله لم يحرم ما تحرمونه، بل أحل ذلك لعباده المؤمنين، وطيبه لهم، وإنما حرم ربي القبائح من الأشياء وهي الفواحش ما ظهر منها فكان علانية وما بطن منها فكان سرا في خفاء " ا.هـ.

قوله: ﴿ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾.

---

(٣) سورة الإسراء، آية ٣٦.

(٤) سورة الأعراف آية ٣٣.

قال ابن كثير-رحمه الله-: " قال السدّي: أما الإثم فالمعصية والبغي أن تبغي على الناس بغير الحق. وقال مجاهد: الإثم المعاصي كلها، وأخبر أن الباغي بغيه على نفسه، وحاصل ما فسر به الإثم أنـــه الخطايـــا المتعلقـــة بالفاعل نفسه والبغي هو التعدي على الناس فحرم الله هذا وهذا.

وقولـــه تعـــالى: ﴿ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ أي تجعلوا له شركاء في عبادتـــه ﴿ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ من الإفتراء والكذب من دعوى أن له ولد ونحو ذلك ممـــا لا علم لكم به كقوله ﴿ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ ﴾ الآية"ا.هـــ.

فائدة:

قال ابن القيم -رحمه الله-: " فذكر سبحانه المحرمـــات الأربـــع مبتدئا بالأسهل منها ثم ما هو أصعب منه، ثم كذلـــك حـــتى ختمـــها بأعظمها وأشدها وهو القول عليه بلا علم، فكيف بالكذب عليه قـــالوا: ولأن الكذب عليه بأنه قال كذا و لم يقله نسبة للقول المكذوب إليه بأنـــه قاله فالكاذب يعلم أن ما اختلقه كذب، فإذا نسبه إلى رســـول الله فقـــد نسب إليه الكذب، وهذا المذهب كما ترى قوة وظهورا ". انتهى مـــن بدائع التفسير}(٥)،قلت ووجه الاستدلال من هاتين الآيتـــين أن تسـمية الرب جلَّ وعلا بما لم يسمى به نفسه في كتابه أو صح به خبر الرســـول

(٥) كتابنا إمداد القاريء بشرح كتاب التفسير من صحيح البخاري ، ج ٢، ص ١٤٨.

ﷺ قولٌ عليه بلا علم واتباع للجهل والتخبط وليس عند القائل برهـان على ما سمى به ربه.

ثانياً : أن العقل مهما بلغ لا يمكنه إدراك ما يريد الله عز وجل من أسمائه أو صفاته وعلى هذا فيجب الوقوف عند النصوص وان يثبت مـا أثبته الله لنفسه ورسوله صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة عنه، ولا يجاوز النصوص.

ثالثاً: أن تسمية الله عز وجل بما لم يسمي به نفسه جناية في حقـه عز وجل، وسوء أدب معه، فوجب سلوك الأدب مع الله عـز وجـل، وسلوك الأدب على الوجه الذي يرضاه الله عز وجل هو الوقوف عنـد النصوص، وهكذا السني السلفي الذي هو من الفرقة الناجية والطائفـة المنصورة ومن أصحاب الأثر يسير مع النصوص إثباتا ونفيـاً ولا يحكـم عقله ويجعله متبوعاً للنصوص بل يجعل العقل تابعاً للنصوص، فـالنصوص هي المتبوعة، لأنه قد تقرر عند أهل السنة أن ما أراده الله سبحانه وتعـالى من أحكام في العقيدة أو العبادة العملية أو في المعاملة فيما بين الناس، قـد ضمنه كتابه أو جاءت به السنة الصحيحة عن النبي ﷺ، والله أعلم.

****

****

قال المصنف رحمه الله

القاعدة السادسة:

أسماء الله – تعالى –غير محصورة بعدد معين: لقوله صلى الله عليه وسلم، في الحديث المشهور: " أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك "(١). الحديث رواه أحمد وابن حبان والحاكم، وهو صحيح.

وما استأثر الله تعالى به في علم الغيب لا يمكن لأحدٍ حصره ولا الإحاطة به. فأما قوله صلى الله عليه وسلم: " إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة "(٢). فلا يدل على حصر الأسماء بهذا العدد ولو كان المراد الحصر لكانت العبارة: " إن أسماء الله تسعة وتسعون اسماً من أحصاها دخل الجنة أو نحو ذلك ".

(١) الحديث صحيح، السلسلة الصحيحة، للألباني ــ رحمه الله تعالى ــ رقم ١٩٩ المعارف، الرياض.

(٢) متفق عليه – أخرجه البخاري في كتبه: ك: الشروط، رقم ٢٧٣. ك: الدعوات، رقم ٦٤١٠، ك: التوحيد، رقم ٧٣٩٢. ب: لله مائة اسم.

و أخرجه مسلم، ك: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ج٤، رقم ٢٦٧٧.

إذن فمعنى الحديث: أن هذا العدد من شأنه أن من أحصاه دخل الجنة، وعلى هذا فيكون قوله: " من أحصاها دخل الجنة " جملة مكملة لما قبلها، وليست مستقلة، ونظير هذا أن تقول: عندي مائة درهم أعددها للصدقة، فإنه لا يمنع أن يكون عندك دراهم أخرى لم تعدها للصدقة. ولم يصح عن النبي ﷺ تعيين هذه الأسماء. والحديث المروي عنه في تعيينها ضعيف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في الفتاوى، ص ٣٨٢، جـ٦، من مجموع ابن قاسم: تعيينها ليس من كلام النبي ﷺ باتفاق أهل المعرفة بحديثه وقال قبل ذلك ص٣٧٩: " إن الوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشاميين كما جاء مفسراً في بعض طرق حديثه" أ.هـ. وقال ابن حجر في فتح الباري ص٢١٥ جـ١١،ط السلفية: " ليست العلة عند الشيخين (البخاري ومسلم)، تفرد الوليد فقط، بل الاختلاف فيه والاضطراب، وتدليسه واحتمال الإدراج" أ. هـ. ولما لم يصح تعيينها عن النبي ﷺ اختلف السلف فيه وروى عنهم في ذلك أنواع. وقد جمعت تسعة وتسعين اسماً مما ظهر لي من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ .

فمن كتاب الله ـــ تعالى ـــ:

الله الأحد الأعلى الأكرم الإله الأول

الآخر الظاهر الباطن البارىء البر البصير

التواب الجبار الحافظ الحسيب الحفيظ الحفي

الحق المبين الحكيم الحليم الحميد الحي

القيوم الخبير الخالق الخلاق الرؤوف الرحمن

الرحيم الرزاق الرقيب السلام السميع الشاكر

الشكور الشهيد الصمد العالم العزيز العظيم

العفو العليم العلي الغفار الغفور الغني

الفتاح القادر القهار القدوس القدير القريب

القوي القهار الكبير الكريم اللطيف المؤمن

المتعالي المتكبر المتين المجيب المجيد المحيط

المصور المقتدر المقيت الملك المالك المولى

المهيمن النصير الواحد الوارث الواسع الودود

الوكيل الولي الوهاب.

و من سنة رسول الله ﷺ :

الجميل، الجواد،الحكم، الحيي، الرب،الرفيق، السبوح،السيد، الشافي، الطيب، القابض، الباسط، المقدم، المؤخر، المحسن، المعطي، المنان، الوتر .

هذا ما أخترناه بالتتبع وهي واحد و ثمانون اسماً في كتاب الله – تعالى – و ثمانية عشر اسماً في سنة رسول الله ﷺ ، و إن كان عندنا تردد في إدخال ﴿ الحفي ﴾، لأنه إنما ورد مقيداً في قوله ـ تعالى ـ عن إبراهيم:

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾[1]. و كذلك ﴿ المحسن ﴾، لأننا لم نطلع على رواياته في الطبراني و قد ذكره شيخ الإسلام من الأسماء. ومن أسماء الله– تعالى – ما يكون مضافاً مثل: مالك الملك ذي الجلال والإكرام.

ش /: هذه القاعدة السادسة من قواعد الأسماء التي أَصّل لها المصنف – رحمه الله –: تتضمن:

<u>أولاً:</u> أن أسماء الرب جلّ جلاله ليست محصورة في عدد معين، والدليل قوله ﷺ (اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك ...) الحديث ؛ والشاهد منه في قوله ﷺ: " **أو استأثرت به في علم الغيب عندك**".

---

(١) سورة مريم، آية ٤٧.

ووجه الاستدلال أن ما استأثر الله بعلمه في الغيب لا سبيل للحصول عليه أبداً.

وثانياً: الجواب عن إشكال، وهو حول حديث " **إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة** "[1] وهذا الإشكال يتضمن أن أسماء الله محصورة في عدد معين، والجواب عن هذا الإشكال من أوجه:

الوجه الأول:

أن هذا الخبر لا يفيد الحصر، بل يفيد أن لله تسعة وتسعين اسما، هذه الأسماء من شأنها أن من أحصاها قولا وعملا واعتقادا فهو موعود بالجنة، لما تشتمل عليه من توحيد الله عز وجل وتمجيده والثناء عليه ومراقبته في السر والعلانية والحض على إخلاص الأعمال والأقوال لله تعالى.

الوجه الثاني:

أن هذا الخبر الذي قلنا إنه لا يفيد الحصر هو نظير قول القائل: عندي مائة ريال أو ألف ريال أعددتها للصدقة، فهذا القول لا يفيد حصر مال المتكلم في هذا العدد، بل يفيد أن ما أعده للصدقة محصور، فهو إذن لا يمنع أن عنده مال آخر ليس معداً للصدقة.

---

(١) متفق عليه – أخرجه البخاري في كتبه: ك: الشروط، رقم ٢٧٣. ك: الدعوات، رقم ٦٤١٠، ك: التوحيد، رقم ٧٣٩٢. ب: لله مائة اسم.

الوجه الثالث:

أن الرواية الواردة في تعيين أسماء الرب وعددها لم تصح بل هي ضعيفة عند أهل المعرفة بالحديث، فليس من علتها وسبب ضعفها تفرد الوليد بن مسلم - رحمه الله - بذلك، لكن هناك علل أخرى منها: التدليس، فالوليد بن مسلم - رحمه الله - مدلس و قد عنعن، وكذلك الاضطراب، فلما لم يصح تعيينها من حيث ذكرها وتعينها عن النبي ﷺ اختلف أهل العلم في ذلك اختلافاً كثيراً.

وخاتمة هذه القاعدة، أن المصنف رحمه الله اجتهد وجمع أسماء الله سبحانه وتعالى استنبطها من النصوص.

قوله: " وهذا ما اخترناه بالتتبع..إلخ"، هو ما قدمته أنه - رحمه الله - اجتهد، وتتبع النصوص واستنبط منها أسماء لله عز وجل.

وهذا التقرير يفيد **شيئين:**

أحدهما: تأكيد ما قدمناه أن الشيخ استنبط لله ما استنبط من الأسماء ودونه في كتابه القواعد المثلى بالتتبع.

والشيء الثاني: أنه عنده تردد في بعض ما دونه، وإن كان هناك بعض الأسماء لم ترد إلا مضافة مثل: مالك الملك، بديع السماوات والأرض، وأقول مما يعين على تعيين الاسم:

أولاً: أن يورد معرفاً مثل: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ... إلى آخر الآية: ﴿ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١).

ثانياً: الدعاء، إذا صح عن النبي ﷺ أنه دعا به مثل: يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، يا بديع السماوات والأرض، المنان. وحديث دعاء الكرب المشهور" لا اله إلا الله الحليم العظيم، لا اله إلا الله رب العرش العظيم، لا اله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم" (٢). والله أعلم.

****

****

***

(١) سورة الحشر، آية ٢٣.

(٢) سبق تخريجه ص٢٥.

قال المصنف رحمه الله تعالى

القاعدة السابعة:

الإلحاد في أسماء الله – تعالى –، هو الميل بها عما يجب فيها. وهو أنواع:

الأول: أن ينكر شيئاً منها أو مما دلت عليه الصفات والأحكام، كما فعل أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم. وإنما كان ذلك إلحاداً لوجوب الإيمان بها وبما دلت عليه من الأحكام والصفات اللائقة بالله فإنكار شيء من ذلك ميل بها عما يجب فيها.

الثاني: أن يجعلها دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين كما فعل أهل التشبيه، وذلك لأن التشبيه معنى باطل لا يمكن أن تدل عليه النصوص، بل هي دالة على بطلانه فجعلها دالة عليه ميل بها عما يجب فيها.

الثالث: أن يسمى الله _ تعالى _ بما لم يسم به نفسه،: كتسمية النصارى له: (الأب)، وتسمية الفلاسفة إياه (العلة الفاعلة)، وذلك لأن أسماء الله تعالى، توقيفية فتسمية الله تعالى بما لم يسم به نفسه ميل بها عما يجب فيها، كما أن هذه الأسماء التي سموه بها نفسها باطلة ينزه الله تعالى عنها.

الرابع: أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام، كما فعل المشركون في اشتقاق العزى من العزيز، واشتقاق اللات من الإله، على أحد القولين، فسموا بها أصنامهم وذلك لأن أسماء الله تعالى مختصة به لقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾[1]. وقوله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾[2]. وقوله: ﴿ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[3] فكما اختص بالعبادة وبالألوهية ا[illegible]، ما في السماوات والأرض فهو مختص بالأسماء الحسنى، فتس[illegible] الوجه الذي يختص بالله – عز وجل – ميل بها عما يجب ف[illegible]ع أنواعه محرم لأن الله – تعالى – هدد الملحدين بقوله: [illegible]لۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ [illegible]، شركاً، أو كفراً حسبما تقتضيه الأدلة الشرعية.

ش /: وأقول الإلحاد في اللغة معناه: الميل، والانحراف بالشيء عن وجهته، ومنه اللحد في القبر. سمي لحداً لانحرافه عن سمت القبر الأصل. وفي الشرع كما ذكر المصنف – رحمه الله –: هو الميل بأسماء الله عن

---

(1) سورة الأعراف، آية ١٨٠.

(2) سورة طه، آية ٨.

(3) سورة الحشر، آية ٢٤.

(4) سورة الأعراف، آية ١٨٠.

حقائقها وما تضمنته من أوصاف وكذلك جحد شيء منها وقد ذكر الشيخ - رحمه الله - أنواعاً من الإلحاد في أسماء الرب جل وعلا وهذه الأنواع سميت إلحادا في أسماء الله لأنه عدولٌ بما تضمنته أسماء الرب من أوصاف وأحكام، عدول بها عن ما تضمنته من أوصاف الجمال والجلال والكمال والأحكام التي هي حقٌ وصدق إلى ما هو باطل وافتراء على الله عز وجل وتعدٍ على مقام الربوبية، وهذه الأربع الأقسام من أقسام الإلحاد التي جنى بها الملحدون في حق الله عز وجل وافتروا عليه، وعدلوا بحقائق أسمائه إلى معانٍ باطلة، **منها**:

أولاً:

مسلك **المعطلة**، فالمعطلة من المعتزلة والجهمية قبلهم والأشاعرة بعدهم، نفوا ما تدل عليه أسماء الرب من صفات وأتوا بغيرها.

ثانياً:

مسلك **المشبهة**، وهم الذين شبهوا الله بخلقه فكذبوا آيات الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإجماع الأئمة من أهل الحق، وهذه الأدلة الثلاثة كلها متوافقة على أن الرب جلَّ وعلا لا يشبه شيئاً من خلقه كما أنه لا يشبهه أحدٌ من خلقه، عدلوا إلى تشبيه الله بخلقه شبهوا الكامل من جميع الوجوه بالمخلوق الناقص من جميع الوجوه، وهذا هو غاية في

الإلحاد، فالله عز وجل يقـــرر في كتابــه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (١)

قال ابن سعدي - رحمه الله تعالى -:

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾ أي: ليس يشبهه تعالى ولا يماثله، شيء من مخلوقاته، لا في ذاته، ولا في أسمائه، و لا في صفاته ، و لا في أفعالــه، لأن أسماءه كلها حسنى، و صفاته صفات كمال وعظمة، وأفعاله تعــلى، أوجد بها المخلوقات العظيمة، من غير مشارك. فليس كمثله شيء، لنفــراده، وتوحده بالكمال، من كل وجه.

﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات.

﴿ ٱلْبَصِيرُ ﴾ يرى دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء، علـــى الصخرة الصماء، ويرى سريان القوت في أعضاء الحيوانات الصغيرة جدا، وسريان الماء في الأغصان الدقيقة. وهذه الآية ونحوها، دليل لمذهب أهـــل السنة والجماعة، من إثبات الصفات، ونفي مماثلة المخلوق.

---

(١) سورة الشورى آية ١١.

وفيها رد، على المشبهة في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾وعلى المعطلة في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.} [1] ا. هـ.

وفي معناها(فلا تضربوا لله الأمثال)، (فلا تجعلوا لله أنـدادا وانتم تعلمون)، وهم يقولون: له يد كأيدينا، ووجه كوجوهنا، وهكذا.

ثالثاً:

مسلك **النصارى والفلاسفة**، وذلك أن هاتين الطائفتين الزائغتين الضالتين الكافرتين، إحداهما: سمت الله بأنه الأب، والثانية سمت الله العلة الفاعلة، فهؤلاء سموا الله بغير ما سمى به نفسه، فالله جلّ وعلا سمى نفسه بأسماء منها،: الأول والآخر والظاهر والباطن الحكيم العليم اللطيف الخبير الخالق البارئ المصور الحي القيوم القدوس السلام المؤمن المهيمن، والنصارى تقول أب، والفلاسفة تقول علة فاعلة، فمالوا عن ما سمى الله به نفسه إلى ما لم يسمي الله به نفسه، وليس فيه معنى كمال، بل هو نقص و جناية في حق ربنا جل ثناؤه.

الرابع:

اشتقاق أسماء الأصنام والأوثان من أسماء الرب جلّ وعلا، وهذا مسلك المشركين فسموا اللاّت من الإله، على قراءة التشديد اللات يعني الذي يلت السويق، فلما مات عكفوا على قبره وعبدوه. فيقولون أيضاً

---

(1) تفسير ابن سعدي الجزء الرابع صفحة من ٤١٢ إلى ٤١٣.

اللات مؤنث الإله، والعزى مؤنث العزيز، ومناة مؤنث المنان،فعاب الله عليهم صنعهم هذا وذمهم عليه وسماه جوْراً فقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۝ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾[١].

قال ابن سعدي ــ رحمه الله ــ:

{ فسموا " اللات " من " الإله " المستحق للعبادة، و " العزى " من " العزيز "، و " مناة " من " المنان " إلحادا في أسماء الله وجريا على الشرك به، وهذه أسماء متجردة من المعاني. فكل من له أدنى مسكة من عقل، يعلم بطلان هذه الأوصاف فيها ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ أي: أتجعلون لله البنات بزعمكم، ولكم البنون؟ ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ أي: ظالمة جائرة. وأي ظلم، أعظم من قسمة، تقتضي تفضيل العبد المخلوق على الخالق؟! تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا.

---

(١) سورة النجم الآية ١٩ إلى الآية ٢٣.

وقوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ أي: من حجة وبرهان على صحة مذهبكم. وكل أمر، ما أنزل الله فيه من سلطان، فهو باطل، فاسد، لا يتخذ دينا. وهم — في أنفسهم — ليسوا بمتبعين لبرهان، يتيقنون به ما ذهبوا إليه.

وإنما دلهم على قولهم، الظن الفاسد، والجهل الكاسد، وما تهواه أنفسهم من الشرك والبدع الموافقة لأهويتهم والحال أنه لا موجب لهم يقتضي ذلك، إلا اتباعهم الذي يرشدهم في باب التوحيد والنبوة، وجميع المطالب، التي يحتاج إليها العباد. والبراهين، ما يوجب لهم ولغيرهم، اتباعه. فلم يبق لأحد حجة، ولا عذر، من بعد البيان والبرهان. وإذا كان ماهم عليه. غايته اتباع الظن، ونهايته الشقاء الأبدي والعقاب السرمدي، فالبقاء على هذه الحال، من أسفه السفه، وأظلم الظلم، ومع ذلك يتمنون الأماني، ويغترون بأنفسهم. }[1] ا. هـ.

من فقه الآيات:

١ ـ تنزيه الله عز وجل عن النقائص و مشابهة الحوادث.

٢ ـ ذم المشركين و تقريعهم و تسفيه عقولهم و أحلامهم إذ عمدوا إلى غير الله عز وجل في جلب النفع و كشف الضر.

٣ ـ ذم الهوى إذ هو أعظم الصوارف عن قبول الحق.

---

(١) تفسير ابن السعدي الجزء الخامس صفحة ١٢٤-١٢٥.

٤ ـــ ليس في غير الكتاب و السنة وما جاء به الرسول ﷺ هدى.

فالله سبحانه وتعالى سمى نفسه بالأسماء الحسنى، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾[1]. وقال جلَّ وعلا: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[2]. وقال جلَّ وعلا: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[3]. فهذه الآيات وما في معناها لمن تأملها حق التأمل وأمعن فكره في تدبرها يظهر له **شيئان:**

أحدهما: وصف الرب جل وعلا أسماءه وهي التي سمى بها نفسه بالحسنى وقد تقدم معنى الحسن في أسماء الله عز وجل.

وثانيهما: التحذير من الإلحاد في أسماء الله ووجوب الوقوف في تسمية الرب جل وعلا على ما جاء به الكتاب أو صحت به سنة النبي ﷺ لأن ذلك هو ما اختاره الله لنفسه من الأسماء.

---

(1) سورة الحشر، آية ٢٤.

(2) سورة طه، آية ٨.

(3) سورة الأعراف، آية ١٨٠.

الباب الثاني

قواعد في صفات الله تعالى

القاعدة الأولى : صفات الله _ تعالى _ كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

القاعدة الثانية : باب الصفات أوسع من باب الأسماء.

القاعدة الثالثة : صفات الله _ تعالى _ تنقسم إلى قسمين :

* ثبوتية   * و سلبية.

القاعدة الرابعة : الصفات الثبوتية صفات مدح و كمال.

القاعدة الخامسة: الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين:

١ ـــ ذاتية.   ٢ ـــ و فعلية.

القاعدة السادسة: يلزم من إثبات الصفات التخلي عن محذورين عظيمين:

أحدهما: التمثيل. و **الثاني**: التكييف.

القاعدة السابعة : صفات الله - تعالى - توقيفية لا مجال للعقل فيها.

****

****

***

قال المصنف رحمه الله تعالى

قواعد في صفات الله تعالى

القاعدة الأولى:

صفات الله – تعالى – كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه .

صفات الله _ تعالى _ كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كالحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والرحمة، والعزة، والحكمة، والعلو، والعظمة، وغير ذلك . وقد دل على هذا السمع، والعقل، والفطرة.

أما السمع: فمنه قوله _ تعالى ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(١). والمثل الأعلى هو الوصف الأعلى.

وأما العقل: فوجهه أن كل موجود حقيقة، فلا بد أن تكون له صفة. إما صفة كمال، وإما صفة نقص. والثاني باطل بالنسبة إلى الرب الكامل المستحق للعبادة؛ ولهذا أظهر الله – تعالى – بطلان ألوهية الأصنام باتصافها بالنقص والعجز. فقال – تعالى –: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن

---

(١) سورة النحل، آية ٦٠.

دُعَآبِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴾[(١)]. وقال – تعـالى –: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾[(٢)] وقال عن إبراهيم وهو يحتج على أبيه: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾[(٣)]، وعلى قومه: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[(٤)].

ثم إنه قد ثبت بالحس والمشاهدة أن للمخلوق صفات كمال، وهي من الله – تعالى– فمعطى الكمال أولى به.

وأما الفطرة: فلأن النفوس السليمة مجبولة مفطورة على محبة الله وتعظيمه، وعبادته، وهل تحب وتعظم وتعبد إلا من علمت أنه متصف بصفات الكمال اللائقة بربوبيته وألوهيته؟

ش / :لما فرغ المصنف – رحمه الله – من تقرير القواعد الجليلة الجميلة في أسماء الرب تعالى ذكره و جل ثناؤه . وهي في الحقيقة أصول

(١) سورة الأحقاف، آية ٥.
(٢) سورة النحل، الآيتان ٢٠-٢١.
(٣) سورة مريم، آية ٤٢.
(٤) سورة الأنبياء، الآيتان ٦٦-٦٧.

عظيمة بديعة، يجب على المسلم الذي يريد أن يفقه الاعتقاد الصحيح في توحيد الأسماء والصفات خاصة وفي التوحيد عامة أن يعي تلك القواعد، شرع في تقرير الأصول والقواعد المعتبرة في صفات الرب جلّ وعلا، وفي هذا النهج السديد الذي سلكه المصنف - رحمه الله - مقتفياً أثار من سبقه من أئمة الهدى أئمة السنة والجماعة، سدوا الطريق على أهل التعطيل الذين نفوا الأسماء والصفات بالكلية ، أو نفوا جميع الصفات وإن أثبتوا الأسماء وهم المعتزلة، أو نفوا بعض الصفات وأثبتوا بعضها وهم الأشاعرة ومن لف لفهم، فما أبدع هذا الصنيع جزى الله المصنف خير الجزاء، وجعله في ميزان أعماله راجحاً يوم القيامة، فإنه والله معروفٌ في هذا الكتاب وفي غيره من مؤلفاته، وما نشر عنه من العلم والتعليم الذب عن السنة ونصرها.

القاعدة الأولى:

و تتضمن أمورا يجب اعتبارها في صفات الرب عز وجل.

الأمر الأول:

أن صفات الله عز وجل كلها صفات كمال ليس فيها نقص بوجهٍ من الوجوه فهي اكمل الصفات وهذا الأمر توافق عليه السمع يعني النقل أو الشرع والعقل والفطرة، فلا اعظم في الاستدلال من موافقة هذه الأدلة

الثلاثة فمن السمع قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[١].

قال ابن سعدي - رحمه الله تعالى -: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ﴾ أي: المثل الناقص والعيب التام.

﴿ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ﴾ وهو كل صفة كمال، وكل كمال في الوجود، فالله أحق به، من غير أن يستلزم ذلك نقصا بوجه من الوجوه. وله المثل الأعلى في قلوب أوليائه، وهو التعظيم والإجلال، والمحبة والإنابة والمعرفة.

﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ الذي قهر جميع الأشياء، وانقادت له المخلوقات بأسرها.

﴿ الْحَكِيمُ ﴾ الذي يضع الأشياء مواضعها، فلا يأمر، ولا يفعل إلا ما يحمد عليه، ويثنى على كماله فيه. }[٢] ا. هـ.

فالله سبحانه وتعالى اخبر في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أنه سبحانه وتعالى هو صاحب المثل الأعلى، والمثل الأعلى هو الوصف الأعلى، و أما الذين لا يؤمنون بالآخرة فوصفهم هو وصف السوء، هذا من جهة الشرع الذي يعبر الشيخ عنه - رحمه الله - دائماً بالسمع. ومن

---

(١) سورة النحل، آية ٦٠ .

(٢) شرح ابن السعدي الجزء الثالث صفحة ٦٦

أصدق من الله حديثا، ومن أصدق من الله قيلاً، فالله سبحانه وتعالى أعلم بنفسه من خلقه فما اخبر به عن نفسه من الأوصاف فلا يجوز التردد في قبوله، بل يجب التسليم له وتصديقه والانقياد له، فإن ذلك من أصل الدين، دين الإسلام.

وأما العقل وهو الدليل الثاني في هذه القاعدة العظيمة الجليلة:

فمن وجوه:

الوجه الأول: أن كل موجود لا بد له من وصف إما وصف كمال، وإما وصف نقص.

فالثاني: الذي هو وصف النقص باطل في حق الله عز وجل، **والأول** هو المتعيِّن في حق الله عز وجل، فأوصافه جلَّ وعلا أكمل الأوصاف، وما نال أحداً من خلقه وصف كمال فيما نراه ونشاهده أو فيما أخبر به الله في كتابه أو جاءت به السنة، فإن الله هو معطي ذلك الكمال وله جلَّ وعز من الأوصاف فوق تلك الأوصاف، فكماله أكمل من الأوصاف التي جاءنا بها الخبر عن بعض خلق الله عز وجل، هذا وجه.

والوجه الثاني: ما أخبر الله به عز وجل، من بطلان ألوهية الأصنام باتصافها بالنقص والعجز، وذلك في كتابه في مواضع اكثر من أن تحصى واشهر من أن تذكر وقد أورد المصنف من ذلك ما يأتي:

أولاً: قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾[1].

قال ابن سعدي - رحمه الله تعالى -: {ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ أي: مدة مقامه في الدنيا، لا ينتفع به مثقال ذرة، ﴿ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾. لا يسمعون منهم دعاء، ولا يجيبون لهم نداء، هذا حالهم في الدنيا }[2] ا. هـ.

ثانياً: و قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾[3].

قال ابن سعدي - رحمه الله تعالى -:{ فإنهم ﴿ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا ﴾ قليلا ولا كثيرا ﴿ وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾. فكيف يخلقون شيئا مع افتقارهم في إيجادهم إلى الله تعالى!! ومع هذا، ليس فيهم من أوصاف الكمال شئ، لا علم، ولا غيره.

---

(١) سورة الأحقاف، آية ٥ .

(٢) شرح ابن السعدي الجزء الخامس صفحة ٧.

(٣) سورة النحل الآيتين ٢٠،٢١.

﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ﴾ فلا تسمع، ولا تبصر، ولا تعقل شيئا، أفتتخذ هذه آلهة من دون رب العالمين. فتبا لعقول المشركين، ما أضلها، وأفسدها، حيث ضلت في أظهر الأشياء فسادا, وسووا بين الناقص من جميع الوجوه فلا أوصاف كمال، ولا شيء من الأفعال، وبين الكامل من جميع الوجوه الذي له كل صفة كمال، وله من تلك الصفة أكملها وأعظمها. فله العلم المحيط بكل الأشياء، والقدرة العامة، والرحمة الواسعة، التي ملأت جميع العوالم، والحمد والمجد والكبرياء والعظمة، التي لا يقدر أحد من الخلق، أن يحيط ببعض أوصافه. } [1] ا. هـ.

ثالثاً: في احتجاج إبراهيم على أبيه قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾ [2].

قال ابن سعدي ــ رحمه الله تعالى ــ: { وذكر الله مراجعته إياه فقال: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ ﴾ مهجنا له عبادة الأوثان ﴿ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾. أي: لم تعبد أصناما، ناقصة في ذاتها وفي أفعالها، فلا تسمع، ولا تبصر ولا تملك لعابدها، نفعا ولا ضرا، بل لا تملك لأنفسها شيئا من النفع، ولا تقدر على شيء من الدفع. فهذا برهان جلي دال على أن عبادة الناقص، في ذاته، وأفعاله،

(١) شرح ابن السعدي الجزء الثالث صفحة ٥٣.

(٢) سورة مريم آية ٤٢.

مستقبح عقلا وشرعا. ودل تنبيهه وإشارته، أن الذي يجب ويحسن عبـلدة من له الكمال الذي، لا ينال العباد نعمة إلا منه، ولا يدفع عنهم نقمـــة، إلا هو، وهو الله تعالى. }[1]ا. هـــ.

رابعاً: وفي احتجاج إبراهيم ﷺ على قومه - قال تعالى-: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[2].

قال ابن سعدي ــ رحمه الله تعالى ــ: { فقال إبراهيم – موبخا لهم ومعلنا بشركهم على رءوس الأشهاد، ومبينا عدم استحقاق آلهتهم للعبـــادة –: ﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾. فلا نفع ولا دفع ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي: ما أضلكم وأخسر صفقتكم، وما أخسركم، أنتم وما عبدتم من دون الله.

(١) شرح السعدي الجزء الثالث صفحة ٢٠٤.

(٢) سورة الأنبياء الآيتين ٦٦- ٦٧.

﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾لتعرفوا هذه الحال. فلما عدمتم العقل، وارتكبتم الجهل والضلال على بصيرة، صارت البهائم، أحسن حالا منكم. فحينئذ لما أفحمهم، ولم يبينوا حجة، استعملوا قوتهم في معاقبته. }[(١)]ا. هـ .

قلت: وهذا هو نهاية العجز، والآيات في هذا الباب معلومات، فمن كانت له دراية بكتاب الله عز وجل تلاوة وتدبراً، وفقهاً، وصحة استدلال، وقوة استنباط، يعرف ذلك.

والدليل الثالث:

من الفطرة وهو أن ذوي العقول السليمة مجبولون على محبة الله عز وجل وعبادته وهل تتفق هذه النفوس السليمة على هذه الأمور وهي محبة الله وعبادته عز وجل وأنه وحده مستحق العبادة، وأنه لا أحب منه أحد لا في الأرض ولا في السماء؟! إلا من علمت أنه له المثل الأعلى والوصف الأكمل.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وإذا كانت الصفة نقصاً لا كمال فيها فهي ممتنعة في حق الله تعالى.

كالموت والجهل، والنسيان، والعجز، والعمى، والصمم ونحوها، لقوله - تعالى -: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾[(٢)]. وقوله عن موسى:

---

(١) شرح ابن السعدي الجزء الثالث صفحة ٢٨٨.

(٢) سورة الفرقان، الآية ٥٨.

﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾[(١)] وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾[(٢)] وقوله: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾[(٣)] وقال النبي، صلى الله عليه وسلم، في الدجال: " إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور "[(٤)]. وقال: " أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم، ولا غائباً "[(٥)].

وقد عاقب الله _ تعالى _ الواصفين له بالنقص، كما في قوله – تعالى–: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾[(٦)] وقوله: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا

---

(١) سورة طه، الآية ٥٢.

(٢) سورة فاطر آية ٤٤.

(٣) سورة الزخرف آية ٨٠.

(٤) أخرجه البخاري،ك: التوحيد،ب: قوله تعالى: (ولتصنع على عيني)، سورة طه، رقم ٧٤٠٨، وكذلك أخرج مسلم، ج ٤، ك: الفتن، ب: ذكر الدجال وصفته، رقم ١٠٠ /١٦٩.

(٥) أخرجه مسلم،ك: الذكر و الدعاء و التوبة، ب: استحباب خفض الصوت، ج ٤، رقم: ٢٧٠٤ ؛ ت فؤاد عبد الباقي.

(٦) سورة المائدة آية ٦٤.

وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾(١). ونـزه نفسه عما يصفونه به من النقائص، فقال -سبحانه-: ﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾(٣).

ش/: الأوصاف والصفات من حيث هي تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: صفات كمال ليس فيها نقص بأي حال، فهذه تثبت لله عز وجل مثل: العظمة والعزة والعلو وغير ذلك وقد تقدم ذكرها.

القسم الثاني: صفات النقص وقد ذكر المصنف في هذا الباب ثمانيةً من الأدلة على أنها ممتنعة في حق الله جل وعلا.

---

(١) سورة آل عمران آية ١٨١.

(٢) سورة الصافات الآيات ١٨٠، ١٨١، ١٨٢.

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه القعيدة الواسطية ، شرح الفوزان، ص ١٩،:فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل، و سلم على المرسلين لسلامة ماقالوه من النقص و العيب.

(٣) سورة المؤمنون، الآية ٩٢.

أولاً: قوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾.

قال ابن كثير - رحمه الله -: { وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الله بن محمد بن علي بن نفيل قال قرأت على مَعْقِل يعني ابن عبيد الله عن عبد الله بن أبي حسين عن شهر بن حوشب قال: لقي سلمان النبي ﷺ في بعض فجاج المدينة فسجد له فقال: " **لا تسجد لي يا سلمان واسجد للحي الذي لا يموت** " وهذا مرسل حسن. وقوله تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ ﴾ أي اقرن بين حمده وتسبيحه، ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول " **سبحانك اللهم ربنا وبحمدك** " أي أخلص له العبادة والتوكل.

كما قال تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾.

وقال تعالى: ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ ﴾ وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾ أي:

بعلمه التام الذي لا يخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة}[١]ا.هـ.

ثانياً: وقوله عن موسى:

﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾[٢].

قال ابن كثير: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّى وَيَنسَى﴾ أي: لا يشذ عنه شيء ولا يفوته صغير ولا كبير ولا ينسى شيئا يصف علمه تعالى بأنه بكل شيء محيط وأنه لا ينسى شيئا تبارك وتعالى وتقدس وتنزه فإن علم المخلوق يعتريه نقصانان أحدهما: عدم الإحاطة بالشيء. والآخر نسيانه بعد علمه فنزه نفسه عن ذلك. }[٣]ا.هـ.

ثالثاً: وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تمامها ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[٤].

---

(١) تفسير القرآن العظيم للامام الحافظ أبي فداء اسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي المجلد الثالث.

(٢) سورة طه اية ٥٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم للامام الحافظ أبي فداء اسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي المجلد الثالث ص ١٦٣.

(٤) سورة فاطر آية ٤٤.

قال ابن سعدي – رحمه الله –: { ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ لكمال علمه وقدرته ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا﴾ بالأشياء كلها ﴿قَدِيرًا﴾ عليها. } ا. هـ.

رابعا: وقوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾(١).

قال ابن سعدي – رحمه الله: { ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ ﴾ بجهلهم وظلمهم ﴿ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ ﴾ الذي لم يتكلموا به، بل هو سر في قلوبهم ﴿ وَنَجْوَىٰهُمۚ ﴾ أي: كلامهم الخفي الذي يتناجون به، أي: فلذلك أقاموا على المعاصي، وظنوا أنها لا تبعة لها ولا مجازاة على ما خفي منها.

فرد الله عليهم بقوله: ﴿ بَلَىٰ ﴾، إنا نعلم سرهم ونجواهم ﴿ وَرُسُلُنَا ﴾ الملائكة ﴿ لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ كل ما عملوه، سيحفظ ذلك عليهم، حتى يردوا القيامة فيجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحدا }(٢) ا. هـ.

خامساً: وقال النبي ﷺ في الدجال: " إنه أعور وإن ربكم ليس

---

(١) سورة الزخرف آية ٨٠.

(٢) تفسير ابن السعدي الجزء الرابع ص٤٥٨-٤٥٩.

بأعور "[١].

سادساً: وقال: " أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم، ولا غائباً "[٢].

سابعاً: معاقبته جل وعلا الواصفين له بالنقص كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ﴾[٤].

ثامناً: تنزيهه نفسه عما يصفونه من النقائص، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في:ك التوحيد، باب: قوله تعالى: (ولتصنع على عيني) سورة طه، ج ٥، رقم: ٧٤٠٨. وكذلك أخرجه مسلم، ك: الفتن، باب: ذكر الدجال و صفته .

(٢) هامش ١١٠.

(٣) سورة المائدة آية رقم (٦٤).

(٤) سورة آل عمران آية رقم (١٨١).

(٥) سورة الصافات آية (١٨٠-١٨٢).

وقولـه تعـالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾(١).

ص /: وإذا كانت الصفة كمال في حال ونقصاً في حال لم تكن جائزة في حق الله ولا ممتنعة على سبيل الإطلاق فلا تثبت له إثباتاً مطلقاً ولا تنفي عنه نفياً مطلقاً بل لابد من التفصيل: فتجوز في الحال التي تكون كمالاً، وتمتنع في الحال التي تكون نقصاً وذلك كالمكر، والكيد، والخداع ونحوها فهذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها لأنها حينئذ تدل على أن فاعلها قادر على مقابلة عدوه بمثل فعله أو أشد، وتكون نقصاً في غير هذه الحال ولهذا لم يذكرها الله تعالى من صفاته على سبيل الإطلاق وإنما ذكرها في مقابلة من يعاملونه ورسله بمثلها كقوله – تعالى –:

﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾(٢). وقوله: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾(٣). وقولـه ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ

---

(١) سورة المؤمنون آية (٩١).

(٢) سورة الأنفال آية ٣٠.

(٣) سورة الطارق ، الآيتان: ١٥، ١٦.

كَيْدِي مَتِينٌ ﴾[1]. وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾[2]. وقوله: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾[3]. ولهذا لم يذكر الله أنه خان من خانوه فقال -تعالى-: ﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[4]. فقال: ﴿ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ ﴾، ولم يقل: فخانهم، لأن الخيانة خدعة في مقام الائتمان، وهي صفة ذم مطلقاً. وبذا عرف أن قول بعض العوام (خان الله من يخون) منكر فاحش، يجب النهي عنه.

ش /: وأقول: يقرر الشيخ - رحمه الله - المنهج الحق فيما كان من الأوصاف فيه كمال من وجه ونقص من وجه آخر وهو القسم الثالث، فيكون في بعض الاستعمالات هو كمال وفي بعض الاستعمالات هو نقص، فالمنهج الحق السديد أن هذه الأوصاف لا تثبت لله إثباتا مطلقاً، ولا تنفى عنه نفياً مطلقاً، بل تثبت في الحال التي هي فيها حال كمال وتنفى في الحال التي هي فيها حال نقص، مثال ذلك: الكيد، والمكر، والسخرية، والاستهزاء، فلو قال قائل: هل الله يمكر؟ نقول: يمكر

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٨٢، ١٨٣.

(٢) سورة النساء، آية: ١٤٢ .

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ١٤،١٥.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٧١.

بمن يمكر، يكيد؟ نقول: يكيد بمن يكيد، هل الله يستهزئ؟! نقول: يستهزئ بمن يستهزئ، هل الله يسخر؟! نقول: يسخر بمن يسخر، فهي تستعمل في المقابلة لبيان أن المتصف بها قادر على مقابلة عدوه ومجازاته بأكبر مما يصنع. فالله سبحانه وتعالى وصف نفسه بهذه الصفات في مقابل ما يصنعه المكذبون مع الرسل ليبين سبحانه وتعالى أنه قادر على مقابلة هؤلاء المكذبين أشد جزاء وعقاب أكبر مما به يتصدى هؤلاء المكذبون لرسوله ﷺ، واستمع ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾. ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾.

فلا يجوز للمسلم أن يقول: إن الله يكيد، إن الله يمكر، إن الله يسخر، لا، بل لابد من ذكر المقابل حتى يستبين السامع أن الله عز وجل يفعل هذه الأفعال أو هذه الأوصاف مقابلة،لأنها إذا ذكرت مطلقة فإنها تحتمل الكمال والنقص.

قال المصنف رحمه الله تعالى

القاعدة الثانية:

باب الصفات أوسع من باب الأسماء، وذلك لأن كل اسم متضمن لصفة كما سبق في القاعدة الثالثة من قواعد الأسماء، ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله – تعالى –، وأفعاله لا منتهى لها، كما أن أقواله لا منتهى لها قال الله - تعالى -: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1] . ومن أمثلة ذلك: أن من صفات الله – تعالى – المجيء، والإتيان،والأخذ، والإمساك، والبطش، إلى غير ذلك من الصفات التي لا تحصى. كما قال –تعالى–: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾[2] .

وقال : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾[3] . وقال: ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ ﴾[4] .

---

(١) سورة لقمان ، آية : ٢٧ .

(٢) سورة الفجر ، آية : ٢٢ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ٢١٠ .

(٤) سورة آل عمران ، آية : ١١ .

وقال : ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾(٥) . وقال: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾(٦) . وقال: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾(٧) . وقال النبيﷺ : " يترل ربنا إلى السماء الدنيا" (٨) فنصف الله -تعالى- بهذه الصفات على الوجه الوارد، ولا نسميه بها، فلا نقول: إن من أسمائه الجائي، والآتي، والآخذ، والممسك، والباطش، والمريد، والنازل، ونحو ذلك، وإن كنا نخبر بذلك عنه ونصفه به.

ش / : وهذه القاعدة خلاصة ما تضمنته:

أولاً: أن الله سبحانه وتعالى يوصف بما وصف به نفسه من الأوصاف كالمجئ، والإتيان، والإرادة، وكذلك الرضا، والسخط، والغضب، والبطش، والانتقام، ولا يسمى من ذلك اسم، فلا يشتق له

---

(٥) سورة الحج ، آية : ٦٥ .

(٦) سورة البروج ، آية : ١٢ .

(٧) سورة البرقرة ، آية : ١٨٥ .

(٨) أخرجه البخاري،ك التهجد، ب:الدعاء والصلاة من آخر الليل، ج٣، رقم ١١٤٥، وكذلك أخرجه مسلم ك: صلاة المسافرين وقصرها، ب: الترغيب في الدعاء والذكر آخر الليل والإجابة فيه، ج١، رقم ٧٥٨؛ ولفظه عند البخاري: (عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " يترل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلة إلى سماء الدنيا ...) .

اسمٌ من هذه الأوصاف وما ماثلها، أولاً: لأن باب الأفعال أو باب الأوصاف أوسع فإن كل اسم ثبت لله عز وجل يتضمن صفة له، وثانياً: لأن أسماء الله تعالى توقيفية، وعلى هذا فلا يقال: إن من أسماء الله الجائي، الشائي، القابض، الباطش، لا يقال هذا، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن، مسميات هذه الأفعال منها ما يحتمل مدحاً ومنها ما يحتمل ذماً، ولا يوصف الله عز وجل إلا بما هو مدح. وعلى هذا فيجب الاقتصار في الأسماء على ما سمّى الله به نفسه، ولا يؤخذ له من كل صفة وردت اسم بناء على ورود الصفة.

وثانياً : أنه يجوز في الإخبار ما لا يجوز في التسمية، فتقول إن الله سبحانه تعالى قابضٌ، باسط، على سبيل الإخبار، وتقول:إنه سبحانه وتعالى ممسكٌ للسماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وممسك للسماء والأرض أن تزول، وهو سبحانه وتعالى منتقم من كل ظالم، فهذا على سبيل الإخبار، لا على سبيل التسمية. والله أعلم.

****

****

قال المصنف رحمه الله

القاعدة الثالثة:

صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين: ثبوتية وسلبية: فالثبوتية: ما أثبته الله – تعالى – لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه كالحياة والعلم، والقدرة، والاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والوجه، واليدين، ونحو ذلك. فيجب إثباتها لله – تعالى – حقيقة على الوجه اللائق به، بدليل السمع والعقل.

أما السمع: فمنه قوله ـ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾[1]. فالإيمان بالله يتضمن: الإيمان بصفاته، والإيمان بالكتاب الذي نزل على رسوله يتضمن الإيمان بكل ما جاء فيه من صفات الله، وكون محمد ﷺ رسوله يتضمن الإيمان بكل ما أخبر به عن مرسله، وهو الله - عز وجل - .

وأما العقل: فلأن الله – تعالى – أخبر بها عن نفسه، وهو أعلم بها من غيره، وأصدق قيلا، وأحسن حديثا من غيره، فوجب إثباتها له كما أخبر بها من غير تردد، فإن التردد في الخبر إنما يتأتى حين يكون

---

(١) سورة النساء، آية ١٣٦ .

الخبر صادراً ممن يجوز عليه الجهل، أو الكذب، أو العِي بحيث لا يفصح بما يريد، وكل هذه العيوب الثلاثة ممتنعة في حق الله - ﷻ - فوجب قبول خبره على ما أخبر به.

وهكذا نقول فيما أخبر به النبي ﷺ ، عن الله – تعالى –، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بربه وأصدقهم خبراً وأنصحهم إرادة، وأفصحهم بياناً، فوجب قبول ما أخبر به على ما هو عليه.

ش / : هذه القاعدة الثالثة من قواعد الصفات والأصول، التي يجب على المسلم أن يسلكها حيال صفات الرب جلّ وعلا، وهذه القاعدة تتضمن المنهج الحق والمسلك السديد الذي يجب على المسلم أن يسلكه في صفات ربه إثباتا ونفياً، ومن هنا كان تقسيم الصفات الإلهية كما ذكر المصنف – رحمه الله تعالى – إلى قسمين: **القسم الأول:** الصفات الثبوتية، وهي كل صفة أثبتها الله لنفسه في كتابه أو جاءت في السنة الصحيحة كالعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والوجه، واليدين، والقدم، والرجل، والضحك، والفرح، والرضا، والسخط، فكل هذه الصفات وما أثبته الله لنفسه في كتابه، وجب إثباتها لله سبحانه وتعالى. فهذه الصفات التي ذكرناها منها ما هو في الكتاب والسنة ومنها ما هو في السنة، وسواء كان هذا أو ذاك فالإيمان بالله عز وجل يقتضي الإيمان بالجميع – أعني كل صفة جاءت مثبتة في كتاب الله أو في سنة رسوله ﷺ

ومن هنا يستبين لك أيها المسلم أن مصادر إثبات الصفات مصدران فقط وهما:

القرآن الكريم، والسنة الصحيحة وليس للعقل في إثبات الصفات أو نفيها مجال، وهذا - أعني إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ - ثابت بدليل السمع والعقل. فدليل السمع: آية النساء : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [1] .

قال ابن كثير ــ رحمه الله تعالى ــ : { يأمر تعالى عباده المؤمنين بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه ودعائمه، وليس هذا من باب تحصيل الحاصل، بل من باب تكميل الكامل وتقريره وتثبيته والاستمرار عليه. كما يقول المؤمن في كل صلاة: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ أي: بصرنا فيه، وزدنا هدى ، وثبتنا عليه. فأمرهم بالإيمان به وبرسوله، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ ﴾ . وقوله: ﴿ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ ، يعني القرآن ﴿ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ ﴾ وهذا جنس يشمل جميع

---

(١) سورة النساء آية ١٣٦.

الكتب المتقدمة، وقال في القرآن: (نزل) لأنه نزل مفرقا منجما على الوقائع، بحسب ما يحتاج العباد إليه في مَعادِهم ومعاشهم، وأما الكتب المتقدمة فكانت تنزل جملة واحدة، ولهذا قال: ﴿ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ﴾ ثم قال: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ . أي: فقد خرج عن طريق الهدى، وبعد عن القصد كل البعد. }[1] ا . هـ .

قلت : و قد بين المصنف - رحمه الله تعالى - وجه الدلالة من الآية على إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو أثبته له رسوله ﷺ فقال : **(فالإيمان بالله يتضمن: الإيمان بصفاته، والإيمان بالكتاب الذي نزل على رسوله يتضمن الإيمان بكل ما جاء فيه من صفات الله، وكون محمد ﷺ رسوله يتضمن الإيمان بكل ما أخبر به عن مرسله، وهو الله - عز وجل -).**

وأقول: وذلك أن من الإيمان بالله الإيمان بصفاته التي جاءت في كتابه أو في سنة رسول الله ﷺ ، الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه، والإيمان بالكتاب يتضمن التصديق الجازم والاعتقاد السالم من الشك والريب بكل ما أودع الله فيه من صفاته، والإيمان بالنبي ﷺ ، يستلزم تصديقه بكل ما أخبر به عن ربه، ومن ذلك صفات الرب سبحانه وتعالى. وأما الدليل العقلي: فوجهه أن الذي اخبر بصفات الرب هو

---

(١) تفسير ابن كثير المجلد الثاني خرج أحاديثه الشيخ مقبل بن هادي الوادعي صفحة ٥٢٧.

الرب سبحانه وتعالى نفسه، فوجب قبول خبره عن نفسه وصفاته التي وصف بها نفسه، لأنه سبحانه وتعالى هو اعلم بنفسه من خلقه، هذا وجه. ووجهٌ آخر وهو: عدم التردد وهذا يعني التصديق الجازم بأن من صفات الله كذا وكذا كما جاءت في كتابه، أخبر بها عن نفسه، لأن التردد في الخبر الباعث عليه أحد عيوبٍ ثلاثة: وتلك العيوب هي:

أولاً : إذا كان المخبر يجوز عليه الجهل .

والثاني : الكذب .

والثالث: إذا كان المخبر من أصحاب العجز والعِي.

وهذه كلها منتفية عن الرب جلّ وعلا، فكلامه أصدق الكلام وأفصح الكلام، ومن أصدق من الله حديثاً، ومن أصدق من الله قيلاً. وكذلك يقال في خبر النبي ﷺ ، فإن النبي ﷺ هو أعلم الناس بالله، وأصدقهم خبراً عنه، فهو ﷺ لا يخبر عن ربه إلا بما يأتيه من الوحي، كما قال جلّ ذكره:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[1].

وقال ﷺ : " ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ... "[2] الحديث إلى أن

---

(١) سورة النجم ، الآيتان ٣ ،٤ .

(٢) صحيح أبي داود ، للألباني رحمه الله ـــ تعالى ـــ ج ٣ ، ك : السنة ، ب : شرح السنة ، رقم : ٣٨٤٨ ، و لفظه : عن المقدام بن معد يكرب ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : " ألا إني أتيت الكتاب و مثله معه ... " .

قال .... ألا إن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله ". ثم هو ﷺ أفصح الناس بياناً، وانصحهم، فوجب إذاً التسليم الجازم بأن ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو صح به النقل عن النبي ﷺ يجب اعتقاد ذلك وأنه حق على حقيقته، يصان عن الظنون الكاذبة، والاحتمالات الفاسدة، والتخيلات الباطلة .

قال المصنف رحمه الله تعالى:

وأما الصفات السلبية: فهي ما نفاها الله -سبحانه- عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله، ﷺ، وكلها صفات نقص في حقه كالموت، والنوم، والجهل، والنسيان، والعجز، والتعب.

فيجب نفيها عن الله - تعالى - (لما سبق) مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل، وذلك لأن ما نفاه الله - تعالى - عن نفسه فالمراد به بيان انتفائه لثبوت كمال ضده، لا لمجرد نفيه، لأن النفي ليس بكمال، إلا أن يتضمن ما يدل على الكمال، وذلك لأن النفي عدم، والعدم ليس بشئ، فضلاً عن أن يكون كمالاً، ولأن النفي قد يكون لعدم قابلية المحل له، فلا يكون كمالاً كما لو قلت: الجدار لا يظلم. وقد يكون للعجز عن القيام به فيكون نقصاً، كما في قول الشاعر:

قُبَيِّلَةٌ لا يغدرون بذمة

ولا يظلمون الناس حبة خردل

وقول الآخر:

لكن قومي وإن كانوا ذوي حسب

ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

مثال ذلك قوله – تعالى – : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾(١). فنفي الموت عنه، يتضمن كمال حياته.

مثال آخر: قوله – تعالى –: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾(٢). فنفي الظلم عنه يتضمن كمال عدله.

مثال ثالث: قوله – تعالى –: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾(٣). فنفي العجز عنه يتضمن كمال علمه وقدرته. ولهذا قال بعده: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ . لأن العجز سببه : إما الجهل بأسباب الإيجاد، وإما قصور القدرة عنه، فلكمال علم الله – تعالى – وقدرته لم يكن ليعجزه شيء في السموات ولا في الأرض.

وبهذا المثال علمنا أن الصفة السلبية قد تتضمن أكثر من كمال.

ش / : وأقول: هذا هو الأمر الثاني في منهج الحق الذي تضمنته هذه القاعدة، وهي القاعدة الثالثة من قواعد الصفات. وهذا الأمر يتضمن عدة مسائل:

---

(١) سورة الفرقان ، ٥٨ .

(٢) سورة الكهف ، آية ٤٩ .

(٣) سورة فاطر ، آية ٤٤ .

المسألة الأولى: في حد الصفات السلبية، فالصفات السلبية هي كل ما نفاه الله عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ .

المسألة الثانية: في المنهج الذي يسلكه المسلم حيال الصفات السلبية، فإن المسلم يجب عليه حيال الصفات السلبية – وهي الصفات المنفية – شيئان:

الشيء الأول: نفيها عن الله، كما نفاها الله عن نفسه أو نفاها عنه رسوله ﷺ .

والشيء الثاني: إثبات كمال ضدها .

فالشيخ – رحمه الله – ذكر من الكتاب الكريم أدلة على الصفات السلبية، أدلة تتضمن نفي صفات عن الله عز وجل، فنأخذ مثالا واحدا منها منبهين به على بقية الأمثلة، فالمثال الذي نريد التنبيه به على بقية الأمثلة هو في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[1]. قلت و نظيره قوله تعالى: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[2] . فيجب على المسلم

أولا: أن ينفي ما نفاه الله عن نفسه في هاتين الآيتين من الظلم. ويجب عليه ثانيا: أن يثبت كمال ضدها وهو العدل وهكذا. فننفي عن الرب جل وعلا الجهل، ونثبت له كمال العلم، ولا نقول العلم بل كمال العلم، وننفي عنه العجز ونثبت له كمال القدرة كذلك مع كمال العلم.

---

(١) سورة الكهف ، آية ٤٩

(٢) سورة فصلت ، آية ٤٦ .

فإن العجز سببه إما عدم القدرة أو الجهل بأسباب الإيجاد، وننفي ما نفاه عن نفسه من الموت، ونثبت له الحياة الكاملة.

المسألة الثالثة: و هي عبارة عن إشكال، وهو لماذا، الشيخ - رحمه الله - ذكر أن النفي المجرد ليس فيه كمال، فنقول:

أولاً : لأن النفي عدم، والعدم ليس فيه مدح ، والمدح إنما يكون في الكمال لا في النفي المجرد ، فالنفي المجرد لا يتضمن كمالاً ولا مدحا، والله سبحانه وتعالى أحق أن يمدح، فإذاً لا يمدح إلا بما يتضمن كماله.

ثانياً : وقد علمنا مما سبق في الصفات السلبية أنها نقص في حق الله عز وجل، فإذاً نفي صفة لابد أن يكون مقترناً بإثبات كمال لله عز وجل. وهناك سبباً آخر في عدم الاكتفاء بالنفي المجرد، هو أن النفي المجرد ليس فيه مدح، وذلك أن النفي أحياناً يكون لعدم القابلية، فإذا قلت: الجدار لا يظلم، فالجدار جماد لا يقبل لا ظلماً ولا عدلاً، فليس في قولك الجدار لا يظلم مدحٌ للجدار أبداً، لأنه جماد لا يقبل عدلاً ولا ظلماً.

وذكر الشيخ شواهد شعرية منها قول الشاعر:

قبيلة لا يغدرون بذمة

ولايظلمون الناس حبة خردل

مراد الشاعر أن قبيلته خاملة، ولهذا حقرهم وقال قُبيلةٌ ، وهذا تصغير تحقير وتهوين من شأن قبيلته، يعني أنهم خاملون ليس فيهم ما يوجب مدحهم، ولا يريد أن يلحقهم بأهل العدالة والوفاء.

قال المصنف رحمه الله تعالى

القاعدة الرابعة:

الصفات الثبوتية صفات مدح وكمال فكلما كثرت وتنوعت دلالاتها ظهر من كمال الموصوف بها ما هو أكثر ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر بكثير من الصفات السلبية، كما هو معلوم.

ش / :هذه القاعدة الرابعة تتضمن: بياناً لكمال الصفات الثبوتية حال ورودها متعددة متنوعة أو منفردة، فهذه الصفات الثبوتية كلما كثرت وتنوعت ظهر من كمال الموصوف ، فوق ما لو كانت الصفة منفردة، فعلى سبيل المثال، لو قلنا: عمر بن الخطاب خليفة، راشد، عادل، فقيه، قويٌّ، شجاع، فهذه الصفات تعطي كمالاً متعدداً بتعدد هذه الأوصاف، بخلاف ما لو قلت: عمر بن الخطاب خليفة، يعرف الناس أنه خليفة لكن حينما تريد أن تظهر مزايا أكثر ومتنوعة لهذا الخليفة - رضي الله عنه وأرضاه - فإنك تزيد في الوصف، وكذلك لو قلت في رجلٍ من الناس بكر قوي، عرف الناس أنك وصفته بالقوة فإذا انضاف إلى ذلك قولك: ذكيٌّ، حكيمٌ، خلوقٌ، وفيٌّ، تنوعت كمالات هذا الموصوف، والله سبحانه وتعالى أعلى وأجل.

فالصفات الثبوتية للرب جلَّ وعلا أكثر بكثير من الصفات السلبية، وقد يجمع الرب سبحانه وتعالى بين وصفين أو ثلاثة، والمتأمل

والمتدبر للقرآن يظهر له كمالات للرب سبحانه وتعالى، متعددة، وهو سبحانه وتعالى فوق ما يصفه الواصفون. فقوله جلّ وعلا: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[1].

هذه الآية تضمنت وصف الله بالمشيئة الكاملة، ووصفه بالحكمة الكاملة، ووصفه بالعلم الكامل، فظهر لك من هذا أن مشيئته سبحانه وتعالى مقترنة بعلمه وحكمته .

ص / : أما الصفات السلبية فلم تذكر غالباً إلا في الأحوال التالية:

الأولى: بيان عموم كماله، كما في قوله – تعالى –: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[2]. ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[3].

الثانية: نفي ما ادعاه في حقه الكاذبون، كما في قوله:

﴿ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾[4].

---

(١) سورة الإنسان ، آية ٣٠ .

(٢) سورة الشورى ، ١١ .

(٣) سورة الإخلاص ، آية ٤ .

(٤) سورة مريم ، الآيتان ٩١ ، ٩٢ .

الثالثة: دفع توهم نقص من كماله فيما يتعلق بهذا الأمر المعين، كما في قوله : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾[١]. وقوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾[٢].

ش / : وأقول: خلص المصنف - رحمه الله تعالى - بعد أن قرر أن الصفات الثبوتية لله عز وجل أكثر بكثير من الصفات السلبية وعلم من تقريره هذا - رحمه الله - ، قلة الصفات السلبية إلى أن نفي الصفات السلبية يكون غالباً في ثلاثة أحوال:

الحال الأولى: عموم كمال الرب جلّ وعلا، وهذا من أدلته ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[٣] أي لا أحد يكافئه سبحانه وتعالى، لا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، غني سبحانه وتعالى لا شريك له.

والحال الثانية: نفي ما ادعاه في حقه الكاذبون، فالنصارى قالت: المسيح ابن الله، واليهود قالت: العزير ابن الله، وقالت مشركة العرب: الملائكة بنات الله، فهذه الطوائف الثلاث كلها متفقة على دعوى الولد لله

(١) سورة الأنبياء ، آية ١٦ .

(٢) سورة ق ، آية ٣٨ .

(٣) سورة الإخلاص، آية ٤ .

عز وجل كذباً وزوراً، وافتراءً على الله عز وجل، فبماذا رد الرب جل وعلا عليهم؟ قال: ﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾[١]. ومثل هذا قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[٢]،و أخرج البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : (قال الله : كذبني ابن آدم و لم يكن له ذلك ، و شتمني و لم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياي ، فقوله : لن يعيدني كما بدأني ، و ليس أول الخلق بأهون علي من إعادته ، و أما شتمه إياي فقوله : اتخذ الله ولداً و أنا الأحد الصمد، لم ألد و لم أولد و لم يكن لي كفواً أحد)[٣].

الحال الثالثة: نفي ما يتوهمه المتوهمون من نقص كماله سبحانه وتعالى في أمرٍ من الأمور، مثال ذلك: خلق السماوات والأرض، فإذا توهم أحد أن الله عز وجل لم يخلق السماوات والأرض لحكمة أو ظن أن الله تعالى وتقدس عما يقول في حقه الظالمون، أراد من هذا اللهو و إلا فلماذا خلقهما؟ فيقرع سمعه بهذه الآية التي رد الله بها ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾[٤] . فهو خلقها لحكمة وليست

---

(١) سورة مريم، الآيتان٩١،٩٢ .

(٢) سورة الإخلاص، آية ٤ .

(٣) صحيح البخاري ، ك : التفسير ، ب : تفسير قوله : " قل هو الله أحد " ، جـ ٤ ، رقم : ٤٦٩٠ ، البغا .

(٤) هامش ١٥٤ .

عبثاً ولا لهواً، فالله سبحانه وتعالى غنيٌ عن جميع ما في الكون من سمائه وأرضه وملائكته وإنسه وجنه ودوابه هو غني سبحانه وتعالى، لكن خلق هذا الخلق لحكمة علمها من علمها و جهلها من جهلها وفي قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ دفع ما يتوهمه المتوهمون من لحوق التعب بالرب جلَّ وعلا من خلقها كما تتضمن إثبات كمال قدرته وعظمته .

****

قال المصنف رحمه الله تعالى

القاعدة الخامسة:

الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: ذاتية وفعلية:

فالذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها، كالعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والعزة، والحكمة، والعلو، والعظمة، ومنها الصفات الخبرية، كالوجه، واليدين، والعينين.

والفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته، إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا. وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين، كالكلام، فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية، لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلماً. وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية، لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء كما في قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [١]. وكل صفة تعلقت بمشيئته تعالى فإنها تابعة لحكمته. وقد تكون الحكمة معلومة لنا وقد نعجز عن إدراكها لكننا نعلم علم اليقين أنه – سبحانه – لا يشاء شيئاً إلا وهو موافق للحكمه ، كما يشير إليه قوله تعالى:

﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[٢].

---

(١) سورة يسن ، آية ٨٢ .

(٢) سورة الإنسان ، آية ٣٠ .

ش / : هذه القاعدة تتضمن :

تقسيم الصفات الثبوتية إلى قسمين وهما: صفات ذاتية، وصفات فعلية.

فالصفات الذاتية: هي التي لا تنفك عن الباري جلّ وعلا، مثل: الوجه، واليدين، والرجل، والقدم، والساق، والعلو، والعزة، والحكمة، والعظمة، والكبرياء، فكل هذه الصفات ذاتية، فلا يفعلها سبحانه وتعالى بمقتضى حكمته و مشيئته، هو متصف بها أزلاً وعلى الدوام. ومن هذه الصفات ما هو خبري، ليس للعقل فيه مجال متوقفٌ على النص، مثل:القدم .

وأما الصفات الفعلية : فهي التي يفعلها الله سبحانه وتعالى، ويوقعها بمقتضى حكمته ومشيئته، كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾[1].

قال ابن كثير – رحمه الله تعالى – {: أي لا يقدر أحد أن يهدي نفسه ولا يدخل في الإيمان ولا يجر لنفسه نفعا ﴿ **وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾ أي: عليم بمن يستحق الهداية فييسرها له ويقيض له أسبابها ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى، وله الحكمة

(١) هامش ١٦٢ .

البالغة والحجة الدامغة، ولهذا قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾. }[١] ا . هـ .

هذه الحكمة قد تدرك وقد يعجز عنها، ولكن شأن المؤمن أن يسلم لما جاء عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم، وينقاد لذلك سواء ظهرت له الحكمة أو لم تظهر له.

ثانياً : الصفات الفعلية منها ما يكون له اعتباران، فهو ، باعتبار صفة ذاتية، وباعتبارآخر صفة فعلية، ومن هذه الصفات التي تكون ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار آخر، الكلام، فالكلام من حيث نوعه وأصله وأن الله سبحانه وتعالى موصوفٌ بأنه متكلمٌ، أزلاً وعلى الدوام صفة ذاتية. وباعتبار آحاد الكلام وأفراده فإنه صفة فعلية. وذلك لأن أفراد الكلام وآحاده تقع بمشيئة الله عز وجل، ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[٢].و نظيرها قوله – تعالى- ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ ، قال ابن كثير-رحمه الله-: وقوله تعالى : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[٣] يبين بذلك تعالى كمال قدرته

---

(١) تفسير القران العظيم للامام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي خرج أحاديثه الشيخ مقبل بن هادي الوادعي المجلد الرابع.

(٢) سورة يسن، آية ٨٢ .

(٣) سورة البقرة ،آية ١١٧ .

وعظيم سلطانه وأنه إذا قدر أمراً وأراد كونه فإنما يقول له كن فيكون، كن: أي مرة واحدة، فيكون: أي فيوجد على وفق ما أراد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[(١)] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[(٢)] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾[(٣)]

وقال الشاعر:

إذا ما أراد الله أمراً فإنما يقول له كن قولة فيكون

ونبه بذلك أيضاً على أن خلق عيسى بكلمة كن فكان، كما أمر الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾[(٤)] }.[(٥)] ا . هـ .

---

(١) سورة يس ،آية ٨٢ .

(٢) سورة النحل ،آية ٤٠ .

(٣) سورة القمر ،آية ٥٠ .

(٤) سورة آل عمران ،آية ٥٩ .

(٥) تفسير القران العظيم للامام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي خرج أحاديثه الشيخ مقبل بن هادي الوادعي المجلد الأول.

قلت، ويزيد هذا وضوحاً ما قصه الله علينا في كتابه أنه قال للملائكة: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[١]. وقال لآدم: ﴿ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ﴾[٢].

وتكليمه للملائكة وإخباره أنه جاعل في الأرض خليفة، قبل تكليمه لآدم. وصح عن النبي ﷺ أن الله تعالى" **يكلم كل عبد من عباده يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان** " [٣] . فتكليم العباد يوم القيامة هذا حادث – أعني فعل التكليم .

---

(١) سورة البقرة آية ٣٠ .

(٢) سورة البقرة ،آية ٣٣ .

(٣) أخرجه البخاري ، ك : الرقائق ، ب : من نوقش الحساب عذب ، ج ٣ ، ص ٢١٦ ، رقم : ٦٥٣٩ ؛ و أخرجه مسلم ، ك : الزكاة ، ب : الحث على الصدقة و لو بشق تمرة أو كلمة طيبة و أنها حجاب من نار ، ج ٢ ، ص ١٣٢، رقم ٦٧ / ١٠١٦ .

قال المصنف رحمه الله تعالى

القاعدة السادسة:

يلزم في إثبات الصفات التخلي عن محذورين عظيمين: أحدهما: التمثيل. والثاني: التكييف.

فأما التمثيل: فهو اعتقاد المثبت أن ما أثبته من صفات الله تعالى مماثل لصفات المخلوقين، وهذا اعتقاد باطل، بدليل السمع، والعقل.

أما السمع: فمنه قوله -تعالى-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾(١). وقوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾(٢). وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾(٣). وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾(٤).

وأما العقل فمن وجوه:

الأول: أنه قد علم بالضرورة أن بين الخالق والمخلوق تبايناً في الذات، وهذا يستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات لأن صفة كل موصوف تليق به، كما هو ظاهر في صفات المخلوقات المتباينة في الذوات، فقوة البعير مثلاً غير قوة الذرة، فإذا ظهر التباين بين

(١) سورة الشورى، آية ١١.

(٢) سورة النحل، آية ١٧.

(٣) سورة مريم، آية ٦٥.

(٤) سورة الإخلاص، آية ٤.

المخلوقات مع اشتراكها في الإمكان والحدوث، فظهور التباين بينها وبين الخالق أجلى وأقوى.

الثاني: أن يقال كيف يكون الرب الخالق الكامل من جميع الوجوه مشابهاً في صفاته للمخلوق المربوب الناقص المفتقر إلى من يكمله، وهل اعتقاد ذلك إلا تنقص لحق الخالق؟! فإن تشبيه الكامل بالناقص يجعله ناقصاً.

الثالث: أننا نشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية، فنشاهد أن للإنسان يداً ليست كيد الفيل، وله قوة ليست كقوة الجمل، مع الاتفاق في الاسم، فهذه يد وهذه يد وهذه قوة وهذه قوة، وبينهما تباين في الكيفية والوصف، فعلم بذلك أن الاتفاق في الاسم لا يلزم منه الاتفاق في الحقيقة. والتشبيه كالتمثيل، وقد يفرق بينهما بأن التمثيل التسوية في كل الصفات، والتشبيه التسوية في أكثر الصفات، لكن التعبير بنفي التمثيل أولى لموافقة القرآن: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ ﴾(١).

ش /: وأقول: هذه القاعدة التي هي القاعدة السادسة والأصل السادس الذي يجب على المسلم أن يسلكه حيال صفات الرب جلَّ وعلا.

---

(١) سورة الشورى، آية ١١.

فهذا الأصل يتضمن إثبات الصفات، لكن بقيد فإن إثبات الصفة لا يكفي حتى يعتقد المسلم وهو يثبت ما يثبت من صفات ربه عز وجل نفي أمور، فهذه الأمور إذا لم ينفها ويتخلى عنها فإنه لم يثبت الصفة على الوجه الذي يرضي الله عز وجل، فيصبح إثباته للصفة، إذا لم يتخلى عن هذه الأمور التي سيأتي ذكرها لاحقاً، أصبح إثباته ليس على منهج حق بل هو على منهج

مبتَدع. وهذه الأمور هي:

أولها: التخلي عن التمثيل والتشبيه، والأمر الثاني: التخلي عن التكييف. فيجب على المسلم الذي اثبت صفات ربه عز وجل أن يتخلى عن هذين الأمرين المحذورين المحظورين المحرمين.

وبدأ الشيخ بعد أن ذكرهما إجمالاً في تفصيل القول فيهما، فبدأ بالتشبيه، وأظن أن مراده في ذلك الرد على المشبه لأنهم أكثر من المكيفة، فالمشبه يثبت صفات الله عز وجل على وجه مشابهة الخالق للمخلوق وهذا المسلك باطل والدليل على بطلانه ووجوب التخلي عنه من جهة النقل ومن جهة العقل، والشيخ - رحمه الله - قد تقدم أنه يعبر بالسمع عن النقل أو النص. فمن أدلة السمع:

١ ـــ قـــوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[1]. وتمامـها ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

قال ابن سعدي –رحمه الله–: { أي ليـــس يشـــبهه تعـــالى ولا يماثله،شيء من مخلوقاته، لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاتـــــه ولا في أفعاله، لأن أسماءه كلها حسنى، وصفاته،صفات كمال وعظمة وأفعالـــــه تعالى، أوجد بها المخلوقات العظيمة، من غير مشارك. فليس كمثله شيء، لانفراده وتوحده بالكمال من كل وجه.

﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لجميع الأصوات باختلاف اللغات على تفنـــن الحاجات.

﴿ ٱلْبَصِيرُ ﴾،يرى دبيب النملة السوداء، في الليلة الظلماء علـــــى الصخرة الصماء. ويرى سريان القوت في أعضاء الحيوانات الصغيرة جدا، وسريان الماء في الأغصان الدقيقة. وهذه الآية ونحوها دليل لمذهب أهـــل السنة والجماعة، من إثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوق.

وفيها رد على المشبهة في قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ وعلى المعطلـــة في قوله ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾. }[2]ا. هـــ.

---

(١) سورة الشورى آية ١١.

(٢) شرح ابن السعدي الجزء الرابع ص ٤١٢-٤١٣.

٢ ـ ومنها قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[(١)].

قال ابن جرير الطبري- رحمه الله-: { يقول تعالى ذكره لعبدة الأوثان والأصنام: أفمن يخلق هذه الخلائق العجيبة التي عددناها عليكم وينعم عليكم هذه النعم العظيمة، كمن لا يخلق شيئاً ولا ينعم عليكم نعمة صغيرة ولا كبيرة؟! يقول: أتشركون هذا في عبادة هذا؟ يعرفهم بذلك عظم جهلهم وسوء نظرهم لأنفسهم وقلة شكرهم لمن أنعم عليهم بالنعم التي عددها عليهم التي لا يحصيها أحد غيره، قال لهم جل ثناؤه موبخهم: ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ أيها الناس، يقول: أفلا تذكرون نعم الله عليكم وعظيم سلطانه وقدرته على ما شاء وعجز أوثانكم وضعفها ومهانتها، وأنها لا تجلب إلى نفسها نفعاً ولا تدفع عنها ضراً، فتعرفوا بذلك خطأ ما أنتم عليه مقيمون من عبادتكموها وإقراركم لها بالألوهية؟ }[(٢)] ا. هـ.

قلت: ففي الآية سؤال استنكار،و توبيخ، وتقريع، كيف يشبه الخالق لكل شيء بالمخلوق العاجز؟! الذي لا يقدر على خلق ذبابة ولا أقل من ذلك.

٣ ـ ومنها قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾[(٣)].

---

(١) سورة النحل آية ١٨.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للامام ابن جرير الطبري ج٨، ص ١٢٤.

(٣) سورة الإخلاص آية ٤.

وردت أقوال حكاها ابن جرير الطبري -رحمه الله- وهي:

١- عن أبي العالية قوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾: لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء.

٢- عن كعب قال: إن الله تعالى ذكره أسس السموات السبع والأرضين السبع على هذه السورة ﴿ لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد ﴾ وإن الله لم يكافئه أحد من خلقه.

٣- عن ابن عباس ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ قال: ليس كمثله شيء، فسبحان الله الواحد القهار.

٤- عن ابن جريج ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾: مثل.

٥- عن مجاهد، قوله ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾قال: صاحبة. } [1] ا. هـ.

٤ ـ قال تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾[2].

---

(١) جامع البيان عن تأويا آي القران للامام ابن جرير الطبري المجلد الخامس عشر ص ٤٥٢-٤٥٣.

(٢) سورة مريم آية ٦٥.

قال البغوي - رحمه الله تعالى -: { ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾، أي اصطبر على أمره ونهيه، ﴿ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: مثل. وقال سعيد بن جبير: عدلاً، وقال الكلبي: هل تعلم أحداً يسمى الله غيره. }[(١)] ا. هـ.

قلت: فهذه الآيات الأربع وما في معناها من آي التتريل الكريم كلها متفقة في الدلالة على وجوب تتريه صفات الرب عن مشابهة صفات الخلق، هذا هو الدليل السمعي. أما الدليل العقلي: فقد ذكر المصنف عدة أوجه:

أحدها: أنه يوجد تباين بين الخالق والمخلوق في الذات حتى المشبه نفسه يقر بهذا، وكذلك نشاهد التباين بين ذوات المخلوقات بين كل ذات وأخرى، فإذا كان العاقل يدرك هذا فإن التباين بين الخالق والمخلوق أجلى.

أولاً: يقال له: أنت توقن بأن الله لا يشبه شيئاً من خلقه في ذاته، كذلك يلزمك أن توقن بأن الله لا يشبهه شئ من مخلوقاته في صفاته.

وثانياً: يقال له أنت تدرك كما يدرك غيرك من العقلاء أن الموجودات بينها تباين في ذاها وصفاها، فكذلك التباين بين الخالق والمخلوق في الذات والصفات أجلى. **ثم يقال له.**

---

(١) تفسير البغوي الجزء الثالث ص ٢٠٢.

ثالثاً: كيف يشبه الكامل من كل وجه وهو الرب سبحانه وتعالى بالمخلوق المربوب الناقص من كل وجه ؟! كيف يشبه الناقص، أو يقال له: كيف يشبه الناقص المخلوق بمن يكمله؟ هذا لا يقر به عقل، لا يشبه الكامل بالناقص، ولا يشبه الناقص بمن يكمله.

ثم يقال له أيضاً رابعاً: نحن نشاهد ما يتفق في الأسماء ولكنه يختلف في الصفة، فمثلاً: الفيل والبعير هما متفقان في الحدوث والحيوانية ولكنهما يختلفان في الوصف، فليس عند البعير من القوة مثل ما عند الفيل... إلى غير ذلك، والمتتبع للمخلوقات المتشابهة في أسمائها والمختلفة في أوصافها يدرك هذا إدراكا جلياً.

ص /: وأما التكييف: فهو أن يعتقد المثبت أن كيفية صفات الله _ تعالى _ كذا وكذا، من غير أن يقيدها بمماثل. وهذا اعتقاد باطل، بدليل السمع، والعقل.

أما السمع: فمنه قوله – تعالى –: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ﴾[1]. وقوله: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾[2]. ومن المعلوم أنه لاعلم لنا

---

(١) سورة طه، آية، ١١٠.

(٢) سورة الإسراء، آية ٣٦.

بكيفية صفات ربنا، لأنه تعالى أخبرنا عنها ولم يخبرناعن كيفيتها، فيكون تكييفنا لها قفوٌ لما ليس لنا به علم، وقولاً بما لا يمكننا الإحاطة به.

ش /: هذا هو المحذور الثاني: الذي يجب على كل من يثبت صفات ربه أن يبتعد منه ويتخلى عنه حتى يكون منزهاً لصفات الرب الخالق عن صفات المربوب المخلوق، وهو التكييف.

والتكييف: من قولهم، كيف الشيء يكيفه، إذا جعل له كيفية معينة أو محدودة. والمراد به هنا إثبات صفة الله عز وجل على كيفية محدودة من غير تشبيه فلو قال: المثبت ولله المثل الأعلى، وتعالى الله سبحانه وتعالى علواً كبيراً عما يصفه به الواصفون من نقص -: يد الله تتألف من كفٍ وفي كل كف خمسة أصابع وفي كل إصبع كذا أنملة وتنتهي الكف بالرسغ فالذراع فالعضد، قلنا له: من أين لك ذلك؟ اثبت صفة الرب عز وجل وجعلت لها كيفية، و لم تسلك المسلك السديد، و لم تعتمد على كتاب ولا على سنة بل قلت على الله بلا علم وافتريت عليه بغير حجة، والأدلة على وجوب اجتناب التكييف في صفات الرب عز وجل من جهة السمع ومن جهة العقل.

* **فمن الأدلة السمعية**: قوله جلّ وعلا: ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا** ﴾[1].

قال البغوي -رحمه الله-: { ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ** ﴾،

قال قتادة: لا تقل رأيت و لم تره وسمعت و لم تسمعه وعلمت و لم تعلمه.

---

(١) سورة الإسراء آية ٣٦.

وقال مجاهد: لا ترم أحدا بما ليس لك به علم. قال القتيبي: لا تتبعه بالحدس والظن.وهو في اللغة اتباع الأثر، يقال: قفوت فلانا أقفوه وقفيته واقتفيته إذا اتبعت أثره، وبه سميت القافة لتتبعهم الآثار.

قال القتيبي: هو مأخوذ من القفو كأنه يقفو الأمور، أي: يكون في اقفائها يتبعها ويتعرفها. وحقيقة المعنى: لا تتكلم أيها الإنسان بالحدس والظن. ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾، قيل: معناه يسأل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده. وقيل: يسأل السمع والبصر والفؤاد عما فعله المرء. وقوله ﴿ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ ﴾ أي كل هذه الجوارح والأعضاء، وعلى القول الأول يرجع أولئك إلى أربابها. }[1]ا. هـ.

ومنها قوله: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾[2].

قال الشوكاني – رحمه الله -: { ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ أي ما بين أيديهم من أمر الساعة، وما خلفهم من أمر الدنيا، والمراد هنا جميع الخلق، وقيل المراد بهم الذين يتبعون الداعي، وقال ابن

---

(١) تفسير البغوي ج٣، ص١١٤.

(٢) سورة طه آية ١١٠.

جرير: الضمير يرجع إلى الملائكة، أعلم الله من يعبدها أنها لا تعلم ما بين أيديها وما خلفها ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ أي بالله سبحانه، لا تحيط علومهم بذاته، ولا بصفاته، ولا بمعلوماته، وقيل الضمير راجع إلى ما في الموضعين فإنهم لا يعلمون جميع ذلك. }[1]ا. هـ.

قلت:إذاً فليس للمكيف على ما قال من التكييف علم يُسوِغ له القول بهذه الكيفية. بل هو مفتر على الله عز وجل، وقائل عليه بلا علم والعقل مهما يبلغ من الحصافة والإدراك فإنه لا سبيل له إلى معرفة ما حجبه الله سبحانه وتعالى عنه من الغيب. ومما حجبه الله سبحانه وتعالى عنا، كيفية صفاته، فالصفات لها كيفية لكن كيفيتها عنا محجوبة، فنقف حيث أوقفنا ربنا عز وجل. من إثبات صفاته بلا تكييف. ومن هنا يستبين لك ما قرره الأئمة أن صفات البارئ جلَّ وعلا، معلومة لنا باعتبار مجهولة لنا باعتبار آخر. فهي معلومة من حيث المعنى وفيه يتكلم السلف، ومجهولة من حيث الكيفية. و عن ذلك أمسك السلف. ونذكر هاهنا كلمة جميلة بل هي من المنهج الحق الذي يسير عليه أهل السنة والجماعة السلفيون الفرقة الناجية والطائفة المنصورة في إثبات صفات الرب جلَّ وعلا، هذه الكلمة كلمة الإمام مالك – رحمه الله – حين سأله سائلٌ عن قول الله عز

(١) فتح القدير الجامع بين في الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، ج٣، ص٤٣٥.

وجل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[1]. كيف استوى؟ فأطرق الإمام مالك – رحمه الله – ساعة حتى علاه الرحضاء، أي اشتد به العرق فقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة. ثم قال: وما أراك إلا ضالاً أو قال مبتدعاً ثم أمر بإخراجه. هذا يدل على أن الإمام – رحمه الله –، متقرر عنده أن موقف أهل السنة والجماعة موقفٌ صارمٌ من أهل الأهواء.

ص /: قال المصنف – رحمه الله تعالى – وأما العقل: فلأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته أو العلم بنظيره المساوي له، أو بالخبر الصادق عنه، وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله _ عز وجل _ فوجب بطلان تكييفها.

ش /: هذه ثلاثة أدلة من قبيل الاستدلال بالعقل، على أن تكييف صفات الله باطل.

فالدليل الأول: أن معرفة كيفية صفات الشيء مبنية على معرفة كيفية ذاته، فإذا عرف كيفية الذات عرف كيفية الصفة.

وثانياً: أن كيفية صفة الشيء لا تعرف إلا بكيفية صفة نظيره المساوي له، فعلى سبيل المثال: من أراد أن يشتري داراً لبكر وهو لا

(١) سورة طه، آية ٥.

يعرفها، فقيل له: إن دار بكر هذه التي تريد شراءها مثل دار عمر هذه تماماً، وكانت دار عمر مساوية لدار بكر فإنه تزول الجهالة بصفة دار بكر وهذه الجهالة زالت لما ذكر له أنها تشبه دار عمر سواء بسواء.

ثالثاً : خبر العدل الصادق، الذي لم يجرب عليه الكذب، الذي يخبر بالأشياء على حقيقتها من غير زيادة ولا نقص وعرف عنه ذلك.

وهذه الأمور الثلاثة كلها منتفية بالنسبة لله سبحانه وتعالى، فإن الخلق لم يعلموا كيفية ذاته فأحرى ألا يعرفوا كيفية صفاته. ولا مساوي له ولا مماثل له من خلقه في صفاته حتى يقال إن صفة ذات الرب كيفيتها مثل كيفية كذا، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1]. لا في صفاته ولا في كيفية صفاته.

وكذلك ليس في كتاب الله ولا في سنة نبيه ﷺ نصٌ يبين للخلق تحديد الكيفية لصفات الرب جلَّ وعلا. فإذاً وجب الكف عن الخوض في كيفية الصفات والتسليم لما جاءت به النصوص مِن النهي عن القول على الله بلا علم. وذلك لأن الخوض في كيفية صفات الرب هو قول على الله بلا علم، بل هو محض الظن الكاذب والتخيل الفاسد.

ص /: قال المصنف رحمه الله تعالى: وأيضاً فإننا نقول: أيُّ كيفية تقدرها لصفات الله تعالى؟

---

(١) سورة الشورى، آية ١١.

إن أي كيفية تقدرها في ذهنك، فالله أعظم وأجل من ذلـــك. وأي كيفية تقدرها لصفات الله _ تعالى _ فإنك ستكون كاذباً فيـــها، لأنه لا علم لك بذلك. وحينئذ يجب الكف عن التكييـــف اعتقـاداً بالجَنان، أو تقريراً باللسان، أو تحريراً بالبنان.

ش /: هذه نصيحة من الشيخ - رحمه الله - موجهـــة إلى مـــن يخوضون في تكييف الصفات الإلهية ويَرومون تحديدها، هذه نصيحة لهم.

فيقال لهذا المكيف: أي كيفية ستقدرها لله، بصفـــات الله عـــز وجل؟ فإنك أي كيفية تقدرها فالله أجل و أعلى وأعظم. هذا من جهـة. ومن جهة أخرى، يقال له: أحذر فليس عندك على تكييف صفات ربـك وبارئك برهان على ذلك، بل هو محض الظن الكاذب - وأقول: محـــض الافتراء - والظن أكذب الحديث.

وقد ذم الله سبحانه وتعالى المتبعين للظن بغيرما برهـــان **﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾**[1].

---

(١) سورة النجم، آية ٢٣.

وهنا تأكيدٌ في النصح من المصنف - رحمه الله - أقول: تـــأكيداً منه في نصح أولئك الذين يتخبطون بغير ما علمٍ ولا حجة صحيحة فقــال - رحمه الله - ما رأيت من وجوب الكف عن التكييف اعتقاداً بالجنان لا تعتقد لله كيفية محدودة أو تقريراً باللسان لا تتكلم اضمن لسانك وقــــد صح عن الصادق المصدوق ﷺ: {**من يضمن لي ما بين لحييه ومـــا بين فخذيه أضمن له الجنة**} (١). أو تحريراً بالبنان إياك أن تكتب في ذلك شيئاً.

ص /: ولهذا لما سئل مالك - رحمه الله تعالى- عــــن قولـــه - تعالى-: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ (٢). كيـــف اســتوى؟ أطرق - رحمه الله - برأسه حتى علاه الرحضـــاء (العــرق) ثم قــال: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمــان بــه واجــب، والسؤال عنه بدعة " وروى عن شيخه ربيعة أيضاً: " الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ". وقد مشى أهل العلم بعدهما على هـــذا الميزان. وإذا كان الكيف غير معقول! ولم يرد به الشرع فقد انتفى عنه الدليلان العقلي والشرعي فوجب الكف عنه!!. فالحذر الحـــذر مـــن التكييف أو محاولته، فإنك إن فعلت وقعـــت في مفـــاوز لا تســـتطيع

(١) أخرجه البخاري، ك: الرقائق ، ب: حفظ اللسان، ج١٣، ص ١٠١، رقم ٦٤٧٤.

(٢) سورة طه، ٥.

الخلاص منها، وإن ألقاه الشيطان في قلبك فاعلم أنه من نزغاته، فالجأ إلى ربك فإنه معاذك، وافعل ما أمرك به فإنه طبيبك قال الله – تعالى – ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

ش /: وأقول: هذه خاتمة القاعدة السادسة من قواعد الصفات، وتتضمن هذه الخاتمة النفيسة أموراً جليلة:

الأمر الأول: ما تضمنته من قول الإمام مالك وشيخه ربيعة – وهو ربيعة بن عبد الرحمن الراي رحمه الله – في المنهج الحق في إثبات الاستواء خاصة وهي كذلك سيرة محمودة بل واجبة في جميع الصفات.

الأمر الثاني: اتفقت الكلمتان على استنكار السؤال عن كيفية الاستواء، لأنه أمر محدث وما كان السلف الصالح يسألون عن كيفيته، وإنما فهموا معناه. فإن الاستواء للسلف في معناه عبارات منها: علـى، ومنها، ارتفع، ومنها استقر، ولهذا قال الإمامان الاستواء معلوم في رواية، وفي رواية الاستواء غير مجهول أي من حيث معناه غير مجهول. أما كيفيته فإنها مجهولة وهكذا جميع الصفات هي معلومة من حيث معناها ومجهولة من حيث كيفيتها.

الأمر الثالث: وقف الإمام مالك – رحمه الله – من هذا السائل موقف النكير الشديد و لم يتلطف معه و لم يتخذ معه سياسة مهادنة، بل أمر بطرده، فقال: وما أراك إلا ضالاً، وفي رواية: وما أراك إلا مبتدعاً.

---

(١) سورة الأعراف، آية ٢٠٠.

الأمر الرابع: التأكيد على أن الإيمان بالاستواء واجب، وذلك لأنه أتفق عليه الكتاب والسنة وإجماع أهل السنة فوجب الإيمان به. وهكذا كل ما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة من صفات الباري جل و علا، وجب التسليم له، فكيف بما تواطأ عليه هذه الأدلة الثلاثة: الكتاب، والسنة، والإجماع.

الأمر الخامس: أن السلف مشوا على هذا - أقول حتى من قبل الإمام مالك أو من قبل هذا السائل ما عرف أن سائلاً سئل عن كيفية صفة -، فالسلف مجمعون على إثبات صفات الرب جلا وعلا، وما تضمنته من المعاني اللائقة بالله عز وجل والإمساك عن كيفيتها و تفويض علم ذلك إلى الله.

قال المصنف رحمه الله تعالى

القاعدة السابعة:

صفات الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها، فلا يثبت لله – تعالى – من الصفات إلا ما دل الكتاب والسنة على ثبوته، قال الإمام أحمد رحمه الله _ تعالى_: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، لا يتجاوز القرآن " والحديث ". (انظر القاعدة الخامسة في الأسماء) .

ش / : لا يزال المصنف رحمه الله - يقرر المنهج الحق في صفات ربنا جل ذكره، نصحاً للأمة وبراءة للذمة، كما قرر - رحمه الله - من قبل المنهج الحق في أسماء الرب جل ثناؤه. وخلاصة ما ذكره ، أن صفات الرب سبحانه وتعالى يجب الوقوف في إثباها على القرآن والسنة فما جاء في القران أو في صحيح السنة وجب التسليم له وقبوله وانه حق على حقيقته، فمصادر الأدلة التي لا تثبت الصفات الإلهية إلا بها مصدران اثنان هما: القران، لأنه كتاب الله مترل على نبيه محمد ﷺ بواسطة جبريل ﷺ ، فما تضمنه كله حق وصدق. وكذلك ما صح به النقل عن النبي ﷺ من صفات ربنا وجب التسليم له، كما يجب التسليم لما جاء من ذلك في القرآن الكريم. وذلك لأن الله سبحانه وتعالى لم ينصب أحدا من خلقه مبلغا عنه شرعه في العقيدة والعبادة والمعاملة سوى محمد ﷺ ،

هذا من جهة. ومن جهة أخرى، فالسنة تدل على ما يدل عليه القـــرآن وتعبر عن ما يعبر عنه القرآن، وتبين القرآن بتفسير مجمله أو تقييد مطلقـه أو تخصيص عمومه، أو غير ذلك مما يحتاجه الناس من البيان، بل السـنة تنسخ القرآن كما أن القرآن ينسخها.

ص / : ولدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة أوجه:

الأول : التصريح بالصفة كالعزة، والقوة، والرحمة، والبطـش، والوجه، واليدين، ونحوها.

الثاني : تضمن الاسم لها مثل: الغفـور: متضمـن للمغفـرة، والسميع متضمن للسمع ونحو ذلك.(انظر القاعدة الثالثة في الأسماء)

الثالث : التصريح بفعل أو وصف دال عليها كالاسـتواء علـى العرش، والنـزول إلى السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين العبـاد يـوم القيامة، والانتقام من المجرمين. الدال عليها _على الترتيب – قولـه تعلى -: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[1]. وقول النبي ﷺ : " يـنزل ربنا إلى السماء الدنيا "[2]. الحديث. وقول الله – تعالى -:

---

(١) سورة طه ، آية ٥ .

(٢) أخرجه البخاري،ك التهجد، ب:الدعاء والصلاة من آخر الليل، ج٣، رقـم ١١٤٥، وكذلك أخرجه مسلم ك: صلاة المسافرين وقصرها، ب: الترغيب في الدعاء والذكـر آخر الليل والإجابة فيه، ج١، رقم ٧٥٨؛ ولفظه عند البخاري: (عـن أبي هريـرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ينزل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلة إلى سماء الدنيا ...) .

﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾(١). وقولـــه: ﴿ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾(٢) .

ش / : وهذا بيان واضح جلي لمن أراد الحـــق بدليلـــه ومعرفـــة الصواب بالحجة النيرة، فكأن قائلاً قال: كيف السبيل إلى الاستدلال على معرفة صفات الرب جلَّ وعلا التي تقرر قبل أنها توقيفية وأنها ليس للعقـــل فيها مجال وانه لا يثبت منها إلا ما دل عليها الكتـــاب والســـنة؟ فبـــين المصنف - رحمه الله - للكيّس الفطن منشرح الصدر للحق والهـــدى أن دلالة الكتاب والسنة على صفات الرب سبحانه وتعالى تأتي على ثلاثـــة أوجه:

الوجه الأول : التصريح بالصفة، مثل قوله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٣) .و قولـــه تعـلى ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾(٤).

الثاني: تضمن الاسم لها، فمعتقد أهل السنة والجماعة أن كل اسم لله عز وجل يتضمن صفة، فالرحمن والرحيم يتضمنان صفة الرحمة، والعزيز يتضمـــن

(١) سورة الإنسان ، آية ٢٢ .

(٢) سورة السجدة ، آية ٢٢ .

(٣) سورة المنافقون ،آية ٨ .

(٤) سورة الكهف ،آية ٥٨ .

صفة العزة، والحكيم يتضمن صفة الحكم والحكمة، والقوي يتضمن صفة القوة، والغفور يتضمن صفة المغفرة، وهكذا.

الثالث: ذكر وصفٍ أو فعل للدلالة على الصفة، مثال الوصف: ﴿ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾[1]. يدل على صفة الانتقام، ومن الفعل: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[2]. استوى يدل على صفة الاستواء، وفي قوله ﷺ : " **ينزل ربنا** "[3]، فعل يدل على صفة النزول.

---

(١) سورة السجدة ، آية ٢٢ .

(٢) سورة طه ، آية ٥ .

(٣) أخرجه البخاري،ك التهجد، ب:الدعاء والصلاة من آخر الليل، ج٣، رقم ١١٤٥، وكذلك أخرجه مسلم ك: صلاة المسافرين وقصرها، ب: الترغيب في الدعاء والذكر آخر الليل والإجابة فيه، ج١، رقم ٧٥٨؛ ولفظه عند البخاري: (عن أبيهريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ينزل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلة إلى سماء الدنيا ...)

الباب الثالث
قواعد في أدلة الأسماء و الصفات

القاعدة الأولى :

الأدلة التي تثبت بها أسماء الله تعالى وصفاته هي كتاب الله تعـــالى وسنة رسوله ﷺ .

القاعدة الثانية :

الواجب في نصوص القرآن والسنة إجراؤها على ظاهرهـــا دون تحريف لا سيما نصوص الصفات حيث لا مجال للرأي فيها .

القاعدة الثالثة :

ظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار ومجهولة لنا باعتبـــار آخر .

القاعدة الرابعة :

ظاهر النصوص ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني وهو يختلـــف بحسب السياق وما يضاف إليه من الكلام .

قال المصنف رحمه الله تعالى

القاعدة الأولى:

الأدلة التي تثبت بها أسماء الله تعالى وصفاته، هي: كتاب الله - تعالى -، وسنة رسوله ﷺ ، فلا تثبت أسماء الله، وصفاته، بغيرهما. وعلى هذا فما ورد إثباته لله - تعالى - من ذلك في الكتاب والسنة وجب إثباته. وما ورد نفيه فيهما وجب نفيه، مع إثبات كمال ضده. وما لم يرد إثباته ولا نفيه فيهما وجب التوقف في لفظه فلا يثبت ولا ينفى لعدم ورود الإثبات والنفي فيه.

ش / : هذا تأكيد من المصنف - رحمه الله - على أن أسماء الرب و صفاته جلَّ وعلا لا تثبت بمجرد العقل، بل بالنص، والنص الذي يجب التسليم له وقبوله وألا يثبت اسم من أسماء الرب و لا صفة من صفاته بغيره هو: آي التنزيل الكريم، وصحيح سنة النبي ﷺ . ثم زاد الشيخ - رحمه الله - في تأكيد ذلك وترسيخ المنهج الحق فيه، بذكر الطريق السليم والمنهج السديد الذي يجب أن يسلكه المسلم في أسماء ربه و في صفاته إثباتاً أو نفياً. وهذا المنهج يتمثل في ثلاثة أشياء:

أحدها: إثبات ما أثبته الله أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على حقيقته.

ثانيها: نفي ما نفاه الله عن نفسه من الأسماء والصفات أو نفاه عنه نبيه ﷺ ، وقد تقدمت أمثلة على ذلك، مع إثبات كمال الضد.وقد سبق تقريره.

الثالث: إذا وقف المسلم على وصفٍ وصف به الله عز وجل، وهذا الوصف لم يرد في الكتاب ولا في السنة، فللمسلم حيال هذا الوصف موقفان:

أحدهما : في لفظه .

والآخر في معناه. فمن حيث لفظه، لا يثبت ولا ينفى لأن الواصف أتى بوصفٍ من عند نفسه، هذا من حيث لفظه.

أما من حيث معناه: فإنه يفصل فيه كما سيأتي.

ص / : وأما معناه فيفصل فيه: فإن أريد به حق يليق بالله – تعالى – فهو مقبول. وإن أريد به معنى لا يليق بالله _ عز وجل _ وجب رده. فمما ورد إثباته لله _ تعالى _ فكل صفة دل عليها اسم من أسماء الله تعالى دلالة مطابقة، أو تضمن، أو التزام.

ومنه كل صفة دل عليها فعل من أفعاله كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين عباده يوم القيامة ونحو ذلك من أفعاله التي لا تحصى أنواعها، فضلاً عن أفرادها ﴿

﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾[1] . ومنه: الوجه، والعينان، واليدان ونحوها. ومنه الكلام، والمشيئة ، والإرادة بقسميها: الكوني، والشرعي. فالكونية بمعنى المشيئة، والشرعية بمعنى المحبة. ومنه: الرضا، والمحبة، والغضب، والكراهة ونحوها.

ش / : هذا الذي قرره الشيخ واضح، ولا يستدعي التعليق لأنه قد تكرر، وتكراره لمزيد التأكيد، وإنما أرى توضيح الإرادة بقسميها: الكوني القدري، والشرعي الديني. فالإرادة الكونية القدرية: الذي يظهر لي من خلال تتبع النصوص وما فهمته من كلام أهل العلم، أن الإرادة الكونية هي: ما يجري في الكون من أحداث أو حوادث وفق علم الله بها وكتابته لها في اللوح المحفوظ، وهذه مرادفة للمشيئة. وأما الإرادة الشرعية الدينية فهي: كل ما يتضمن أمره ونهيه ، وهذه مرادفة لمحبته. فما أمر الله به العباد احب منهم فعله، وما نهاهم عنه احب منهم تركه. ففعل المأمورات وترك المنهيات امتثالا وطلب القربة عند الله سبحانه وتعالى هو عين ما يحبه الله سبحانه وتعالى من عبده، وهو عين ما وعد الله عليه عز وجل الأجر والثواب.

---

(١) سورة إبراهيم ، آية ٢٧ .

ص / : ومما ورد نفيه عن الله _ سبحانه _ لانتفائه وثبوت كمال ضده: الموت، والنوم، والسِّنة، والعجز، والإعياء، والظلم، والغفلة عن أعمال العباد، وأن يكون له مثيل أو كفء ونحو ذلك.

ومما لم يرد إثباته ولا نفيه لفظ (الجهة) فلو سأل سائل هل نثبت لله – تعالى – جهة؟ قلنا له: لفظ، الجهة، لم يرد في الكتاب والسنة إثباتاً ولا نفياً، ويغني عنه ما ثبت فيهما من أن الله – تعالى – في السماء. وأما معناه: فإما أن يراد به جهة سفل أو جهة علو تحيط بالله أو جهة علو لا تحيط به.

فالأول باطل. لمنافاته لعلو الله تعالى الثابت بالكتاب، والسنة، والعقل والفطرة، والإجماع.

والثاني باطل _ أيضاً، لأن الله _ تعالى _ أعظم من أن يحيط به شيء من مخلوقاته.

والثالث حق، لأن الله تعالى العليّ فوق خلقه ولا يحيط به شيء من مخلوقاته.

ش / : هذا التفصيل ، فيه الجواب و الرد على من وصف الله سبحانه وتعالى بما ليس من الصفات في الكتاب ولا السنة ممثلا بالجهة ما يشفي العليل ويروي الغليل.

فقد تضمن هذا التفصيل من المصنف - رحمه الله -، **شيئين في الجواب:**

الأول : بيان أن لفظ الجهة ليس وارداً في الكتاب ولا في السنة، هذا من حيث لفظه. ويغني عنه ما جاء في الكتاب والسنة من الاستواء والعلو وان الله في السماء، وهذا تنبيه منه - رحمه الله - إلى ما يجب اعتقاده في الصفات عامة وفي جميع الأحكام، أن في الكتاب والسنة غنية، وهذا هو ما يسد طريق البدع والمحدثات في الدين.

يجب على المسلم أن يكون طلبته من الأحكام ما دل عليه الكتاب والسنة الصحيحة، وهذا موافقٌ للقاعدة المقررة في الأصول، الأصل في العبادات الحظر إلا بنص، يعني المنع. فمن أراد أن يدعوا الناس إلى عبادة لم يعرفوها من قبل، وجب عليه التعويل على الدليل الصريح من القرآن الكريم أو الدليل الصحيح من السنة، فإن كان عنده ذاك وإلا فليس لقوله قبول عندنا.

الشيء الثاني: هو عبارة عن توجيه سؤال، وذلك السؤال أن يقال مثلاً: ماذا تقصد بالجهة التي تريد أن تصف بها الله يا هذا؟ فقلت: هل الله في جهة؟! فإنه لا يخلو كلامك عن واحد من ثلاثة أشياء:

أولاً: جهة سُفُل.

الثاني: جهة علو تحيط بالله.

الثالث: جهة علو لا تحيط بالله.

هذه الثلاث معاني ليست كلها حقاً، بل الحق منها معنى واحدٌ فقط، لدلالة الكتاب والسنة والإجماع عليه وهو: أن الله سبحانه وتعالى في العلو في السماء وعلى العرش استوى، واجمع الأئمة على أن الله سبحانه وتعالى ليس حالاً فيه شيء من خلقه، ولا هو حالٌ في شيءٌ من خلقه. فهو بائنٌ من خلقه. هذا هو المعنى الحق، وهو المعنى الثالث.

أما المعنيان الآخران: فباطلان، لمنافاتهما ما تظافر عليه الكتاب والسنة والإجماع من أن الله في السماء وانه فوق عرشه وانه على عرشه استوى. فالسفل - يتره الله عنه - والجهة التي تحيط بالله كذلك يتره الله عنها.

فبان بالدليل القطعي صحة ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع أن الله في العلو في السماء ، كذلك انه لا يحيط به شيء من خلقه، و لم يحل فيه شيء من خلقه.

ص / : ودليل هذه القاعدة: السمع والعقل.

فأما السمع: فمنه قوله - تعالى -: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾[1] . وقوله: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ

(١) سورة الأنعام ، آية ١٥٥ .

تَهْتَدُونَ ﴾[١] . وقوله: ﴿ وَمَآ ءَاتَـٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَـٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[٢] . وقوله: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾[٣] . وقوله: ﴿ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[٤] . وقوله: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾[٥] . إلى غير ذلك من النصوص الدالة على وجوب الإيمان بما جاء في القرآن والسنة. وكل نص يدل على وجوب الإيمان بما جاء في القرآن فهو دال على وجوب الإيمان بما جاء في السنة،لأن مما جاء في القرآن الأمر باتباع النبي، ﷺ ، والرد إليه عند التنازع. والرد إليه يكون إليه نفسه في حياته وإلى سنته بعد وفاته.

فأين الإيمان بالقرآن لمن استكبر عن اتباع الرسول، ﷺ ، المأمور به في القرآن؟!

---

(١) سورة الأعراف ، آية ١٥٨ .

(٢) سورة الحشر ، آية ٧ .

(٣) سورة النساء ، آية ٨٠ .

(٤) سورة النساء ، آية ٥٩.

(٥) سورة المائدة ، آية ٤٩.

وأين الإيمان بالقرآن لمن لم يرد النزاع إلى النبي، ﷺ ، وقد أمر الله به في القرآن؟!

وأين الإيمان بالرسول الذي أمر به القرآن لمن لم يقبل ما جاء في سنته؟!

ولقد قال الله – تعالى –: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[1] . ومن المعلوم أن كثيراً من أمور الشريعة العلمية والعملية جاء بيانها بالسنة، فيكون بيانها بالسنة من تبيان القرآن.

ش / : هذه الآيات كلها وجه الدلالة منها على هذه القاعدة التي أجملنا معناها على ما قرره الشيخ – رحمه الله- فكل هذه الآيات دالة على أمور منها:

الأمر الأول: وجوب الإيمان والتسليم لما في الكتاب وفي سنة رسول الله ﷺ وهذا أمر شامل لجميع الأحكام العلمية والاعتقادية والعملية مثل: الصلاة، والزكاة، والحج، والصيام وغير ذلك.

الأمر الثاني: انه يجب على المسلمين عند التنازع الرجوع في فصل هذا النزاع إلى الله والى رسوله، فالرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول ﷺ هو الرد إليه في حياته والرد إلى سنته بعد مماته.

(١) سورة النحل ، آية ٨٩ .

الأمر الثالث : أن السنة يجب اتباعها في معرفة أحكام الله سبحانه وتعالى التي أجملها ربنا في القرآن والحاصل انه لا يجوز للمسلم أن يفرق بين الله ورسوله يحرم على المسلم أن يفرق بين الكتاب والسنة، وسواءٌ كان الحكم فيهما مبيناً أو مجملاً في القرآن وبينته السنة أو ما انفردت به السنة الصحيحة، فيجب على المسلمين قبوله. وبهذا ينسد الطريق على كل مبتغ هدى واستقامة ورشاد من غير الكتاب والسنة. فإن الله سبحانه وتعالى لم يتعبدنا بأقوال البشر التي هي محض العقل، أو القياس الفاسد، أو الرأي المجرد، بل تعبدنا سبحانه وتعالى بما في كتابه، وسنة رسوله ﷺ . ورتب على ذلك الهداية والفلاح والفوز والسعادة في الدنيا والآخرة. وإجماع الأئمة على أمر ديني حجة لأنه مستندٌ على النص.

ص / : وأما العقل فنقول: إن تفصيل القول فيما يجب أو يمتنع أو يجوز في حق الله تعالى من أمور الغيب التي لا يمكن إدراكها بالعقل فوجب الرجوع فيه إلى ما جاء في الكتاب والسنة.

ش / : هذا دليلٌ مقنع لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد، وكان طالباً للحق والبصيرة والفقه في دين الله عز وجل علماً وعملاً واعتقاداً وتعليماً ودعوة إلى الله عز وجل، وفق الكتاب و السنة و سيرة السلف الصالح. وذلك أن ما لم يرد به بيان في الكتاب أو في سنة النبي ﷺ ولا بد من قيد ذلك بالسنة الصحيحة، والسنة الصحيحة عند أهل العلم بالحديث، أو الحديث الصحيح له خمسة شروط:

أحدها: عدالة الرواة.

وثانيها: ضبطهم.

وثالثها: اتصال السند.

ورابعها: السلامة من الشذوذ.

وخامسها: السلامة من العلة.

و تفصيل أو بيان ما لم يبينه الله في كتابه أو في سنته ﷺ الصحيحة هذا من علم الغيب، الذي استأثر الله به. ولا يسوغ للمسلم أن يدعي علم ما غيبه الله سبحانه وتعالى عنه. ما دام انه ليست عنده حجة يجب التسليم لها ، ولا حجة يجب التسليم لها في الإخبار عن الغيب إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

****

****

****

قال المصنف رحمه الله

القاعدة الثانية:

الواجب في نصوص القرآن والسنة إجراؤها على ظاهرها دون تحريف لا سيما نصوص الصفات حيث لا مجال للرأي فيها. ودليل ذلك: السمع، والعقل.

ش / : لا يزال المصنف - رحمه الله - يجلي القول في قواعد أدلة الصفات، وبيان المنهج الحق في الاستدلال على صفات ربنا سبحانه وتعالى، من الكتاب والسنة. وفيما ذكر آنفا شيئان:

الشيء الأول: بيان ما يجب على المسلم سلوكه حيال نصوص الكتاب والسنة عامة ونصوص الصفات خاصة، فالواجب على المسلم الذي يبتغي لنفسه سلوك سبيل المؤمنين ومنهج العلماء المحققين، أن يجري نصوص الكتاب والسنة على ظاهرها. ويعني بظاهرها: ما يتبادر إلى الذهن منها وفق اللسان العربي، فالله سبحانه وتعالى انزل كتابه باللسان العربي المبين ودعا العباد إلى فهمه وتدبره والعمل به، وكذلك سنة نبينا ﷺ، هي باللسان العربي المبين. والحاصل أن الكتاب والسنة يجب على من يطلب الحق في الاستدلال بهما أن يجري نصوصهما على الظاهر في استنباط الأحكام.

ولا ينبغي له ولا يسوغ له أن ينصرف عن هذا الظاهر الذي أفاده النص وفق اللسان العربي، حتى يزحزحه صارف، وهذا الصارف إما نصٌّ وإما إجماع.

الشيء الثاني: العلة، علة هذا الوجوب. فعلة هذا الوجوب:

أولاً: في النصوص عامة، نقول: لأن الله سبحانه وتعالى أودع كتابه وسنة رسوله ﷺ ، ما يريد للعباد من شرع فمبتغي التأويل بغير مسوغ يحرف كلام الله وكلام رسوله ﷺ عن وجه الصواب، إلى وجه آخر أو أوجه أخر غير مراده لله عز وجل.

وثانياً: بالنسبة لنصوص الصفات: لأن العقل ليس له في إثباتها مجال، فلا يستطيع العقل أن يثبت لله أو ينفي عنه. وفي الحقيقة هذه قاعدة عامة في جميع أصول الدين، الواجب على المكلف الوقوف عند النص، بل حتى في الفروع عند الخلاف الرد إلى النص إلى كتاب الله إلى الله والى رسوله ﷺ ، وقد تقدم معنى هذا.

بقي القول في شيء واحد وهو: ما دليل هذا الذي قرره المصنف - رحمه الله تعالى - ؟ فالجواب يقول - رحمه الله - :

ص / : ودليل ذلك : السمع والعقل أما السمع: فقوله ـ تعالى ـ: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ

ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾(١). وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾(٢). وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾(٣). وهذا يدل على وجوب فهمه على ما يقتضيه ظاهره باللسان العربي إلا أن يمنع منه دليل شرعي.

وقد ذم الله – تعالى – اليهود على تحريفهم، وبين أنهم بتحريفهم من أبعد الناس عن الإيمان. فقال: ﴿أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾(٤). وقال – تعالى –: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا﴾(٥).

ش / : لعلك أدركت أيها القارئ أن الشيخ –رحمه الله– مستدلٌ على هذه القاعدة من جهة السمع ومن جهة العقل، فبدأ بالسمع أولاً كما هي عادته – رحمه الله – في التحقيق والتأصيل قافياً أثار من سلف من أئمة الهدى، وذلك لأن النص هو المعول عليه.

---

(١) سورة الشعراء الآيات١٩٣-١٩٤-١٩٥.

(٢) سورة يوسف، آية ٢.

(٣) سورة الزخرف، آية ٣.

(٤) سورة البقرة، آية ٧٥.

(٥) سورة النساء، آية ٤٦.

والعقل يؤتى به للتأكيد تبعاً للنص وليس استقلالاً. فالأدلة من القرآن الكريم في هذه الآيات التي ذكرها المصنف - رحمه الله تعالى-، وقد أبان الشيخ بعدها شيئين هما وجه الاستدلال:

أحدهما: أن هذه الآيات كلها متفقة على أن القرآن مترل من الله عز وجل على رسوله محمدٍ ﷺ، وفي بعضها التصريح بأن إنزال القران كان من الله عز وجل على محمد ﷺ بواسطة جبريل ﷺ ، وهو الروح الأمين. وهذا كان باللسان العربي المبين. فوجب إذاً فهمه وفق اللسان العربي، ولا يجوز أن يتزحزح المسلم عن ذلك إلا بمسوغ شرعي، يسوغ له حكماً غير ما يتبادر من ظاهر النص وفق اللسان العربي. هذا هو خلاصة وجه الاستدلال الأول من الآيات على ما ثبت تقريره من القاعدة.

الثاني : ذم الله سبحانه وتعالى اليهود على تحريفهم كلام الله سبحانه وتعالى وأخباره انهم من أبعد الناس عن الإيمان .

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(١).

قال البغوي – رحمه الله -: {" قوله ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ ﴾ هذا الإستفهام فيه معنى الإنكار، كأنه آيسهم من إيمان هذه الفرقة من اليهود.

(١) سورة البقرة، آية ٧٥.

والخطاب لأصحاب النبي ﷺ أو له ولهم. و ﴿ يُؤْمِنُواْ لَكُمْ ﴾ أي لأجلكم، أو على تضمين آمن معنى استجاب: أي أتطمعون أن يستجيبوا لكم. والفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه.

و ﴿ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ أي التوراة، وقيل إنهم سمعوا خطاب الله لموسى حين كلمه. وعلى هذا فيكون الفريق هم السبعون الذين اختارهم موسى، وقرأ الأعمش: ﴿ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾. والمراد من التحريف أنهم عمدوا إلى ما سمعوه من التوراة، فجعلوا حلاله حراما أو نحو ذلك مما فيه موافقة لأهوائهم كتحريفهم صفة رسول الله ﷺ وإسقاط الحدود عن أشرافهم، أو سمعوا كلام الله لموسى فزادوا فيه ونقصوا، وهذا إخبار عن إصرارهم على الكفر وإنكارٌ على من طمع في إيمانهم وحالهم هذه الحال: أي ولهم سلف حرفوا كلام الله وغيروا شرائعه وهم مقتدون بهم متبعون سبيلهم. ومعنى قوله: ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾ أي من بعد ما فهموه بعقولهم مع كونهم يعلمون أن ذلك الذي فعلوه تحريف مخالف لما أمرهم الله به من تبليغ شرائعه كما هي، فهم وقعوا في المعصية عالمين بها وذلك أشد لعقوبتهم وأبين لضلالهم "}(١) ا . هـ .

وقال ابن كثير – رحمه الله -: { قال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: ثم

---

(١) فتح القدير للشوكاني، ج١، ص١١١-١١٢.

قال الله تعالى لنبيه ﷺ ولمن معه من المؤمنين يؤيسهم منهم : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾ وليس قوله: يسمعون التوراة كلهم قد سمعها، ولكن هم الذين سألوا موسى رؤية ربهم فأخذهم الصاعقة فيها. وقال محمد بن إسحاق: فيما حدثني بعض أهل العلم أنهم قالوا لموسى: يا موسى قد حيل بيننا وبين رؤية ربنا تعالى فأسمعنا كلامه حين يكلمك فطلب ذلك موسى إلى ربه تعالى؛ فقال: نعم مرهم فليتطهروا وليطهروا ثيابهم ويصوموا ففعلوا ثم خرج بهم حتى أتوا الطور فلما غشيهم الغمام أمرهم موسى أن يسجدوا فوقعوا سجودا وكلمه ربه فسمعوا كلامه يأمرهم وينهاهم حتى عقلوا منه ما سمعوا ثم انصرف بهم إلى بني إسرائيل فلماء جاءهم حرف فريق منهم ما أمرهم به، وقالوا حين قال موسى لبني إسرائيل: إن الله قد أمركم بكذا وكذا، فقال ذلك الفريق الذين ذكرهم الله: إنما قال كذا وكذا خلافا لما قال الله عز وجل لهم فهم الذين عنى الله لرسوله ﷺ.

وقال السدي: ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ ﴾ قال: هي التوراة حرفوها وهذا الذي ذكره السدي أعم مما ذكره ابن عباس وابن اسحاق وإن كان قد اختاره ابن جرير لظاهر السياق فإنه ليس يلزم من سماع كلام الله أن يكون منه كما سمعه الكليم موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام وقد قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ

﴿ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ أي مبلغا إليه قال قتادة في قوله: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قال: هم اليهود كانوا يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه ووعوه وقال مجاهد: الذين يحرفونه والذين يكتمونه هم العلماء منهم. وقال أبو العالية: عمدوا إلى ما أنزل الله في كتابهم من نعت محمد ﷺ فحرفوه عن مواضعه. وقال السدي: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي أنهم أذنبوا، وقال ابن وهب قال ابن زيد في قوله: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ قال: التوراة التي أنزلها الله عليهم يحرفونها يجعلون الحلال فيها حراما والحرام فيها حلالا والحق فيها باطلا والباطل فيها حقا، إذا جاءهم المحق برشوة أخرجوا له كتاب الله وإذا جاءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب فهو فيه محق.}[1] اهـ .

و قال ابن سعدي – رحمه الله – : { قال شيخ الإسلام لما ذكر هذه الآيات من قوله : ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ إلى ﴿يَعْلَمُونَ﴾ فإن الله ذم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، وهو متناول لمن حمل الكتاب والسنة، على ما أصله من البدع الباطلة. وذم الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني، وهو متناول لمن ترك سر تدبر القرآن و لم يعلم إلا مجرد تلاوة حروفه, ومتنلول لمن كتب كتابا بيده، مخالفا لكتاب الله، لينال به دنيا وقال: إنه من عند الله، مثل أن يقول: هذا هو الشرع والدين، وهذا معنى الكتاب والسنة، وهذا معقول السلف والأئمة، وهذا هو أصول الدين، الذي يجب اعتقاده

(١) تفسير ابن كثير، ج١، ص ٢١٦

على الأعيان والكفاية. ومتناول لمن كتم ما عنده من الكتاب والسنة، لئلا يحتج به مخالفه في الحق الذي يقوله.

وهذه الأمور كثيرة جدا في أهل الأهواء جملة، كالرافضة، تفصيلا مثل كثير من المنتسبين إلى الفقهاء }[١] ا . هـ .

إلى غير ذلك من الآيات التي ذكرها المؤلف - رحمه الله - وغيرها من آي التنزيل الكريم، أعني الآيات التي تضمنت ذم اليهود على تحريفهم كلام الله. ووجه الاستدلال من هذا هو تحذير المسلمين من أن يسلكوا مسلك اليهود، وانهم إن ابتغوا معنى غير ظاهر النص بغير مسوغ شرعي، فإنهم محرفون لكلام الله وكلام رسوله ﷺ عن مواضعه. والصفات الحميدة تذكر في الكتاب أو السنة للحض عليها والتأسي بأهلها. كما أن الصفات الذميمة تذكر للنهي عنها ومفاصلة أهلها، و ألا يشابه المسلم أهلها. فيتوجه إليه من الذم والمقت والعقوبة ما يتوجه إلى ذوي الصفات الذميمة. وتحريف كلام الله وكلام رسوله ﷺ ، عن وجهه الذي هو ظاهره المتبادر إلى الذهن منه عند الإطلاق صفة ذميمة، ومسلكٌ شنيع، وتعدٍ على كلام الله عز وجل، بتحريفه.

---

(١) شرح ابن السعدي، ج١، ص ٧٠، ٧١.

ص / : وأما العقل: فلأن المتكلم بهذه النصوص أعلم بمراده من غيره، وقد خاطبنا باللسان العربي المبين، فوجب قبوله على ظاهره، وإلاّ لاختلفت الآراء وتفرقت الأمة.

ش / : وأقول: الله سبحانه وتعالى خاطبنا بكلامه الذي أنزله علينا باللسان العربي المبين وكذلك نبينا ﷺ ، خاطبنا باللسان العربي المبين. فالمتكلم بهذه النصوص سواءً الرب جلّ وعلا في كتابه، هو أعلم بنفسه من خلقه، فوجب التسليم لما أودعه في كتابه من صفاته وأسمائه وجميع أحكامه، وقبول ذلك والانقياد له. وكذلك نبيه ﷺ هو أعلم الناس بالله عز وجل فوجب التسليم لما صح من سنة رسول الله ﷺ ، في الأحكام عامة والصفات خاصة.

وما أروع وأبدع ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – وهو يقرر وجوب قبول ما أثبته الله لنفسه على ألسنة رسله، إذ **قال:** { فإنه سبحانه أعلم بنفسه وأصدق قيلا وأحسن حديثا من خلقه. ثم رسله صادقون مصدوقون بخلاف الذين يقولون عليه مالا يعلمون ولهذا قال: **﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾**[1] فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون

---

(١) سورة الصافات، الآيات ١٨٠ – ١٨٢.

للرسل. وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيـــب.}[1] ا .
هـــ .

****

****

******

---

(١) شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية " رحمه الله "، تأليف الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان.

قال المصنف رحمه الله تعالى

القاعدة الثالثة:

ظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار ومجهولة لنا باعتبار آخر فباعتبار المعنى هي معلومة، وباعتبار الكيفية التي هي عليها مجهولة. وقد دل على ذلك السمع والعقل.

ش/: أقول: نصوص الصفات دالة على شيئين:

أحدهما: معلوم لنا، والآخر مجهول، لا ندركه لأنه في علم الغيب الذي استأثر الله به. فالأول: معنى نصوص الصفات وإن شئت فقل: معنى الصفات، فهو معلوم وتكلم فيه السلف فأبانوه للناس عند الحاجة إلى ذلك. مثال ذلك: ما جاء أن الله في السماء وان الله فوق عرشه. فهم السلف صفة العلو لله عز وجل وانه فوق جميع خلقه.

ومثال آخر: الترول، الذي صح عن النبي ﷺ ، من حديث أبي هريرة وغيره: " يترل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ". الحديث. فإن معناه في اللغة: أن الترول يكون من أعلى إلى اسفل، والشيء الثاني: الكيفية التي عليها الصفة. فالسلف مؤمنون بأن كل صفة من صفات ربنا لها كيفية لائقة بجلال الرب جلّ وعلا. لكن هذه الكيفية لم يتكلم فيها السلف فهي مجهولة، وكيف ذلك؟! لأن الله لم يخبرنا بها في كتابه، وكذلك لم يخبر بها النبي ﷺ ، وماهذا سبيله من الأحكام وجب التسليم له والإيمان به واعتقاد انه حق والإمساك عن الخوض فيه. وأن

يوكل علمه إلى الله سبحانه وتعالى. ومن هنا يقال: جواباً على من سأل هل نصوص الصفات من المتشابه؟ نقول: لا، ليست من المتشابه بل هي من المحكم، لأن معناها معقول ومدرك ومعلوم، وما حجب الله سبحانه وتعالى عن عباده من صفاته إلا الكيفية، فهذه هي التي تترك لله سبحانه وتعالى، ويفوض علمها إليه.

ص/: أما السمع: فمنه قوله _ تعالى _: ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾(١). وقوله – تعالى –: ﴿إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٢). وقوله –جل ذكره – : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٣). والتدبر لا يكون إلا فيما يمكن الوصول إلى فهمه، ليتذكر الإنسان بما فهمه منه.

وكون القرآن عربياً ليعقله من يفهم العربية يدل على أن معناه معلوم وإلا لما كان فرق بين أن يكون باللغة العربية أو غيرها. وبيان

---

(١) سورة ص، آية ٢٩.

(٢) سورة الزخرف، آية ٣.

(٣) سورة النحل، آية ٤٤.

النبي، صلى الله عليه وسلم، القرآن للناس شامل لبيان لفظه وبيان معناه.

ش/: بعد أن ذكر المصنف - رحمه الله تعالى - أدلة السمع على أن معنى نصوص الصفات معقولٌ ومعلوم ومدرك، ذكر وجه الاستدلال على ذلك، ويتلخص فيما يأتي:

أولاً: أن التدبر المذكور في الآيات والذي امرنا الله به، في غير ما آية في كتابه - أعني تدبر آياته، هو طلب فهم المعنى والوقوف عليه واستنباط الأحكام من النص، أو من النصوص. فلو كان ذلك غير مدرك، لما أمر الله به وحض عليه. فإن الله سبحانه وتعالى لم يكلف عباده فوق طاقتهم، فلو أمرهم بتدبر ما لا يمكن الوصول إليه لكان ذلك تكليف بما هو فوق الطاقة.

ثانياً: أن كون القرآن باللسان العربي المبين هذا يقتضي فهمه لفظاً ومعنى، فلو كان غير ذلك، لم يكن ثمة فرق بين كون القرآن باللغة العربية أو بغيرها من اللغات الأعجمية.

ثالثاً: ذكر الله سبحانه وتعالى ، أن من وظائف رسوله ﷺ، ومن مهام رسالته، انه يبين للناس ما نزل إليهم. ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1].

---

(١) سورة النحل ، آية ٤٤.

قال ابن كثير – رحمه الله -: { قال تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ ﴾ يعني القرآن ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ أي من ربهم لعلمك بمعنى ما أنزل الله عليك وحرصك عليه واتباعك له ولعلمنا بأنك أفضل الخلائق وسيد ولد آدم فتفصل لهم ما أجمل وتبين لهم ما أشكل ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ أي ينظرون لأنفسهم فيهتدون فيفوزون بالنجلة في الدارين. }[1] ا . هـ .

وكيف يبينه ﷺ؟ يبين معناه و لفظه. فهذه الثلاثة الأمور هي حاصل وجه الاستدلال على ما أسلفه المصنف – رحمه الله – ، أن ظاهر النص من حيث معناه أو من حيث ما يفيده من معنى الصفة معلوم ومدرك، لأن القرآن باللسان العربي المبين، وكذلك سنة رسول الله ﷺ .

ص/: وأما العقل: فلأن من المحال أن يترل الله _ تعالى _ كتاباً أو يتكلم رسوله ﷺ بكلام يقصد بهذا الكتاب، وهذا الكلام أن يكون هداية للخلق، ويبقى في أعظم الأمور وأشدها ضرورة مجهول المعنى، بمترلة الحروف الهجائية التي لا يفهم منها شيء لأن ذلك من السفه الذي تأباه حكمة الله – تعالى – وقد قال الله – تعالى – عن كتابه:

---

(١) تفسير ابن كثير، ج٢، ص ٥٩١ –٥٩٢.

﴿ كِتَـٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾(١). **هذه دلالة: السمع، والعقل، على علمنا بمعاني نصوص الصفات.**

ش/: هذا الدليل العقلي يصلح أن يكون حوارا لمن استشكل فهم نصوص الصفات من حيث معناها، فيقال له مثلا: أليس المقصود بهذا الكتاب المنزل على محمد ﷺ هداية الخلق إلى الحق؟ فسيقول: بلى، هذا المتوقع منه. ثم يقال له :

ثانيا:

كيف يقصد بهذا الكتاب المترل للهداية، ثم يكون هو في أصل أصول الدين وأجل قواعده تعمية؟ فلو كان الله عز وجل وتعالى وتقدس يريد بهذا الكتاب الهداية ثم يحجب عن العباد معناه، لكان ذلك تعمية. فتصبح نصوص الكتاب عامة ونصوص الصفات خاصة، مثل الحروف الهجائية التي لا يعرف لها معنى.ثم يقال له .

ثالثا:

إن الله عز وجل وتعالى عن كل صفات النقص، يستحيل عليه عز وجل أن يأمر عباده بشيء لا يدركونه، ولا يفهمون معناه، وعلى أي شيء يدل. فهذا في الحقيقة من السفه الذي تأباه حكمة الله عز وجل. والله سبحانه وتعالى كريم، رؤوف، رحيم، لطيف، خبير، وعد عباده أن

---

(١) سورة هود، آية ١.

يبين لهم ما يتقون، ووعدهم أن يهديهم سبيل الرشاد، ووعدهم أن لا يكلفهم ما لا طاقة لهم به. فكون نصوص الأحكام عامة، واصل أصول هذا الدين خاصة، يأمر الله بتدبرها وهي ليست مدركة هذا هو نهاية التعمية.

ص/: وأما دلالتهما على جهلنا لها باعتبار الكيفية، فقد سبقت في القاعدة السادسة من قواعد الصفات. وبهذا علم بطلان مذهب المفوضة الذين يفوضون علم معاني نصوص الصفات، ويدعون أن هذا مذهب السلف. والسلف بريئون من هذا المذهب، وقد تواترت الأقوال عنهم بإثبات المعاني لهذه النصوص إجمالاً أحياناً وتفصيلاً أحياناً وتفويضهم الكيفية إلى علم الله – عز وجل –.

قال شيخ الإسلام ابن تيميه في كتابه المعروف بـ (العقل والنقل) صحيفة رقم ستة عشر ومائة، المجلد الأول، المطبوع على هامش منهاج السنة: " وأما التفويض فمن المعلوم أن الله أمرنا بتدبر القرآن، وحضنا على عقله وفهمه، فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله" إلى أن قال ص رقم ١١٨: " وحينئذ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن أو كثير مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه، بل يقولون كلاماً لا يعقلون معناه قال ومعلوم أن هذا قدح في القرآن و الأنبياء إذ كان الله أنزل القرآن

وأخبر أنه جعله هدى وبياناً للناس، وأمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين وأن يبين للناس ما نزل إليهم وأمر بتدبر القرآن وعقله، ومع هذا فأشرف ما فيه وهو ما أخبر به الرب عن صفاته.. لا يعلم أحد معناه فلا يعقل ولا يتدبر، ولا يكون الرسول بين للناس ما نزل إليهم ولا بلغ البلاغ المبين، وعلى هذا التقدير فيقول كل ملحد ومبتدع الحق في نفس الأمر ما علمته برأيي وعقلي، وليس في النصوص ما يناقض ذلك، لأن تلك النصوص مشكلة متشابهة، ولا يعلم أحد معناها، وما لا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يستدل به، فيبقى هذا الكلام سداً لباب الهدى والبيان من جهة الأنبياء، وفتحاً لباب من يعارضهم. ويقول: إن الهدى والبيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء، لأننا نحن نعلم ما نقول ونبينه بالأدلة العقلية، والأنبياء لم يعلموا ما يقولون فضلاً عن أن يبينوا مرادهم، فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد) . انتهى كلام الشيخ ، وهو كلام سديد، من ذي رأي رشيد، وما عليه مزيد - رحمه الله تعالى رحمة واسعة - وجمعنا به في جنات النعيم.

ش/: خاتمة هذه القاعدة، تتضمن أمرين:

الأمر الأول: إحالة الشيخ - رحمه الله - على ما سبق في القاعدة السادسة من دلالة النقل والعقل على أن كيفية الصفات مجهولة لنا.

الأمر الثاني: أن السلف رحمهم الله لا يفوضون الصفة تفويضاً مطلقاً أو تفويضاً عاماً، بل يفوضون الكيفية. فيكلون علم كيفية الصفة إلى الله سبحانه وتعالى، وقد تقدم مراراً أن كيفية الصفات من الغيب الذي استأثر الله بعلمه. فلم يبينه لنا في كتابه، ولم يبينه لنا رسول الله ﷺ في سنته.

وثمة **أمرٌ ثالث**: وهو بيان مذهب المفوضة وبطلانه وسبب ذلك. فالمفوضة هم الذين يفوضون الصفة من حيث المعنى والكيفية. وحاصل ما يتضمنه مذهب المفوضة، وهو في الحقيقة دليل على بطلانه وانه شر المذاهب في صفات الله عز وجل. شرٌ من التعطيل والتشبيه.

أولاً: أنه ليس منهج السلف، فالسلف فوضوا الكيفية فقط دون المعنى.

ثانياً: يلزم منه - يعني مذهب المفوضة - تجهيل الأنبياء، وانهم لم يعلموا مراد الله عز وجل من هذا الأصل العظيم الذي هو تقرير صفات ربنا سبحانه وتعالى .

وثالثاً: يلزم منه تعطيل الصفات، وان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وما أنزله الله عليهم ليسوا مرجعاً للناس، بل المرجع هو العقول المختلفة المتباينة. وعلى هذا فكلٌ يقول: الحق فيما علمه هو لا ما دل عليه

الكتاب والسنة، وهذا في الحقيقة سبيل الفرقة والضلال وفساد الديــــــن، وبهذا تبين أن مذهب المفوضة هو شر المذاهب.

****

****

****

قال المصنف رحمه الله تعالى

القاعدة الرابعة:

ظاهر النصوص ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني، وهو يختلف بحسب السياق، وما يضاف إليه من الكلام فالكلمة الواحدة يكون لها معنى في سياق، ومعنى آخر في سياق. وتركيب الكلام يفيد معنى على وجه ومعنى آخر على وجه.

فلفظ (القرية)،- مثلاً - يراد به القوم تارة، ومساكن القوم تارة أخرى. فمن الأول قوله - تعالى -: ﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ﴾[1]. ومن الثاني قوله - تعالى - عن الملائكة ضيف إبراهيم:

﴿ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ﴾[2]. وتقول: صنعت هذا بيدي فلا تكون اليد كاليد في قوله - تعالى -:

﴿ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[3]. لأن اليد في المثال أضيفت إلى المخلوق فتكون مناسبة له وفي الآية أضيفت إلى الخالق فتكون لائقة به

---

(1) سورة الأسراء آية ٥٨.

(2) سورة العنكبوت، آية ٣١.

(3) سورة ص، آية ٧٥.

فلا أحد سليم الفطرة صريح العقل يعتقد أن يد الخالق كيد المخلوق أو بالعكس.

وتقول: ما عندك إلا زيد، ما زيد إلا عندك، فتفيد الجملة الثانية معنى غير ما تفيده الأولى مع اتحاد الكلمات لكن اختلف التركيب فتغير المعنى به.

ش/: هذه **القاعدة الرابعة** من القواعد التي يقررها المصنف - رحمه الله - في الأدلة التي تثبت بها الصفات. تقدم أن المعوّل عليه في إثبات الصفات خاصة، والأحكام عامة هو الدليل، والدليل هذا إما نصٌّ، والنص هو القران والسنة. أو إجماع.

ونعني بالإجماع:

اتفاق العلماء المجتهدين من أمة محمد ﷺ بعد وفاته على أمر ديني هذا فيما عدا الصفات من الأحكام، أما الصفات فإنها لا تثبت إلا بالقرآن والحديث. ولهذا فإن أهل العلم مجمعون- يعني أهل العلم من أهل السنة - على ما أفادته نصوص الكتاب والسنة من صفات ربنا عز وجل وأنها على الحقيقة. كما تقدم أن الأصل في النصوص هو إرادة الظاهر المتبادر إلى الذهن منها وفق اللسان العربي، ولا يصرف هذا الظاهر إلا بمسوغ شرعي، وفي هذه القاعدة يقرر المصنف - رحمه الله - منهجاً سديداً في معرفة معاني نصوص الصفات، التي سبق أنها على ظاهرها المتبادر إلى الذهن منها وفق اللسان العربي، بل وأقول أنا: أن هذا مضطرد

في جميع أحكام الله سبحانه وتعالى، اعني ما سيقرره المصنف، ولكن بما أن الحديث في الصفات جعله المصنف - رحمه الله - مقصوراً على نصوص الصفات. هذا المعنى الذي يتبادر إلى الذهن ظاهراً وفق اللسان العربي تختلف فيه الكلمة حسب تركيب الكلام، فالكلام مركبٌ من جمل، والجمل تتألف من كلمات، فالحاذق البصير يدرك أن الكلمة يختلف معناها حسب تركيب الكلام وهي كلمة واحدة، وقد ضرب الشيخ - رحمه الله- على ذلك أمثلة وهي واضحة، ومن تلك الأمثلة.

أولاً: القرية، فالقرية في قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ﴾[1].

قال الشوكاني – رحمه الله -: { ثم بين سبحانه مآل الدنيا وأهلها فقال ﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا ﴾ إن نافية، ومن للاستغراق: أي ما من قرية. أي قرية كانت من قرى الكفار. قال الزجاج: أي ما من أهل قرية إلا سيهلكون إما بموت وإما بعذاب يستأصلهم، فالمراد بالقرية أهلها، وإنما قيل قبل يوم القيامة لأن الإهلاك يوم القيامة غير مختص بالقرى الكافرة، بل يعم كل قرية لانقضاء عمر الدنيا؛ وقيل الهلاك للصالحة والتعذيب للطالحة، والأول أولى لقوله: ﴿ وَمَا كُنَّا

(١) سورة الإسراء، آية ٥٨.

مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾، ﴿ كَانَ ذَٰلِكَ ﴾ المذكور من الإهلاك، والتعذيب ﴿ فِي ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ أي اللوح المحفوظ ﴿ مَسۡطُورٗا ﴾ أي مكتوبا، والسطر الخط وهو في الأصل مصدر، والسطر بالتحريك مثله.}(١) ا. هـ.

فما الذي يراد بالقرية؟ هل يراد بها السكان أو يراد بها البناء؟ وسبب هذا التساؤل، لأن القرية من التقري وهو التجمع أو الاجتماع، فالقرية إذن لها معنيان في اللغة العربية: أحدهما السكان، والآخر البنيان. وعلى هذا فإن المراد بالقرية في الآية هم السكان، وهم المتوعدون بهذا العذاب وهذا الإهلاك لقاء تكذيبهم الله ورسله. وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ ﴾(٢) فالمراد بالقرية البنيان، ونظير هذا قوله جلّ وعلا: ﴿ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ

---

(١) فتح القدير للشوكاني، ج ٣، ص٢٦٨.

(٢) سورة العنكبوت، آية ٣١.

﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١)

قال ابن سعدي – رحمه الله -: { ثم ذكر أدلة كمال القدرة والبعث والجزاء فقال: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ....الآية﴾.

هذان دليلان عظيمان، محسوسان في الدنيا والآخرة – على البعث والجزاء. واحد أجراه الله على يد شاك في البعث على الصحيح، كما تدل عليه الآية الكريمة. والآخر على يد خليله إبراهيم. كما أجرى دليل التوحيد السابق على يده. فهذا الرجل، مر على قرية قد دمرت تدميرا وخوت عروشها. قد مات أهلها وخربت عمارها، فقال- على وجه الشك والاستبعاد -: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ ؟ أي: ذلك بعيد، وهي في هذه الحال. يعني: وغيرها مثلها، بحسب ما قام بقلبه تلك الساعة. فأراد الله رحمته ورحمة الناس، حيث أماته الله مائة عام. وكان معه حمار، فأماته معه. ومعه طعام وشراب، فأبقاهما الله بحالهما كل هذه المدد الطويلة. فلما مضت الأعوام المائة بعثه الله فقال: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ وذلك بحسب ما ظنه.

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٥٩.

فقال الله ﴿بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ﴾. والظاهر أن هذه المجاوبة على يد بعض الأنبياء الكرام.

ومن تمام رحمة الله به وبالناس، أنه أراه الآية عيانا، ليقتنع بها. فبعد ما عرف أنه ميت قد أحياه الله، قيل له: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ أي: لم يتغير في هذه المدد الطويلة. وذلك من آيات قدرة الله، فإن الطعام والشراب – خصوصا ما ذكره المفسرون: أنه فاكهة وعصير – لا يلبث أن يتغير، وهذا قد حفظه الله، مائة عام وقيل له:

﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾، فإذا هو قد تمزق وتفرق، وصار عظاما نخرة. ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ أي: نرفع بعضها إلى بعض، ونصل بعضها ببعض، بعد ما تفرقت وتمزقت.

﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا﴾ بعد الإلتئام ﴿لَحْمًا﴾ ثم نعيد فيه الحياة.

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ﴾ رأي عين لا يقبل الريب بوجه من الوجوه.

﴿أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. فاعترف بقدرة الله على كل شيء وصار آية للناس، لأنهم قد عرفوا موته وموت حماره، وعرفوا قضيته، ثم شاهدوا هذه الآية الكبرى، هذا هو الصواب في هذا الرجل.

وأما قول كثير من المفسرين: إن هذا الرجل، مؤمن، أو نبي من الأنبياء، إما عزير أو غيره.

وأما قوله ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، يعني كيف تعمر هذه القرية، بعد أن كانت خرابا، وأن الله أماته، ليريه ما يعيد لهذه القرية من عمارها بالخلق، و أنها عمرت في هذه المدة، وتراجع الناس إليها وصارت عامرة، بعد أن كانت دامرة – فهذا لا يدل عليه اللفظ بل ينافيه، ولا يدل عليه المعنى. فأي آية وبرهان، برجوع البلدان الدامرة إلى العمارة، وهذه لم تزل تشاهد، تعمر قرى ومساكن وتخرب أخرى. وإنما الآية العظيمة، في إحيائه بعد موته، وإحياء حماره، وإبقاء طعامه وشرابه، لم يتعفن و لم يتغير.

ثم قوله ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ﴾ صريح في أنه لم يتبين له إلا بعد ما شاهد هذه الحال الدالة على كمال قدرته عيانا.}[1] ا. هـ.

فالذي هو خاوٍ على عروشه المساكن لا السكان أنفسهم، فإذن القرية في آية البقرة وكذلك في الآية التي قبلها المراد بها البنيان.

ومثالٌ آخر: يزيد هذا المعنى وضوحاً، كلمة زيد، فزيد اسم علم لإنسان معروف، لكن تجد أن الجملة التي ضمن كلماتها زيد يفهم منها السامع معناً غير الجملة الأخرى التي أيضاً من كلماتها زيد. فحينما يقول القائل: ما عندي إلا زيد. فهذا حصرٌ للموجودين أو حصرٌ للموجود لديه

(١) شرح ابن السعدي، ج١، ص٢٠٦،٢٠٧،٢٠٨.

وهو زيد فقط ما عندي إلا زيد، ما رأيت إلا بكر، ما زارني إلا سـعيد، فهذا كله حصر، لمن لدى المتكلم. ولو قال: ما زيدٌ إلا عندي، فإنه حصرٌ لمكان زيد.

فالجملة الأولى: أفادت حصر الموجود و أنه زيد.

والجملة الثانية: أفادت حصر مكان زيد، ما زيد إلا عندي، يعني ليس في مكان آخر.

ومثالٌ ثالث: في قوله عز وجل: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[1]. وفي قول المتكلم: صنعت هذا بيدي. فاليد غير اليد، فاليد في الآية مضافة إلى الرب عز وجل، فهي صفة ذات مختصة به. لا يشبهه فيها شيء. واليد في المثال مضافة للمخلوق فهي مختصة به، فليست اليد كاليد.

والخلاصة: أن معنى النصوص الذي يتبادر إلى الذهن منها وفق اللسان العربي يجب أن يعلم أن هذا المعنى يختلف باختلاف تراكيب الكلام.

ص/: وإذا تقرر هذا فظاهر نصوص الصفات ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني.

وقد انقسم الناس فيه إلى ثلاثة أقسام:

---

(١) سورة ص، آية ٧٥.

القسم الأول: من جعلوا الظاهر المتبادر منها معنى حقاً يليق بالله عز وجل وأبقوا دلالتها على ذلك، وهؤلاء هم السلف الذين اجتمعوا على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه. والذين لا يصدق لقب أهل السنة والجماعة إلا عليهم.

وقد أجمعوا على ذلك، كما نقله ابن عبد البر فقال: " أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن الكريم والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا انهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة" ا.هـ. وقال القاضي أبو يعلى في كتاب " إبطال التأويل": " لا يجوز رد هذه الأخبار، ولا التشاغل بتأويلها، والواجب حملها على ظاهرها، وأنها صفات الله، لا تشبه صفات سائر الموصوفين بها من الخلق، ولا يعتقد التشبيه فيها، لكن على ما روي عن الإمام أحمد وسائر الأئمة.ا.هـ، نقل ذلك عن ابن عبد البر والقاضي شيخ الإسلام ابن تيميه في الفتوى الحموية ص رقم ٨٧، ٨٩، ج٥ من مجموع الفتاوى لابن القاسم.

ش/: بدأ الشيخ - رحمه الله - في سياق تقرير زبدة القول من هذه القاعدة، وذلك بتقسيمه الناس من حيث دلالة نصوص الصفات التي تقدم أن معناها هو ما يتبادر إلى الذهن منها عند الإطلاق. فأبان - رحمه

الله - أن أقسام الناس والمراد بهم المنتسبون إلى الإسلام لا جميع النـــاس، فهو عام يراد به الخصوص، ينقسم هؤلاء إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من علم أن ظاهر نصوص الصفـــات المتبـــادر إلى الذهن منها حق، على حقيقته وفق اللسان العربي، فأبقوا دلالة النصـــوص على ذلك. دون أن يشبهوا أو يكيفوا.

لأن المخبر بهذه الصفات في تلك النصوص هو الله سبحانه وتعـــالى في كتابه، وهو أعلم بنفسه، أو رسوله ﷺ وصح بذلك النقل عنه، فـــهو اعلم بربه من سائر الخلق. إذن لا مجال إلى أن يذهب المسلم ذات اليمـــين وذات الشمال، عن الإقرار بالحق فهؤلاء هم أهل السنة والجماعة فـــهموا هذا الظاهر وأبقوا دلالة النصوص عليه، واجتمعوا على ذلك. لم يحدث في عهد النبي ﷺ جدال ولا في عهد الصحابة بهذا، لأنه تقـــرر عندهـــم أن الإيمان يستوجب التسليم والانقياد لهذه النصوص. ومشى أئمة التـــابعين على ذلك، فأقروا بما أفادته النصوص و لم يحيدوا عنه يمنة ولا يسرة، فلـــم يروموا تشبيها ولا تكييفا. لأن الله عز وجل قـــال في كتابـــه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1] فأثبتوا السمع والبصر لله عـــز وجل مع نفي التشبيه والتمثيل. وهكذا مشوا، على هذا، الخلـــف عـــن السلف.

---

(١) سورة الشورى، آية ١١.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – مقررا منهج الحق وذلك عن أهل السنة: { ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه ووصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل. بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه, ولا يحرفون الكلم عن مواضعه. ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه. }[1] ا. هـ.

وهكذا كل من يبتغي الكتاب والسنة و لم يرم الاستدلال بغيرهما، لأن الكتاب والسنة معصومان. أضف إلى ذلك الإجماع، إجماع الأئمة فإنه يؤكد هذا المنهج، وهو إثبات ما أثبته الله لنفسه من غير تشبيه ولا تكييف ؛ و قد نقله المصنف -رحمه الله تعالى- عن ابن عبد البر و القاضي أبي يعلى رحم الله الجميع.

ص/: وهذا هو المذهب الصحيح، والطريق القويم الحكيم، وذلك لوجهين:

الأول: أنه تطبيق تام لما دل عليه الكتاب والسنة من وجوب الأخذ بما جاء فيهما من أسماء الله وصفاته كما يعلم ذلك من تتبعه بعلم وإنصاف.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية لإبن تيمية – تأليف الدكتور صالح الفوزان –ص ١٣ –١٦.

الثاني: أن يقال: إن الحق إما أن يكون فيما قاله السلف أو فيما قاله غيرهم. والثاني باطل، لأنه يلزم منه أن يكون السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان تكلموا بالباطل تصريحا أو ظاهرا ولم يتكلموا مرة واحدة لا تصريحا ولا ظاهرا بالحق الذي يجب اعتقاده. وهذا يستلزم أن يكونوا إما جاهلين بالحق، وإما عالمين به. لكن كتموه، وكلاهما باطل. وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم فتعين أن يكون الحق فيما قاله السلف دون غيرهم.

ش/: وأقول: هذا الذي تقرر آنفا من أن مذهب أهل السنة هو المشي في نصوص الصفات على ظاهرها المتبادر إلى الذهن منها مبقين دلالتها عليه، هو الحق من وجهين:

فأولهما: أنه تطبيق عملي تام، يعني مذهب السلف ومشيهم في الاستدلال بنصوص الصفات على ما أثبتته وعلى ظاهره تطبيق عملي تام. لما دلت عليه النصوص. فعلى سبيل المثال،

حينما يقول ربنا جل وعلا: ﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** ﴾[1]. فيه الدليل على أن للرب عز وجل يدين حقيقيتين. ومثال آخر حين نسمع ربنا يقول: ﴿

(١) سورة الأعراف آية ٦٤.

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾(١). يستوجب ذلك الإيمان باستواء الله على عرشه. ومثال ثالث: حين يقول جل في علاه:

﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾(٢). فيه التصريح الموجب للإيمان بأن الله عز وجل له عين، وحين يقول نبينا ﷺ: " **يترل ربنا** "(٣). يستوجب الإيمان بترول ربنا جل وعلا. على ظاهره من غير تكييف ولا تمثيل. ولأن هذا هو دلالة النصوص، نصوص الكتاب الذي أنزله الله عز وجل باللسان العربي المبين على افصح الخلق وهو محمد ﷺ بواسطة جبريل ﷺ، ولأنه مقتضى دلالة السنة التي جاء بها محمد ﷺ.

الوجه الثاني: أن يقال للخصم الذي لم يؤمن بالصفات و لم يجري نصوصها على ظاهرها فيشبهها بصفات الخلق أو يكيفها، يقال له عدة أمور: يلزم من عدم إجرائك معنى نصوص الصفات على ما دلت عليه ظاهرا من صفات الرب عز وجل وصرفك لها عن ذلك لوازم باطلة. من

---

(١) سورة طه آية ٥.

(٢) سورة طه آية ٣٩.

(٣) رواه ابن أبي عاصم في كتابه السنة، بقلم: الألباني ـــ رحمه الله تعالى ـــ، رقم: ٥٠٧، و قال: إسناده صحيح على شرط مسلم، و لفظه عن نافع بن جبير، أبيه أن رسول الله ﷺ قال: (يترل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة فيقول هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له، المكتب الإسلامي، ط ٣، ص ٢٢٢.

تلك اللوازم أن السلف لم يعلموا ذلك، لجهلهم أو لقصور فهمهم، وثانيا يقال له: أيضا يلزم على تصرفك هذا واعتقادك هذا وانحرافك بالنصوص، عن ظاهرها ومشيك بغير ما مشي به السلف عليها، أن السلف كانوا يعلمون الحق ولكن لم يتكلموا به لا تصريحا ولا ظاهرا، وانهم مشوا على الباطل تصريحا أوظاهرا، وهذا وذاك كلاهما باطل، لأن القاعدة أن بطلان اللازم يقتضي بطلان الملزوم. فالملزوم هو قول ذلك الخصم الذي لم يجري على هذه القاعدة، لم يجري على ما جرى عليه السلف و لم يسر على ما سار عليه السلف الذين اجتمعوا على أن الصفات الإلهية ثابتة لله عز وجل كما هو ظاهر النصوص التي وردت بها.

ص/: القسم الثاني: من جعلوا الظاهر المتبادر من نصوص الصفات معنى باطلا لا يليق بالله وهو: التشبيه؛ وأبقوا دلالتها على ذلك. وهؤلاء هم المشبهة ومذهبهم باطل محرم من عدة أوجه:

الأول: أنه جناية على النصوص، وتعطيل لها عن المراد بها، فكيف يكون المراد بها التشبيه وقد قال الله – تعالى –: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾(١)؟!

الثاني: أن العقل دل على مباينة الخالق للمخلوق في الذات والصفات، فكيف يحكم بدلالة النصوص على التشابه بينهما؟!

---

(١) سورة الشورى، آية ١١.

الثالث: أن هذا المفهوم الذي فهمه المشبه من النصوص مخالف لما فهمه السلف منها فيكون باطلا.

ش/: هذا هو الفريق الثاني والقسم الثاني من أقسام الناس حيال نصوص صفات ربنا جل ثناؤه، وهذا الفريق هو فريق المشبهة والممثلة، كيف ذلك وما مذهبهم؟! هم فهموا من نصوص الصفات المعنى الظاهر. ففهموا من نصوص الصفات، السمع والبصر والوجه واليدين والعين والغضب والرضا مثلا، لكن لم يفهموها على فهم السلف وهو إثبات هذه الصفات على الوجه اللائق بالله عز وجل. بل اثبتوا هذه الصفات على وجه المشابهة، شبهوا الخالق بالمخلوق. فلم يفهموا من هذه الصفات ما يليق بالله عز وجل ويختص به وانه ليس كمثله شيء في هذه الصفات وكذلك في جميع صفاته وأفعاله، وإنما فهموا التمثيل والتشبيه. فمذهبهم باطل من عدة أوجه:

الوجه الأول: أنه جناية على النصوص وتحريف لها عن ظاهرها، فكيف يجرؤ هذا الفريق على تشبيه الله بخلقه، وقد قال الله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾. هذا سوء أدب وعبث بالنصوص ومحادة لله عز وجل، والخالق جل ثناؤه يقول:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾. وهو يقول: لا، عينه كعيني، يده كيدي، وجهه كوجهي مثلا، وسمعه كسمعي، بصره كبصري.

الوجه الثاني يقال له: العقل السليم الذي لم يتلوث يدل على مباينة الخالق للمخلوق في الذات والصفات، العقل دل على هذا، على أن الخالق مباين لخلقه وغير مشابه لهم لا في ذاته ولا في صفاته. فكيف أنت تجعل النصوص دالة على التشبيه ؟! فأنت إذن خالفت العقل والنقل.

الوجه الثالث: أن هذا الذي فهمه المشبه من النصوص مخالف لما فهمه السلف فماذا فهم السلف؟ لم يفهم السلف ما فهمه هذا المشبه من مماثلة الخالق للمخلوق، فهو محدث ومبتدع لم يمشي عليه السلف أبدا، لا في عهد الصحابة، ولا أئمة التابعين ولا من تبعهم بإحسان، لأن من قواعد هذا الدين أن كل بدعة ضلالة، وفي الحديث المتفق عليه " **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** "(١). وفي رواية لمسلم " **من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد** "(٢). فبان بهذا أن مسلك المشبه مخالف للكتاب والسنة والعقل وإجماع السلف، وكل هذه الأوجه متضافرة على بطلانه ورده.

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري: ك: الصلح، ب: إذا أصلحوا على صلح جور فهو مردود؛ وأخرجه مسلم: ك: الأقضية، ب:نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، رقم ١٧١٨.

(٢) أخرجم مسلم: ك: الأقضية، ب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور.

ص /: فإن قال المشبه: أنا لا أعقل من نزول الله، ويده إلا مثل ما للمخلوق من ذلك، والله تعالى لم يخاطبنا إلا بما نعرفه ونعقله. فجوابه من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الذي خاطبنا بذلك هو الذي قال عن نفسه: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾ (١). ونهى عباده أن يضربوا له الأمثال، أو يجعلوا له أندادا فقال: ﴿ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (٢). وقال: ﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ (٣). وكلامه تعالى كله حق يصدق بعضه بعضا ولا يتناقض.

ثانيها: أن يقال له: ألست تعقل لله ذاتا لا تشبه الذوات؟ فسيقول: بلى! فيقال له: فلتعقل له صفات لا تشبه الصفات فإن القول في الصفات كالقول في الذات ومن فرق بينهما فقد تناقض!.

ثالثها: أن يقال: ألست تشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية؟ فسيقول: بلى، فيقال له: إذا عقلت التباين بين المخلوقات في هذا، فلماذا لا تعقله بين الخالق والمخلوق! مع

---

(١) سورة الشورى آية ١١

(٢) سورة النحل، آية ٧٤.

(٣) سورة البقرة، آية ٢٢.

أن التباين بين الخالق والمخلوق أظهر وأعظم، بل التماثل مستحيل بين الخالق والمخلوق كما سبق في القاعدة السادسة من قواعد الصفات.

ش/: وهذا السياق يتضمن شيئين:

أحدهما: حجة المشبه، وذلك حينما يحتج قائلا: إنه لا يعقل من كلام الله إلا التشبيه، وقد خاطبنا الله عز وجل بما نعقل. باللسان العربي ولا نعقل إلا هذا، هذا ملخص حجته أو معناها. وأهل السنة لا يحتج عليهم محتج، ويظهر أحد الخصومة في دين الله إلا ويردوهما بالدليل، من الكتاب والسنة والإجماع فهم يعولون على هذه الأدلة.

الأمر الثاني في رد حجة هذا المشبه ويتضمن ثلاثة أدلة:

الدليل الأول:

أن يقال له: إن الذي خاطبك بما تفهمه من اللسان العربي، ولا تعقل سواه كما زعمت، قال لك: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، وقال أيضا: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(١).

قال ابن كثير – رحمه الله -: { يقول تعالى إخبارا عن المشركين الذين عبدوا معه غيره مع أنه هو المتفضل الخالق الرازق وحده لا شريك له و مع هذا يعبدون من دونه الأصنام و الأنداد و الأوثان ما لا يملك لهم رزقا من السموات و الأرض شيئا أي لا يقدر على إنزال مطر ولا إنبلت

---

(١) سورة النحل، آية ٧٤.

زرع ولا شجر ولا يملكون ذلك لأنفسهم أي ليس لهم ذلك ولا يقدرون عليه لو أرادوه ولهذا قال (**فلا تضربوا لله الأمثال**) أي لاتجعلوا له أندادا وأشباها وأمثالا (**إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون**) أي أنه يعلم ويشهد أنه لا إله إلا هو وأنتم بجهلكم تشركون به غيره.}[١] ا. هـ.

وقال: ﴿ **فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[٢].

قال ابن كثير - رحمه الله -: { وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال: قلت: يا رسول الله أي ذنب أعظم عند الله؟ قال: " **أن تجعل لله ندا وهو خلقك** " الحديث، وكذا حديث معاذ " **أتدري ما حق الله على عباده؟ أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا** " الحديث، وفي الحديث الآخر: " **لا يقول أحدكم ما شاء الله وشاء فلان، ولكن ليقل ماشاء الله ثم شاء فلان** ". وقال حماد بن سلمة: حدثنا عبد الملك بن عمير، عن ربعي بن خراش، عن الطفيل ابن سخيرة أخي عائشة أم المؤمنين لأمها، قال: رأيت فيما يرى النائم كأني أتيت على نفر من اليهود فقلت: من أنتم؟ قالوا: نحن اليهود، قلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: عزيز ابن الله، قالوا، وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، قال: ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: من أنتم؟ قالوا: نحن النصارى، قلت:

---

(١) تفسير ابن كثير، ج٢،ص٥٩٩.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٢.

إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله، قالوا: وإنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال: " هل أخبرت بها أحد؟ " قلت: نعم، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: " **إن طفيلا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها فلا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله وحده**"، هكذا رواه ابن مردوية في تفسير هذه الآية من حديث حماد بن سلمة به، وأخرجه ابن ماجه من وجه آخر عن عبد الملك بن عمير به بنحوه، وقال سفيان بن سعيد الثوري عن الأجلح بن عبد الله الكندي، عن يزيد بن الأصم، عن ابن عباس قال: قال رجل للنبي ﷺ: **ما شاء الله وشئت، فقال: " أجعلتني ندا لله؟ قل: ما شاء الله وحده**" رواه ابن مردوية وأخرجه النسائي وابن ماجه من حديث عيسى بن يونس بن الأجلح به، وهذا كله صيانة وحماية لجناب التوحيد، والله أعلم.

وقال محمد ابن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال الله تعالى ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ** ﴾ للفريقين جميعا من الكفار والمنافقين، أي وحدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم وبه عن ابن عباس ﴿ **فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾، أي لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا

تضر وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول ﷺ من التوحيد هو الحق الذي لا شك فيه، وهكذا قال قتادة. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، حدثنا أبي عمرو. حدثنا أبي الضحاك بن مخلد أبو عاصم، حدثنا شبيب بن بشر، حدثنا عكرمة، عن ابن عباس في قول الله عز وجل: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾قال: الأنداد: هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله وحياتك يا فلان وحياتي، ويقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلان هذا كله به شرك.

وفي الحديث أن رجلا قال لرسول الله ﷺ: ما شاء وشئت، قال: " **أجعلتني لله ندا** "؟ وفي حديث آخر: " نعم القوم أنتم لولا أنكم تنددون تقولون: ما شاء الله وشاء فلان " قال أبو العالية ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي عدلاء شركاء، وهكذا قال الربيع بن أنس وقتادة والسدي وأبو مالك وإسماعيل بن أبي خالد، وقال مجاهد: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال: تعلمون أنه إله واحد في التوراة والإنجيل.انتهى محل الغرض.

وكلام ربنا حق يصدق بعضه بعضا ولا يناقض بعضه بعضا، لكنك أنت لم ترد النصوص إلى بعضها وقفت على بعضها وتركت البعض الآخر وهذا عبث وسوء قصد أو جهل، فالحامل لك على هذا العبث وسوء القصد بتحريف كلام الله وكلام رسوله عن المعنى الحق الذي هو دلالة النصوص إلى معنى تعتقده أنت، فلو انك رددت هذه الآيات المسوقة إلى الآيات الأخرى أو رددت الآيات الأخرى إلى هذه الآيات المسوقة، واعني مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لانزاح عنك الإشكال ولتطهر قلبك ولسانك من قذر التشبيه، ولكن لما لم ترد النصوص إلى بعضها تورطت وساء فهمك وفسد قصدك وتلوث قلبك بقذر التشبيه. ولم تدرك سواه. وأقول من فقه الاستدلال بالنصوص، أن يرد بعضها إلى بعض، إذا ظهر لدى الباحث تعارض، فإنه يتراح التعارض ويزول الإشكال. وهذا ما حرمه أهل الأهواء ووفق إليه ولله الحمد أهل السنة.

الدليل الثاني: يقال له: ألست تعقل ذاتا لله عز وجل لا تشبهها ذوات الخلق، فسيقول: نعم، فإذن يقال له لماذا لا تعقل له صفات لا تشبه صفات الخلق؟ فإن القول في الصفات كالقول في الذات، ولا وجه يسوغ التفريق بينهما أبدا. فالتفريق بين الصفات والذات ضرب من العبث.

الدليل الثالث: يسأل هذا المشبه: ألست تعقل أو ألست ترى أو ألست تدرك من المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة؟ ترى شيئين أو أكثر متحدة في أسمائها لكن في أوصافها مختلفة، فسيقول: نعم، فيقال له: إن عدم المماثلة بين الخالق والمخلوق أجلى وأبين وانتفاء مشابهة المخلوق للخالق أوضح، فجعلناه يخصم نفسه بنفسه، ولله الحمد والمنة. فهذا مسلك أهل السنة مع المشبهة وخصمهم بالدليل كما ترى قرره علم من أعلام السنة عندنا وعند من يعرف قدر العلماء الربانيين فجزاه الله عن أهل التوحيد والسنة خير ما يجزي به العلماء والأئمة.

ص/: القسم الثالث: من جعلوا المعنى المتبادر من نصوص الصفات معنى باطلا، لا يليق بالله وهو التشبيه ثم إنهم من أجل ذلك أنكروا ما دلت عليه من المعنى اللائق بالله، وهم أهل التعطيل سواء كان تعطيلهم عاما في الأسماء والصفات، أم خاصا فيهما أو في أحدهما، فهؤلاء صرفوا النصوص عن ظاهرها إلى معاني عينوها بعقولهم واضطربوا في تعيينها اضطرابا كثيرا، وسموا ذلك تأويلا، وهو في الحقيقة تحريف.

ش/: وأقول: هذا هو مسلك الفريق الثالث وهم المعطلة، والتعطيل في اللغة معناه الإخلاء، فيقال: عطل الشيء يعطله إذا أخلاه.

وهو في الشرع: نفي أسماء الله وصفاته. والمعطلة ينقسمون في الجملة إلى قسمين:

القسم الأول: معطلة كلية أو معطلة الكل، أعني معطلة الأسماء والصفات وهؤلاء هم الجهمية، أتباع جهم بن صفوان الترمذي، الذي قتله سلم بن الاحوز.

القسم الثاني: التعطيل الجزئي، وهؤلاء أقسام، أحدهم معطلة الصفات فقط وهؤلاء هم المعتزلة، أصحاب واصل بن عطاء الغزال.

الثاني: الأشاعرة ومن وافقهم وهؤلاء معطلة لجميع الصفات إلا سبعا.

وهنا يقال: ما مذهب المعطلة؟! وما الحامل لهم على ذلك؟ فالجواب مذهب المعطلة هو نفي أسماء الله وصفاته، ما كان كليا أو جزئيا، والحامل لهم على ذلك اعتقادهم أن نصوص الصفات دالة على مشابهة الخالق للمخلوق.

فصرفوها عن هذا المعنى الذي فهموه وهو معنى باطل، ثم وقعوا فيما هو شر منه. وبهذا يعلم أن المعطل شبه أولا ثم عطل ثانيا وقرر معاني للصفات اضطرب فيها اضطرابا. وهكذا كل من ينحرف عن النصوص ويبتغي غير ما دلت عليه من تلقاء نفسه وبمحض عقله فإنه يقع في مفاوز، من الانحراف والشطط والفتنة ما الله به عليم. فهؤلاء المعطلة لما لم يفهموا ما فهمه أهل السنة من أن ما تدل عليه نصوص الصفات حق على حقيقته

وإنما فهموا مشابهة الخالق للمخلوق، وتركوا ذلك أصيبوا ببلية التعطيل. فلو انهم فهموا ما فهمه السلف، وابقوا دلالتها على ذلك لسلم لهم دينهم، ولكنهم باينوا النقل وتركوه وراء ظهورهم واتبعوا العقل. فأقدمهم الهواء وأوردهم الضلال فبئس الورد المورود، نعوذ بالله من مضلات الفتن.

ص/: ومذهبهم باطل من وجوه:

أحدها: أنه جناية على النصوص حيث جعلوها دالة على معنى باطل غير لائق بالله ولا مراد له.

الثاني: أنه صرف لكلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ عن ظاهره، والله تعالى خاطب الناس بلسان عربي مبين ليعقلوا الكلام ويفهموه على ما يقتضيه هذا اللسان العربي، والنبي ﷺ خاطبهم بأفصح لسان البشر فوجب حمل كلام الله ورسوله على ظاهره المفهوم بذلك اللسان العربي غير أنه يجب أن يصان عن التكييف والتمثيل في حق الله عز وجل.

الثالث: أن صرف كلام الله ورسوله عن ظاهره إلى معنى يخالفه، قول على الله بلا علم وهو محرم، لقوله – تعالى–: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا

تَعْلَمُونَ ﴾[١]. ولقوله -سبحانه-: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[٢].

ش/: بعد أن بين المصنف - رحمه الله - الباعث للمعطلة على تعطيلهم وانهم لم يفهموا من نصوص الصفات إلا المعنى الباطل وهو التشبيه، فسلكوا التعطيل. أبان - رحمه الله - الأدلة على بطلان مذهب هذا الفريق من وجوه:

الوجه الأول: أن مذهبهم صرف للنصوص عن ظاهرها، فظاهرها حق وهم لم يفهموا ذلك الحق، فصرفوا النصوص عن ظاهرها تبعا لفهمهم الباطل الذي لم تدل عليه، فهم عينوا معنى أو فهموا معنى باطلا لم تدل عليها النصوص فصرفوها عن ظاهرها تبعا لفهمهم الباطل واعتقادهم الفاسد.

الوجه الثاني، مسلكهم هذا هو صرف لكلام الله وكلام رسوله عن ظاهره وكيف ذلك؟ الله سبحانه وتعالى أنزل كتابه باللسان العربي المبين، ودعا العباد إلى تدبر ما أنزله، وكذلك نبيه ﷺ هو افصح عبد الله وانصحهم لخلقه فكلامه فصيح باللسان العربي الذي جاء به القران الكريم. فمسلك التعطيل هذا هو مباينة لظاهر النصوص.

---

(١) سورة الأعراف، آية ٣٣.

(٢) سورة الإسراء، آية ٣٦.

الوجه الثالث: يقال لهم: أن صرفكم لما دلت عليه نصوص صفات الله عز وجل

وهو معنى حق إلى التعطيل تبعا لاعتقادكم التشبيه هذا قول على الله بلا علم، وقفو لما لم تعلموه، فالله سبحانه وتعالى حرم القول عليه بلا علم، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١). فأنتم عينتم شيئا لا علم لكم به من عقولكم وخالفتم نهي الله عز وجل حين قال: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ (٢). فاتبعتم ما ليس عندكم من علمه شيء، وهذا وذاك كله محض الافتراء والكذب على الله وعلى رسوله ﷺ. فكلام الله وكلام رسولهﷺ متفقان على أن لله عز وجل الأسماء الحسنى والصفات العلى وانتم تصرفونهما عن ذلك وتنفون ما جاء به كتاب ربنا وسنة نبيناﷺ من صفات الكمال لله عز وجل فتعتقدون التشبيه ثم بعد ذلك تنفون ما دلت عليه النصوص من صفات الله عز وجل التي هي كلها كمال وليس فيها نقص بوجه من الوجوه كما انه لا يشبه الله فيها أحدا

---

(١) سورة الأعراف،آية ٣٣.

(٢) سورة الإسراء، آية ٣٦.

من خلقه ولا يشبهه أحد من خلقه، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (١). لكنكم لما خالفتم ذلك وقعتم في شر منه وهو التعطيل.

ص/: قال المصنف – رحمه الله تعالى –: فالصارف لكلام الله تعالى ورسوله عن ظاهره إلى معنى يخالفه قد قفا ما ليس له به علم. وقال على الله مالا يعلم من وجهين:

الأول: أنه زعم أنه ليس المراد بكلام الله تعالى ورسوله كذا، مع أنه ظاهر الكلام.

ش/: وأقول: من صرف كلام الله وكلام رسوله عن ظاهره، يقع في أمرين وكلاهما باطل، لا يدل عليهما كلام الله وكلام رسوله وهذا وجه بطلانهما، أضف إلى ذلك انه قال على الله بلا علم واتبع ما ليس عنده فيه من الله ولا من رسوله برهان فهو إذن محض الرأي الفاسد والظن الكاذب وان قلت: كيف يبطل كلام الصارف لكلام الله ورسوله عن ظاهره ؟ قلنا: هذا يظهر لك من وجهين:

الوجه الأول: انه نفى مراد الله من كلامه زعما منه، فقال: ليس يراد كذا، هذا أولا نفى المعنى الذي يدل عليه كلام الله وكلام رسوله من تلقاء نفسه.

---

(١) سورة الشورى، آية ١١.

وثانيا: انه عين معنى من عند نفسه، فقال: المراد كذا، وكلا المعنيين من عند نفسه. ليس عليهما دلالة من كتاب ولا سنة لا نصا ولا ظاهرا ولا إشارة. وهاك المثال، فالمعطل يقول مثلا في قوله تعالى: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[1]: ليس المراد يد الذات التي هي صفة ذاتية لله عز وجل، فما يراد بها إذن ؟ قال: يراد القدرة، أو النعمة. فانظر كيف نفى المعنى المتبادر إلى الذهن من النص ظاهرا وفق اللسان العربي الذي انزل الله به كتابه وبين به رسولهﷺ المراد من كتاب ربه ثم أتى بمعنى آخر من عند نفسه. ومثال آخر: يقول الله عز وجل: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[2]. يقول: ليس المراد الوجه الذي وصف الله به نفسه على حقيقته، ليس هذا المراد، ليس لله وجه؛ إذن ماذا يراد؟! قال: يراد الثواب أو يراد الجهة وهكذا هذه قاعدته التي هي باطل من القول وكذب وافتراء.

ص/: الثاني: انه زعم أن المراد به كذا لمعنى آخر لا يدل عليه ظاهر الكلام.

---

(١) سورة ص، آية ٧٥.

(٢) سورة الرحمن، آية ٢٧.

وإذا كان من المعلوم أن تعيين أحد المعنيين المتساويين في الاحتمال قولا بلا علم فما ظنك بتعيين المعنى المرجوح المخالف لظاهر الكلام؟!

مثال ذلك قوله - تعالى - لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾(١). فإذا صرف الكلام عن ظاهره وقال: لم يرد باليدين الحقيقيتين وإنما أراد كذا وكذا. قلنا له: ما دليلك على ما نفيت؟! وما دليلك على ما أثبت؟! فإن أتى بدليل - وأنى له ذلك - وإلا كان قائلا على الله بلا علم في نفيه وإثباته.

ش/: هنا مزيد بيان وتفصيل من المصنف - رحمه الله - على ما تقدم وهو متضمن هذين الوجهين ومن زيادة البيان والتفصيل.

أولا: يقال: إذا كان تعيين أحد المعنيين الذين لا يعرف منهما الراجح والمرجوح -وهذا هو المجمل- بلا علم هو محض التحكم، فكيف بمن صرف اللفظ عن معناه المتعين الذي هو ظاهر النص إلى معنى آخر؟! وأنا أسوق مثالا أوضح به كلامي إن شاء الله تعالى، من الكلمات التي تحتمل معنيين على السواء ولا يسوغ ترجيح أحدهما بلا علم وبلا حجة وبلا دليل، كلمة القرء فإنها محتملة للطهر والحيض فمن أراد أن يعين من تلقاء نفسه أحد المعنيين بلا دليل قلنا له مكانك، لا يسوغ لك أن ترجح

(١) سورة ص، آية ٧٥.

أحد هذين المعنيين إلا بدليل فاللفظ مجمل وقد قرر الأصوليون أن المجمل لا يعمل به إلا بعد البيان. فيقال للمعطل: أنت حين صرفت لفظ اليد في آي التتريل الكريم أو في سنة النبي ﷺ عن معناه الذي لا يتبادر إلى النص ظاهرا سواه إلى معنى من عند نفسك لا يدل عليه النص لا دلالة تضمن ولا مطابقة ولا التزام، بل أقول: ولا إشارة ! فهذا محض التحكم كيف صرفت اللفظ عن معناه الراجح إلى معناه المرجوح. ثم ذكر الشيخ - رحمه الله - أمثلة، أظنها واضحة ولا تحتاج إلى شرح وبيان وقد قدمنا بعضها.

ص/: الوجه الرابع: في إبطال مذهب أهل التعطيل أن صرف نصوص الصفات عن ظاهرها مخالف لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها فيكون باطلا، لأن الحق بلا ريب فيما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها.

ش/: لا يزال المصنف - رحمه الله - يقرر بطلان مذهب المعطلة تقريرا يوضح بطلانه ويجليه ولا يدع مجالا للريب والشك، وهذا الوجه الرابع أوضح الأدلة وذلك أن يقال للمعطل:

صرفك نصوص الكتاب والسنة عن ظاهرها باطل، فكيف كان باطلا ؟

نقول: إضافة إلى ما تقدم من اوجه بطلانه انه خلاف ما كان عليه رسول الله ﷺ وخلاف ما فهمه الصحابة من أصول الدين عن النبي ﷺ وخلاف

ما درج عليه الأئمة من التابعين واتباع التابعين ومن تبعهم بإحسان. وهاك مثالا بسيطا هو نموذج لفهم السلف صفات الرب عز وجل كما جاءت في الكتاب وفي السنة، ففي صحيح مسلم:" أن معاوية بن الحكم - رضي الله عنه - أخبرته جاريته أن الذئب عدى على غنمه فأخذ شاة منها فلطمها لما أخبرته، فجاء إلى النبي ﷺ فأخبره الخبر فتغيظ النبي ﷺ ثم قال معاوية رضي الله عنه: يا رسول الله علي رقبة أفلا اعتقها؟ قال: جئني بها انظر أمؤمنة؟ فجاء معاوية بجاريته إلى النبي ﷺ ليختبرها ويختبر حقيقة إيمانها فقال لها: أين الله؟ فقالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله،)[1] فانظر إلى قولها في السماء، لأنها عرفت من سيدها أن من أصول دينها الإيمان بصفات الله عز وجل، وان من صفات الله العلو، علو الذات الذي ينفيه المعطلة. والأمثلة على هذا كثيرة وكثيرة جدا. والخلاصة أن هذا المعطل بصرفه النصوص عن ظاهرها خالف النص والإجماع.

ص/: الوجه الخامس: أن يقال للمعطل: هل أنت أعلم بالله من نفسه؟! فسيقول: لا! ثم يقال له: هل ما أخبر الله به عن نفسه صدق وحق؟ فسيقول: نعم!

---

(١) سبق تخريجه، ص٧٣.

ثم يقال له: هل تعلم كلاما أفصح وأبين من كلام الله تعالى؟ فسيقول: لا! ثم يقال له: هل تظن أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يعمي الحق على الخلق في هذه النصوص ليستخرجوه بعقولهم؟ فسيقول: لا! هذا ما يقال له باعتبار ما جاء في القرآن. أما باعتبار ما جاء في السنة فيقال له: هل أنت أعلم بالله من رسوله ﷺ؟ فسيقول: لا!، ثم يقال له: هل ما أخبر به رسول الله ﷺ عن الله صدق وحق؟ فسيقول: نعم!، ثم يقال له: هل تعلم أحدا من الناس أفصح كلاما وأبين من رسول الله ﷺ؟ فسيقول: لا!، ثم يقال له: هل تعلم أن أحدا من الناس أنصح لعباد الله من رسول الله؟ فسيقول: لا!، فيقال له: إذا كنت تقر بذلك فلماذا لا يكون عندك الإقدام والشجاعة في إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ على حقيقته وظاهره اللائق بالله؟ وكيف يكون عندك الإقدام والشجاعة في نفي حقيقته تلك وصرفه إلى معنى يخالف ظاهره بغير علم؟ وماذا يضيرك إذا اثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه في كتابه أو سنة نبيه ﷺ على الوجه اللائق به، فأخذت بما جاء في الكتاب والسنة إثباتا ونفيا؟ أفليس هذا أسلم لك وأقوم لجوابك إذ سئلت يوم القيامة:

﴿ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[1]. أو ليس صرفك لهذه النصوص عن ظاهرها وتعيين معنى آخر مخاطرة منك؟! فلعل المراد يكون على تقدير جواز صرفها غير ما صرفتها إليه.

ش/: هذا **الوجه الخامس:** يتضمن مناظرة العالم السني الجهبذ المحقق الذي نعترف له بالفضل علينا وعلى أمثالنا من أهل الإسلام، ممن يبتغي الحق بدليله، مناظرة للمعطل المبتدع. وتتضمن هذه المناظرة شيئين:

الأول: تقرير المعطل باستخراج ما في نفسه وما يعتقده في كلام الله وكلام رسوله ﷺ وذلك من خلال ثمانية أسئلة، أربعة أسئلة متعلقة باعتقاده في الله وفي كلامه، وأربعة أسئلة متعلقة باستخراج اعتقاد هذا المعطل المبتدع في رسول الله ﷺ وفي ما جاء به رسول الله ﷺ. وقد ظهر خلال هذه الأسئلة لذي البصيرة أن هذا المعطل سلم تسليما مثل الشمس بإحقاق ما كان حقا وإبطال ما كان باطلا من خلال هذه الثمانية الأسئلة، سواء منها ما يتعلق باعتقاده في الله وفي كلامه أو ما يتعلق منها في النبي ﷺ وفي ما جاء به، فماذا بقي إذن؟ بقي الشيء الثاني: وهو أن يقال له: ما دمت تعتقد هذا الاعتقاد وهو صحيح في الله وفي رسوله وظهر منك حين إجاباتك على الأسئلة الثمانية، أولا: لماذا لا تثبت ما

(١) سورة القصص، آية ٦٥.

* الأصل بدون لفظة إلى.

أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله من الصفات، وتنفي ما نفى الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله؟!

وثانيا: ألا يكون عندك شجاعة في الصدع بالحق وهجر وترك المعنى أو المعاني التي عينتها من عند نفسك؟!

وثالثا: يقال له: أليس في تعيينك معنا لم يكن مفهوما من كلام الله ولا كلام رسوله ﷺ مخاطرة منك؟!

ويقال له أخيرا: ما جوابك إذا قال لك ربك: ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[1]. فبان من خلال ما سبق أن هذا المعطل قد تخبط وقال على الله بلا علم، وحرف كلام الله وكلام رسوله وقرر الباطل والبدعة التي هي من الإحداث في الدين وهي ضلالة وكل ضلالة في النار، فإذن لا مناص من لزوم السنة والمشي على ما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ في أصول الدين عامة وفي هذا الباب خاصة. وقد أودع الله سبحانه وتعالى في كتابه ما هو حق من صفاته ودعا العباد إلى الإيمان به، وكذلك جاء في السنة، والسنة وحي من الله لرسوله ﷺ.

(١) سورة القصص، آية ٦٥.

ص/: الوجه السادس: في إبطال مذهب أهل التعطيل، أنه يلزم عليه لوازم باطلة وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم. فمن هذه اللوازم:

أولا: أن أهل التعطيل لم يصرفوا نصوص الصفات عن ظاهرها إلا حين اعتقدوا أنه مستلزم أو موهم لتشبيه الله تعالى بخلقه، وتشبيه الله تعالى بخلقه كفر لأنه تكذيب، لقوله تعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾(1). قال نعيم بن حماد الخزاعي أحد مشايخ البخاري - رحمهما الله -: ومن شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها.ا.هـ. ومن المعلوم أن من أبطل الباطل أن يجعل ظاهر كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ تشبيها وكفرا أو موهما لذلك.

ش/: جرت عادة أهل السنة أن يبينوا للناس الحق، الذي دل عليه كلام الله وكلام رسوله ﷺ ودعوة الناس إليه. كما جرت عادهم التحذير من البدع والمحدثات وجميع المعاصي التي يبغضها الله ويأباها، وبيان الآثار المترتبة على الأقوال والأفعال من البدع والمعاصي. والشيخ - رحمه الله - مقتف آثار أهل السنة في ذلك، فإنه لما أبان في الأوجه السابقة بطلان مذهب أهل التعطيل ذكر في هذا الوجه ما يترتب على هذا المذهب

---

(1) سورة الشورى، آية ١١.

البدعي، فذكر انه يلزم على مذهب المعطلة لوازم باطلة تترتب عليه أمور فاسدة منحرفة عن سبيل المؤمنين، واللوازم الباطلة تدل على بطلان ما ترتبت هي عليه. هذه قاعدة معلومة، حتى غير أهل السنة يقولون بها، وان كانوا لا يطبقونها تطبيقا تاما، في العبادات الإعتقادية والعملية، أما أهل السنة فيطبقونها تطبيقا تاما. فمن اللوازم الباطلة: أن أهل التعطيل ما حملهم على نفي صفات الرب عز وجل إلا اعتقادهم التشبيه، واعتقاد التشبيه مصادم لكلام الله، أقول بل مصادم للنص والإجماع، فمن النص قوله تعالى:

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾.

﴿ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾[1]. ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[2]. فمعتقد التشبيه مكذب لله عز وجل، مصادم لكتابه. وأما الإجماع فمنه الحكاية التي أوردها الشيخ -رحمه الله- عن نعيم بن حماد - رحمه الله - وهي مجمع عليها عند أهل السنة والجماعة.

ص/: ثانيا: أن كتاب الله تعالى الذي أنزله تبيانا لكل شيء وهدى للناس وشفاء لما في الصدور ونورا مبينا وفرقانا بين الحق

---

(١) سورة النحل، آية ٧٤.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٢.



والباطل لم يبين الله تعالى فيه ما يجب على العباد اعتقاده في أسمائه وصفاته وإنما جعل ذلك موكولا إلى عقولهم، يثبتون لله ما يشاءون وينكرون ما لا يريدون وهذا ظاهر البطلان.

ش/: هذا هو اللازم الثاني من اللوازم الباطلة المترتبة على مذهب التعطيل، وخلاصته أن الرب جل وعلا لم يبين للناس ما يجب عليهم اعتقاده فيه، وكذلك رسول الله ﷺ لم يبين، فإذن لا بيانا من الله ولا من رسوله عما يجب اعتقاده في الله عز وجل وهذا اصل الدين وأساسه، لأنه التوحيد. وهذا في الحقيقة يدل على أن عقل المعطل فاسد، كيف ينحرف عن المعنى الذي أراده الله من كلامه أو بلغه رسول الله ﷺ؟ ثم من هذا اللازم أن الله ترك الناس لعقولهم فيما هو اصل الدين أو هو من اصل الدين وأساسه ترك البيان فيه لعقول الناس المضطربة المتباينة، وهذا في الحقيقة بطلانه ظاهر. فإن الله سبحانه وتعالى أخبر أنه أنزل كتابه تبيانا لكل شيء، واخبر جل وعلا انه انزل على نبيه محمد ﷺ الذكر ليبين للناس ما نزل إليهم.

ص/: ثالثا: أن النبي ﷺ وخلفاءه الراشدين وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها كانوا قاصرين أو مقصرين في معرفة وتبيين ما يجب لله تعالى من الصفات أو يمتنع عليه أو يجوز إذ لم يرد عنهم حرف واحد فيما ذهب إليه أهل التعطيل في صفات الله تعالى وسموه تأويلا. وحينئذ إما أن يكون النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون وسلف الأمة وأئمتها

قاصرين لجهلهم بذلك وعجزهم عن معرفته أو مقصرين لعدم بيـــانهم للأمة وكلا الأمرين باطل!.

ش/: الحقيقة انه كلما مر لازم من هذه اللوازم الباطلة المترتبة على مذهب التعطيل هو أشد مما قبله، وهذا اللازم خلاصته: اتهام رســـول الله ﷺ بالتقصير في البيان وهذا كتم لما أمر الله به أن يبين للناس، أقول: هذا اتهام لرسول الله ﷺ ولخلفاءه الراشدين ومن بعدهم من أئمة الســـلف بكتم ما أوجب الله بيانه، وهذا رمـــي لرســـول الله ﷺ بالتقصـــير و بالتجهيل، وأن رسول الله ﷺ وخلفاءه ومن بعدهم من أئمة الهدى كانوا جاهلين. وذلك انه لم يرد عن رسوله ﷺ ولا عن السلف من الصحابـــة وأئمة التابعين ومن بعدهم حرف واحد فيه حجة لأهل التعطيل، لم يقـــل الرسولﷺ و لم يقل خلفاءه و لم يقل أئمة الهدى من السلف الصـــالح ولا حرفا واحد مما ذهب إليه المعطلة. وكلا الأمرين أبطل الباطل.

ص/: رابعا: أن كلام الله ورسوله ليس مرجعا للنـــاس فيمـــا يعتقدونه في ربهم وإلههم الذي معرفتهم به من أهم مـــا جـــاءت بـــه الشرائع بل هو زبدة الرسالات وإنما المرجع تلك العقـــول المضطربـــة المتناقضة وما خالفها، فسبيله التكذيب إن وجدوا إلى ذلك ســـبيلا، أو التحريف الذي يسمونه تأويلا إن لم يتمكنوا من تكذيبه.

ش/: وهذا الوجه يتضمن شيئين:

أحدهما: ما خلاصته، سلخ الناس عن ما جاء في هذا الباب الذي هو زبدة الرسالة، وذلك بعدم الرجوع إلى كلام الله وكلام رسوله ومنهج السلف الصالح، وعليه فإن النص والإجماع ليسا مرجعين في هذا الباب.

وثانيا: أن المرجع الذي يجب التعويل عليه في فهم هذا الباب هو عقول الناس، ومنهم المعطلة. وقد علم حسا ومشاهدة كما هو معلوم شرعا أن عقول الناس لا تتفق على شيء، فيا العجب! كيف يصرف الناس عن ما جاءت به الرسالات واتفقت على أن الخلق متعبدون به، وان تكذيبه كفر، ويحول الناس إلى العقول المتباينة المضطربة. فهذا في الحقيقة ضلال بعد الهدى، وزيغ عن الصراط المستقيم، وصرف عن اتباع سبيل المؤمنين، الذي قال الله فيه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[1].

ص/: خامسا: أنه يلزم منه جواز نفي ما أثبته الله ورسوله ﷺ فيقال: في قوله تعالى: ﴿وجَآءَ رَبُّكَ﴾[2]. إنه لا يجيء، وفي قوله ﷺ:" يترل ربنا إلى السماء الدنيا "[3]. إنه لا يترل لأن إسناد المجيء

(١) سورة النساء، آية ١١٥.

(٢) سورة الفجر، آية ٢٢.

(٣) سبق تخريجه، ص ١٢٦.

والنزول إلى الله مجاز عندهم، وأظهر علامات المجاز عند القائلين به صحة نفيه ونفي ما أثبته الله ورسوله من أبطل الباطل، ولا يمكن الانفكاك عنه بتأويله إلى أمره لأنه ليس في السياق ما يدل عليه.

ثم إن من أهل التعطيل من طرد قاعدته في جميع الصفات أو تعدى إلى الأسماء أيضا، ومنهم من تناقض فأثبت بعض الصفات دون بعض، كالأشعرية والماتريدية، أثبتوا ما أثبتوه بحجة أن العقل يدل عليه، ونفوا ما نفوه بحجة أن العقل ينفيه أو لا يدل عليه. فنقول لهم: نفيكم لما نفيتموه بحجة أن العقل لا يدل عليه يمكن إثباته بالطريق العقلي الذي أثبتم به ما أثبتموه كما هو ثابت بالدليل السمعي. مثال ذلك: أنهم أثبتوا صفة الإرادة ونفوا صفة الرحمة، أثبتوا صفة الإرادة لدلالة السمع والعقل عليها.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[1].

وأما العقل: فإن اختلاف المخلوقات وتخصيص بعضها بما يختص به من ذات أو وصف دليل على الإرادة. ونفوا الرحمة، قالوا: لأنها تستلزم لين الراحم ورقته للمرحوم وهذا محال في حق الله تعالى.

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٥٣.

وأولوا الأدلة السمعية المثبتة للرحمة إلى الفعل أو إرادة الفعل، ففسروا الرحيم بالمنعم أو مريد الإنعام.

فنقول لهم: الرحمة ثابتة لله تعالى بالأدلة السمعية وأدلة ثبوتها أكثر عددا وتنوعا من أدلة الإرادة. فقد وردت بالاسم مثل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[(١)]. والصفة مثل: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ﴾[(٢)]. والفعل مثل: ﴿وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ﴾[(٣)]. ويمكن إثباتها بالعقل، فإن النعم التي تترى على العباد من كل وجه والنقم التي تدفع عنهم في كل حين دالة على ثبوت الرحمة لله عز وجل، ودلالتها على ذلك أبين وأجلى من دلالة التخصيص على الإرادة، لظهور ذلك للخاصة والعامة، بخلاف دلالة التخصيص على الإرادة فإنه لا يظهر إلا لأفراد من الناس.

وأما نفيها بحجة أنها تستلزم اللين والرقة، فجوابه: أن هذه الحجة لو كانت مستقيمة لأمكن نفي الإرادة بمثلها. فيقال: الإرادة ميل المريد إلى ما يرجو به حصول منفعة أو دفع مضرة وهذا يستلزم الحاجة، والله تعالى منزه عن ذلك.

---

(١) سورة الفاتحة، آية ٣.

(٢) سورة الكهف، آية ٥٨.

(٣) سورة العنكبوت، آية ٢١.

فإن أجيب: بأن هذه إرادة المخلوق ! أمكن الجواب بمثله في الرحمة بأن الرحمة المستلزمة للنقص هي رحمة المخلوق! وبهذا تبين بطلان مذهب أهل التعطيل سواء كان تعطيلا عاما أم خاصا.

ش/: هذا اللازم الخامس من اللوازم الباطلة لمذهب المعطلة يتضمن:

أولا: جواز نفي ما ثبت من الصفات في الكتاب والسنة فيلزم على قولهم مثلا: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾. أن الله لا يجيء، ومن قوله ﷺ: " ينزل ربنا ". أن الله لا ينزل وهكذا في جميع الصفات. هذا اللازم الباطل مطرد في جميع الصفات عندهم، لأنهم ينفون صفات الله عز وجل. فإذا قال الله مثلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾[1]. يلزم على هذا المذهب، مذهب المعطلة أن الله لا يحب هؤلاء، لأن هذا الذي أثبته أهل السنة من صفات ربنا عز وجل ذاتية كانت أو فعلية هو مجاز عندهم، وأظهر علامات المجاز أن يصح نفيه.

وثانيا: أن الأشاعرة والماتريدية الذين استعملوا العقل إثباتا ونفيا يمكن أن يرد عليهم أيضا بالعقل، فهم اثبتوا الإرادة، بدليل انه اجتمع على

---

(١) سورة الصف، آية ٤.

ثبوتها السمع والعقل وقد ذكر المصنف - رحمه الله - أدلتهم، السمعية والعقلية، ونفوا الرحمة بحجتين:

إحداهما: تأويل النصوص السمعية.

وثانيتهما: أن الرحمة من جهة العقل لا تليق بالله، وكيف ذلك؟!

قالوا: لأنها تستلزم لين الراحم ورقته بالمرحوم، وهذا لا يليق بالله عز وجل. فرد المصنف عليهم شرعا وعقلا.

فالشرع: أن نصوص الرحمة أكثر من نصوص الإرادة فهي متنوعة تنوعا يدركه الخاصة والعامة، بخلاف نصوص الإرادة فلا يفقهها إلا أفراد من الناس.

ومن جهة العقل: ما يشاهده الناس من تتابع النعم واندفاع النقم، هذا دليل على أن الله رحيم بعباده عز وجل. ثم من جهة العقل أيضا ما حاصله شيئان:

أحدهما: أن الإرادة هي ميل المريد إلى من يرجو نفعه أو يحتاجه أو غير ذلك من المصالح.

و ثانيهما :

فإن قالوا: هذه إرادة المخلوق مع المخلوق، يقال لهم: الرحمة التي تستلزم رقة الراحم ولينه بالمرحوم هي رحمة المخلوق. وبهذا علم أن مذهب المعطلة باطل من جهة السمع ومن جهة العقل.

ص/: وبه علم أن طريق الأشاعرة والماتريدية في أسماء الله وصفاته وما احتجوا به لذلك لا تندفع به شبه المعتزلة والجهمية، وذلك من وجهين:

أحدهما: أنه طريق مبتدع لم يكن عليه النبي ﷺ ولا سلف الأمة وأئمتها، والبدعة لا تدفع بالبدعة وإنما تدفع بالسنة.

الثاني: أن المعتزلة والجهمية يمكنهم أن يحتجوا لما نفوه على الأشاعرة والماتريدية بمثل ما احتج به الأشاعرة والماتريدية لما نفوه على أهل السنة، فيقولون: لقد أبحتم لأنفسكم نفي ما نفيتم من الصفات بما زعمتموه دليلا عقليا وأولتم دليله السمعي، فلماذا تحرمون علينا نفي ما نفيناه بما نراه دليلا عقليا ونؤول دليله السمعي فلنا عقول كما أن لكم عقولا؟! فإن كانت عقولنا خاطئة فكيف كانت عقولكم صائبة؟! وإن كانت عقولكم صائبة فكيف كانت عقولنا خاطئة؟ وليس لكم حجة في الإنكار علينا سوى مجرد التحكم واتباع الهوى.

وهذه حجة دامغة وإلزام صحيح من الجهمية والمعتزلة للأشعرية والماتريدية، ولا مدفع لذلك ولا محيص عنه إلا بالرجوع لمذهب السلف الذين يطردون هذا الباب ويثبتون لله تعالى من الأسماء والصفات ما أثبته لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ إثباتا لا

تمثيل فيه ولا تكييف.وتتريها لا تعطيل فيه ولا تحريف. ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

ش/: أقول: قرر المصنف - رحمه الله - بطلان حجج الأشاعرة والماتريدية، و أقول: من لف لفهم، وانه لا يندفع به احتجاج المعتزلة والجهمية عليهم من وجهين:

أول الوجهين: أن التعطيل مبتدع محدث، والبدعة لا تندفع بالبدعة، بل البدعة لا تندفع إلا بسنة. وهؤلاء ليس عندهم سنة، ليس عندهم نص لا من كتاب ولا من سنة بل محض العقل.

والوجه الثاني: خلاصته واضحة، وهي أن المعتزلة والجهمية يحتجون على الأشاعرة والماتريدية، فيقولون: انتم تنفون ما تنفون وتثبتون ما تثبتون مؤولين الدليل السمعي ولاجئين إلى الدليل العقلي، فكيف تحرمون علينا ما تبيحونه لأنفسكم؟ ما دليلكم على ما أثبتموه وما دليلكم على ما نفيتموه؟ فإن كانت عقولكم صائبة فكيف تكون عقولنا خاطئة؟ .... إلى آخر المحاورة. التي هي في الحقيقة إلزام صحيح للأشاعرة والماتريدية، وفيها دليل لنا أهل السنة على بطلان مذهب الأشاعرة والماتريدية. كيف يثبتون لله سبع صفات بحجة أن العقل يثبتها وينفون سائر الصفات؟!

وهذا يظهر أن الأشاعرة والماتريدية معتزلة إلا في سبع صفات لم يثبتوها بالنص، بل أثبتوها بالعقل. ولهذا قال بعض أهل العلم: إن الأشاعرة

والماتريدية لم يثبتوا لله شيئا، لأن إثبات ما أثبته الله ورسوله من صفات الباري جل وعلا، ونفي ما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسوله يجب أن يكون المعول عليه فيه هو النص، لا العقل. هذا خلاصة هذين الوجهين اللذين هما دليل قاطع على أن مذهب الأشاعرة باطل، ثم وجه الشيخ — رحمه الله — كما هي عادته مقتفيا من مضى من أئمة السلف من دعوة الناس إلى السنة والأخذ بها واستعمالها، وأقول: في جميع أحكام الله. في هذا الباب وفي غيره. ولكن المصنف - رحمه الله - يؤكد على صفات الرب عز وجل لأنه ألف الكتاب فيها. فجزاه الله خير الجزاء.

ص/: (تنبيه):

علم مما سبق أن كل معطل ممثل، وكل ممثل معطل.

أما تعطيل المعطل فظاهر، وأما تمثيله فلأنه إنما عطل لاعتقاده أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه، فمثل أولا، وعطل ثانيا، كما أنه بتعطيله مثله بالناقص.

ش/: أراد المصنف - رحمه الله تعالى - بيان القاعدة المعروفة عند أهل العلم.

وأئمة السنة أن كل معطل مشبه، وكل مشبه معطل.

وبيان ذلك فيما يأتي:

أولا: تعطيل المعطل وهو نفيه الأسماء والصفات أو نفي الصفات أو نفي بعض الصفات ظاهر وواضح، أما تمثيله، فإذا قيل: كيف كان المعطل ممثلا أو مشبها؟ نحن ندرك كونه معطلا لأن التعطيل ظاهر، لكن نحتاج إلى بيان حتى نعرف أن المعطل مشبه أو ممثل.

فالجواب: عرفت فيما سبق أن المعطل حمله على تعطيله اعتقاده التشبيه من نصوص الصفات، فهو لم يفهم من نصوص الصفات ما فهمه أهل السنة، أن ما أفادته النصوص من أسماء الله وصفاته ظاهرا هو المعنى الحق، اللائق بالله عز وجل، وإنما فهم التمثيل، فهم من ظاهر النصوص مشابهة الخالق جل وعلا لخلقه، فلما أنقدح في قلبه هذا المعنى الفاسد وتلوث به عقله وفطرته، لجأ فرارا منه إلى التعطيل فكان بذلك مشبه أولا، ثم معطلا ثانيا. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أنه حين نفى ما دل عليه الكتاب والسنة من صفات الرب جل وعلا وان ذلك حق على حقيقته، فإنه شبه بتعطيله، شبه الخالق الكامل بكل وجه من الوجوه بالمخلوق الناقص. ولهذا يقولون: المشبه يعبد صنما، والمعطل يعبد عدما.

ثانيا: كيف يكون المشبه معطلا؟ ونحن ندرك كون المشبه ممثلا، هذا مدرك. عرفنا انه مثل الخالق بخلقه، فجعل ما دلت عليه النصوص من صفات ربنا جل وعلا مشابها لصفات خلقه، فيقول: يده كأيدينا، وعينه كأعيننا، ووجهه كوجوهنا، هذا ظاهر مدرك، لكن كيف كان المشبه معطلا؟! كيف تعطيله؟ سيذكر الشيخ الأوجه التي كان الممثل بها معطلا.

ص/: وأما تمثيل الممثل فظاهر وأما تعطيله فمن ثلاثة أوجه:

الأول: أنه عطل النص نفسه الذي أثبت به الصفة، حيث جعله دالا على التمثيل مع أنه لا دلالة فيه عليه، وإنما يدل على صفة تليق بالله عز وجل.

ش/: هذا هوالبيان لتعطيل الممثلة الذي لم يكن مدركا عند غير أولي العلم من الناس.

فالوجه الأول من أوجه تعطيل الممثل: انه عطل النص الذي ظاهره الدلالة الصريحة القطعية على صفات الرب عز وجل، وجعله دالا على التمثيل. النص يدل على أن لله صفات ثابتة، سواء كان النص آية من الكتاب أو سنة صحيحة عن رسول الله ﷺ على الوجه اللائق به.

وهذا الممثل جعل النص دالا على صفة لله عز وجل مماثلة لصفات خلقه، والناظر نظرة تأمل وبصيرة يعلم ضلال الممثل في هذا، كيف حرف النص عن ظاهره وفق اللسان العربي المبين المفيد أن صفة الرب عز وجل ثابتة على وجه يليق به سبحانه وتعالى إلى وجه يتشابه فيه الخالق والمخلوق. هذا في الحقيقة فساد في العقل، لأن الشرع لم يأتي بما تحيله العقول السليمة، وإنما يأتي بما تحار فيه العقول. وما دلت عليه نصوص الصفات من إثبات صفات الجلال والكمال لله عز وجل، أمر بين واضح يتوافق فيه العقل السليم والفطرة السليمة مع النص في إثبات صفات لله عز وجل، ليس فيها مماثلة لصفات خلقه.

ص/: الثاني: أنه عطل كل نص يدل على نفي مماثلة الله لخلقه.

ش/: هذا هو الوجه الثاني: نصوص الصفات تقدم أنها قسمان: نص يثبت لله عز وجل صفات لائقة به، ونص ينفي عن الله عز وجل ما لا يليق به من الصفات. كما سبق أن منهج أهل السنة إثبات ما أثبته الله لنفسه من الصفات أو أثبته له رسوله ﷺ على الوجه اللائق بالله عز وجل. وانهم ينفون ما نفاه الله عن نفسه من الأوصاف أو نفاه عنه رسوله ﷺ مع إثبات كمال ضده.

فهذا الممثل عطل النص أو كل نص يتضمن نفي ما نفاه الله عن نفسه، وإن شئت فقل: يتضمن تعطيل كل نص ينفي المماثلة، مثل قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾. كيف عطله؟ عطله حين قال: يده كأيدينا، وجهه كوجوهنا، سمعه كسمعنا و بصره كبصرنا.

ص/: الثالث: أنه عطل الله تعالى عن كماله الواجب حيث مثله بالمخلوق الناقص.

ش/: نحن نعلم مما فهمناه من كتاب ربنا وسنة نبينا ومما عرفناه من منهج السلف الصالح في الصفات أن لله عز وجل صفات الكمال التي ليست فيها نقص بوجه من الوجوه.

وهذا الممثل يعطل الله عن كماله الواجب، ما الكمال الواجـــب؟ الكمال الواجب في مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1]. يعني لا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله سبحانه وتعالى. وهذا الممثل عطـــل الله عن هذا الكمال الواجب، فجعله مشابها لخلقه وهذا هو وصف النقص بعينه.

(١) سورة الشورى، آية ١١.

الباب الرابع

شبهات و الجواب عنها

المثال الأول: " الحجر الأسود يمين الله في الأرض ".

المثال الثاني: " قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن ".

المثال الثالث: " إني أجد نفس الرحمن من قبل اليمن ".

المثال الرابع: قوله تعالى: ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾.

المثالان: الخامس و السادس:

قوله تعالى:﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾. و قوله تعالى: ﴿ ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم ﴾.

المثالان السابع و الثامن: قوله تعالى: ﴿و نحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾،

و قوله: ﴿ و نحن أقرب إليه منكم ﴾.

المثالان التاسع و العاشر: قوله تعالى: ﴿ تجري بأعيننا ﴾، وقوله: ﴿ و لتصنع على عيني ﴾.

المثال الحادي عشر: قوله تعالى في الحديث القدسي: "وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل ".

المثال الثاني عشر: قوله ﷺ فيما يرويه عن الله تعالى: " من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً ... ".

المثال الثالث عشر: قوله تعالى: ﴿ أو لم يروْا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً.. ﴾.

المثال الرابع عشر: قوله تعالى: ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله.. ﴾.

المثال الخامس عشر: قوله تعالى في الحديث القدسي: " يا ابن آدم مرضت فلم تعدني.. ".

قال المصنف رحمه الله تعالى

الباب الرابع

شبهات و الجواب عنها

فصل

اعلم أن بعض أهل التأويل أورد على أهل السنة شبها في نصوص من الكتاب والسنة في الصفات، ادعى أن أهل السنة صرفوها عن ظاهرها ليلزم أهل السنة بالموافقة على التأويل أو المداهنة فيه، وقال: كيف تنكرون علينا تأويل ما أولناه مع ارتكابكم لمثله فيما أولتموه؟

ونحن نجيب بعون الله تعالى عن هذه الشبهة بجوابين مجمل ومفصل.

أما المجمل فيتلخص في شيئين:

أحدهما: أنا لا نسلم أن تفسير السلف لها صرف عن ظاهرها، فإن ظاهر الكلام ما يتبادر منه من المعنى، وهو يختلف بحسب السياق، وما يضاف إليه الكلام، فإن الكلمات يختلف معناها بحسب تركيب الكلام، والكلام مركب من كلمات وجمل، يظهر معناها ويتعين بضم بعضها إلى بعض.

ثانيهما: أننا لو سلمنا أن تفسيرهم صرف عن ظاهرها، فإن لهم في ذلك دليلا من الكتاب والسنة إما متصلا وإما منفصلا، وليس لمجرد

شبهات يزعمها الصارف براهين وقطعيات يتوصل بها إلى نفي ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ.

ش/: هذا الباب الذي هو الباب الرابع من أبواب هذا الكتاب المبارك النفيس، رحم الله مؤلفه رحمة واسعة، وجزاه عن أهل السنة خير الجزاء لقاء ما بين وناصر وذب عن السنة، يتضمن إيراد شبهات، يحملها أهل التعطيل على أهل السنة فأوردوها عليهم ليلزموهم بالتأويل. وقد جرت عادة أهل السنة انهم يبينون للناس السنة بالدليل ويحذرون من البدع بالدليل ويردون على شبه المبطلين، وفي الأثر الذي يحسنه بعض أهل العلم حديثاً عن النبي ﷺ ((يحمل هذا العلم من كل خلفٍ عدوله، فينفون عنه تأويل الجاهلين وتحريف الغالين وانتحال المبطلين))، فما انفع هذا الباب. وما أجوده في هذا المقام. فإن الشيخ - رحمه الله - كان حاذقاً، إذ بين في الأبواب السابقة منهج أهل السنة في إثبات أسماء الرب وصفاته، كما بين منهج أهل التعطيل والتشبيه مع الرد عليهم رداً مفحماً مدعماً بصدق الحجة، وقوة البرهان. فإنه أراد هاهنا أن يدفع شبه أهل التأويل أهل التعطيل التي أوردوها ليلزموا بها أهل السنة زوراً وبهتاناً، وهكذا فإن عادة كل مبتدع أن ينصب مكائد وينتحل شبهاً يوردها على أهل السنة ليلزمهم بالرجوع عن ما كانوا يعتقدونه من السنة التي فهموها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسيرة السلف الصالح، أو يريد منهم المداهنة والمجاملة

سياسة وفاق. فالشيخ - رحمه الله - سيجيب جوابين على هذه الشبهة التي ادعاها أهل التأويل على أهل السنة:

وأقول: هذا الجواب المقنع الذي يتضمن دفع ما ادعاه المؤولون والمعطلون على أهل السنة من التأويل، تأمله أيها المسلم أمعن النظر في مجمله وفي مفصله الذي سيأتي. فالجواب المجمل، ضمنه الشيخ - رحمه الله – أمرين:

الأمر الأول: يتلخص في نقطتين:

النقطة الأولى: نفي التسليم لهذه الدعوة.

والنقطة الثانية: نقول: إن الكلام أو كل جملة من الكلام العربي تتألف من كلمات، وهذه الكلمات تختلف باختلاف التراكيب كما سبق، فالكلمة الواحدة لها في جملة معنى وفي الجملة الأخرى لها معنى آخر. فأين التأويل؟

الأمر الثاني: على فرض التسليم لكم، أن أهل السنة أولوا، فإنهم لم يؤولوا من تلقاء أنفسهم مشوا على تفسير النصوص.فنقول: من فقه الاستدلال رد النصوص إلى بعضها من ذلك رد المجمل إلى المفسر، والعام إلى الخاص، والمطلق إلى المقيد. فإذا نظرت فيما ادعاه هؤلاء المؤولون المبطلون وهم في الحقيقة معطلون، إذا نظرت في ادعائهم علينا أننا أولنا نصوصاً عن ظاهرها وكنت مبتغياً للحق بدليله يظهر لك **أمران:**

الأول: أن أهل السنة لم يؤولوا من تلقاء أنفسهم، بل اعتمدوا فيما بينوه من المعنى على النصوص نفسها، اعتمدوا على بيان من النص. وهذا البيان إما متصل بالنص نفسه أو في نص آخر منفصل.

وثاني الأمرين: يستبين لك إذا عرفت أن أهل السنة يبينون النص بالنص، يستبين لك بجلاء كذب هذه الدعوى، فالذي رجع إلى النصوص واستبان معاني النصوص من بعضها لم يلحقه ذم التأويل.

ص/: وأما المفصل: فعلى كل نص ادعى أن السلف صرفوه عن ظاهره. ولنمثل بالأمثلة التالية:

فنبدأ بما حكاه أبو حامد الغزالي عن بعض الحنبلية أنه قال: " إن أحمد لم يتأول إلا في ثلاثة أشياء: الحجر الأسود يمين الله في الأرض، وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن، وإني أجد نفس الرحمن من قبل اليمن ". نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيميه ص٣٩٨ جـ٥: من مجموع الفتاوى وقال: هذه الحكاية كذب على أحمد.

قال المصنف رحمه الله تعالى

المثال الأول: الحجر الأسود يمين الله في الأرض.

والجواب عنه: أنه حديث باطل، لا يثبت عن النبي ﷺ، قال ابن الجوزي في العلل المتناهية: هذا حديث لا يصح. وقال ابن العربي: حديث باطل فلا يلتفت إليه، وقال شيخ الإسلام ابن تيميه: روى عن النبي ﷺ بإسناد لا يثبت، ا.هـ. وعلى هذا فلا حاجة للخوض في معناه. قال شيخ الإسلام ابن تيميه: والمشهور - يعني في هذا الأثر - إنما هو عن ابن عباس قال: " الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه " [1]. ومن تدبر اللفظ المنقول تبين له أنه لا إشكال فيه. فإنه قال: " يمين الله في الأرض " ولم يطلق فيقول: يمين الله وحكم اللفظ المقيد يخالف حكم المطلق، ثم قال: " فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه ". وهذا صريح في أن المصافح لم يصافح يمين الله أصلاً، ولكن شبه بمن يصافح الله. فأول الحديث وآخره يبين أن الحجر ليس من صفات الله تعالى كما هو معلوم عند كل عاقل، ا.هـ. ص٣٩٨ ج٦.

ش/: هذا هو التفصيل، هذا الاستدلال على أن أهل السنة لم يؤولوا بل كانوا متبعين تأويل الشارع نفسه في تفسيره، وهذا هو ما تعبد

---

(١) موضوع، ضعيف الجامع، للألباني رحمه الله تعالى، رقم ٢٧٧١ ؛ الضعيفة له، رقم: ٢٢٣ ؛ ولفظه: (الحجر الأسود يمين الله في الأرض ؛ يصافح بها عباده) عن جابر.

الله به خلقه. البيان من قبيل النصوص، وهذه النصوص تكشف لك أيها القارئ أن كل دعوى ادعاها علينا معشر أهل السنة أولئك المعطلون أنا صرفنا النصوص عن ظاهرها تكشف لك أن دعواهم كاذبة، وكيف ذلك؟ يكون ذلك بالأمثلة الآتية، سيذكر المصنف – رحمه الله – بضعة عشرة نصاً اعتمد أهل السنة في فهمها على النصوص، ولم يكن فهماً فهموه من تلقاء أنفسهم، بل النص بيَّن النص.

وهذا هو **المثال الأول** الذي ادعى المعطلون على أهل السنة انهم أولوا فيه، والحكاية واضحة ولا تحتاج إلى بيان، هذا أولاً.

وثانياً: حكم شيخ الإسلام ابن تيميه عليها أنها كذب، وما كان هذا سبيله فشأنه أن ينبذ وراء الظهور، ولا يلتفت إليه لأنه كذب. ولكن سيواصل الشيخ مزيداً في البيان بقوله:

المثال الأول: (الحجر الأسود يمين الله في الأرض).

أقول: هنا استبان لك أيها المسلم إضافة على ما تقدم أن الحديث باطل موضوع مكذوب على رسول الله ﷺ، والحديث الموضوع المكذوب ليست فيه حجة ولا يقبله من يحتج بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، فضلاً عن الاحتجاج به في الأحكام، فلا يلتفت إليه ما دام باطلاً فلا يصلح دليلاً، في الأحكام عامة ولا في هذا الباب خاصة، الذي هو اصل الدين وأساسه، أو من اصل الدين وأساسه، لكن أورد المصنف شيئاً نقله عن شيخ الإسلام ابن تيميه وحاصله أمران:

الأول: أنه اثر عن ابن عباس رضي الله عنه، وليس ثابتا عن النبي ﷺ، والفرق بين عند أهل المعرفة بالحديث، فإن الاحتجاج بالحديث الصحيح هو المعول عليه في أحكام الله، أما الأثر فلا يلزم، بل إذا تعارض حديث النبي ﷺ وقول صحابي فالمعول عليه حديث النبي ﷺ لأنه وحي.

ثانيا: أن ما في هذا الكلام ليس مطلقا فهو قال: يمين الله في الأرض، و لم يقل يمين الله على الإطلاق - يعني يده اليمنى -، ثم الذي يتأمل يظهر له أن من صافح الحجر، كأنما صافح الله، فلم يقل صافح الله، لم يقل: من صافح الحجر فقد صافح الله، قال: فكأنما صافح الله، ومن قبله فكأنما قبل يمين الله، - يعني التي هي الحجر الأسود في الأرض - و سواء كان هذا أو ذاك لا يترتب على هذا الأثر تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه لصفات الله بصفات خلقه أبدا.

فمثل هذا الأثر لا يعول عليه، ولا يصلح ولله الحمد دليلا لهؤلاء أن أهل السنة أولوا. وقد قدمنا ما ذكره الشيخ - رحمه الله - انه حديث مكذوب وحكى ذلك عن أهل العلم، لكن هذا على فرض صحته عن ابن عباس فإنه لا يلزم منه التأويل، لأن يمين الله لم ترد مطلقة بل قال: في الأرض، وهذا على فرض صحته يدل على توقير الحجر الأسود وفضيلته.

****

قال المصنف رحمه الله تعالى

المثال الثاني: " قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن ".

والجواب: أن هذا الحديث صحيح، رواه مسلم في الباب الثاني[١] من كتاب القدر عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: " إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء "[٢]. ثم قال رسول الله ﷺ: " اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك ".وقد أخذ السلف أهل السنة بظاهر الحديث وقالوا: إن لله تعالى أصابع حقيقة نثبتها له كما أثبتها له رسوله ﷺ ولا يلزم من كون قلوب بني آدم بين إصبعين منها أن تكون مماسة لها حتى يقال: إن الحديث موهم للحلول، فيجب صرفه عن ظاهره. فهذا السحاب مسخر بين السماء والأرض، وهو لا يمس السماء ولا الأرض، ويقال: بدر بين مكة والمدينة مع تباعد ما بينها وبينهما، فقلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن حقيقة، ولا يلزم من ذلك المماسة ولا الحلول.

ش/: وأقول إيضاحاً ملخصاً لما تضمنه جواب المصنف – رحمه الله – في دفع هذه الشبهة:

---

(١) الباب الثالث،ج٤، ص٣٤٩، رقم: ١٧/ ٢٦٥٤، ت: فؤاد عبد الباقي، د: الحديث القاهرة.

(٢) أخرجه مسلم،ك: القدر،ب:تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، ج٤، رقم ٢٦٥٤.

أولاً: عقيدتنا في الله سبحانه وتعالى انه ليس كمثله شيء في جميع أسمائه وصفاته وأفعاله، ونطرد هذا في جميع الصفات الذاتية والفعلية، مستندين على كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ وإجماع السلف الصالح.

وثانياً: كما ذكر المصنف - رحمه الله - هذا الحديث في صحيح مسلم، والمتقرر عندنا قبول الحديث الصحيح ولا نتمحل في رده أو صرفه عن ظاهره، بل نسلم له يستوي عندنا في ذلك ما كان مفهوماً لنا وما لم يكن مفهوماً، لأن الله عز وجل امرنا بذلك، فمما قال: ﴿ **وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ** ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** ﴾[2]. فصحة الحديث بنقل العدول الثقاة بالشروط المعتبرة التي تقدمت إلى النبي ﷺ وما أفاده من حكم، هذا مما قضى الله ورسوله من الأمر فنسلم له.

ثالثاً: نثبت ما أثبته هذا الحديث على ظاهره ولا نرده بل نقبله ولله الحمد، بنفوس مطمئنة راضية وقلوبٍ منشرحة، ونقول: قلوب العباد كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن عز وجل، ولا نزيد على ذلك ولا

---

(١) سورة الحشر، آية ٧.

(٢) سورة الأحزاب، آية ٣٦.

ننقص منه، بل نصونه عن الظنون الكاذبة والخيالات الفارغة، ونسلم لـــه ونقول: إنه حقٌ على حقيقته.

رابعاً: لا يلزم مما أفاده هذا الحديث وإثباتنا له الحلــــول، ولا أن إصبعي الرحمن تماس القلوب، أو أن القلوب تماس إصبعي الرحمن، وهـــاك أمثلة من الحس والمشاهدة، فالسحاب مسخر بين السماء والأرض فـــلا يمس السماء بأعلاه ولا الأرض بأسفله، و لم يقل أحد غير ذلك. والمثـــال الآخر، نحن متفقون رأي العين وجغرافياً وعرفاً أن بين المدينة ومكة قـــرى ومنها بدر، فإذا قال القائل: بدرٌ بين مكة والمدينة، لا يفكر أحـــد مـــن العقلاء أن بدراً يمس المدينة ويمس مكة. فبطلت هذه الشبهة ولله الحمـــد، وبقي الحق حقاً على حقيقته كما أفاده ظاهر الحديث ولله الحمد والمنة.

****

******

قال المصنف رحمه الله تعالى

المثال الثالث: " إني أجد نفس الرحمن من قبل اليمن "، والجواب: أن هذا الحديث رواه الإمام احمد في المسند من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال النبي ﷺ: " ألا إن الإيمان يمان، والحكمة يمانية، وأجد نفس ربكم من قبل اليمن "[1].

قال في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح غير شبيب وهو ثقة، قلت: وكذا قال في التقريب عن شبيب ثقة من الثالثة وقد روى البخاري نحوه في التاريخ الكبير. وهذا الحديث على ظاهره والنفس فيه اسم مصدر نفس ينفس تنفيسا، مثل فرج يفرج تفريجا وفرجا، هكذا قال أهل اللغة كما في النهاية والقاموس ومقاييس اللغة. قال في مقاييس اللغة: النفس كل شيء يفرج به عن مكروب فيكون معنى الحديث أن تنفيس الله تعالى عن المؤمنين يكون من أهل اليمن. قال شيخ الإسلام ابن تيميه: " وهؤلاء هم الذين قاتلوا أهل الردة، وفتحوا الأمصار، فبهم نفس الرحمن عن المؤمنين الكربات " ا.هـ.٣٩٨، ج٦، مجموع فتاوى شيخ الإسلام لابن القاسم.

ش/: وأقول: ملخص الجواب فيما يأتي:

---

(١) ج ٢، رقم ٥٤١.

أولا: يظهر أن الحديث بمجموع طرقه حجة فهو إما صحيح وإما حسن إن شاء الله، وما دام الأمر فيه كذلك فإنه يجب قبوله، والتسليم لما أفاده.

ثانيا: ما معنى النفس في الحديث؟ هل هو ما ي تنفس به، أو ما ينفس به؟! فالنفس اسم مصدر، من نفس ينفس تنفيسا ونفسا، ومثله: فرج يفرج تفريجا وفرجا، ومثله: سلم يسلم تسليما وسلاما، وعلى هذا فإن معنى النفس في الحديث ليس ما يتنفس به، بل ما ينفس به الكربة ويفرج به الشدة.

ثالثا: يوضح هذا الأمر الذي هو معنى النفس، انه تحقق ما وعد به الله على لسان رسوله ﷺ من تنفيس الكربة عن أهل الإيمان، أن أهل اليمن هم من قاتلوا أهل الردة مع أبي بكر وكذلك اسهموا في فتح الأقطار والأمصار لأهل الإسلام، فكان بهم تنفيس الكربة عن أهل الإسلام واتساع رقعته فاندفعت هذه الشبهة التي توهمها المعطلون وأرادوا أن يلصقوها بنا معشر أهل السنة، فهم فهموا من الحديث نفس، أن الله يتنفس. ونحن نقول: نفس الله، نفس الرحمن، هو تنفيسه عن أهل الإسلام الكربة وكان ذلك من أهل اليمن.

قال المصنف رحمه الله تعالى

المثال الرابع: قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾[1].

والجواب أن لأهل السنة في تفسيرها قولين:

أحدهما:

أنها بمعنى ارتفع إلى السماء، وهو الذي رجحه ابن جرير قال في تفسيره بعد أن ذكر الخلاف: " وأولى المعاني بقول الله ـ جل ثناؤه ـ: ﴿ ثم استوى إلى السماء فسواهن ﴾. علا عليهن وارتفع فدبرهن بقدرته، وخلقهن سبع سموات ". وذكره البغوي في تفسيره: قولا لابن عباس وأكثر مفسري السلف وذلك تمسكا بظاهر لفظ ﴿ ٱسْتَوَىٰ ﴾. وتفويضا لعلم كيفية هذا الارتفاع إلى الله عز وجل.

القول الثاني:

إن الاستواء هنا بمعنى القصد التام، والى هذا القول ذهب ابن كثير في تفسير سورة البقرة، والبغوي في تفسير سورة فصلت. قال ابن كثير: " أي قصد إلى السماء، والاستواء هاهنا ضمن معنى القصد والإقبال، لأنه عدي بإلى "، وقال البغوي: " أي عمد إلى خلق السماء".

---

(١) سورة البقرة،آية ٢٩.

وهـــذا القول ليس صرفا للكلام عن ظاهره، وذلك لأن الفعل ﴿ ٱسۡتَوَىٰ ﴾. اقترن بحرف يدل على الغاية والانتهاء، فانتقل إلى معـــنى يناسب الحرف المقترن به، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾[1]. حيث كان معناها يروى بهـــا عبـــاد الله لأن الفعـــل ﴿ يَشۡرَبُ ﴾ اقترن بالباء فانتقل إلى معنى يناسبها وهو يـــروي، فـــالفعل يضمن معنى يناسب معنى الحرف المتعلق به ليلتئم الكلام.

ش/: و هذا الجواب عن هذه الشبه وهي الرابعة التي ادعي علينـــا- اعني على أهل السنة - الهم أولوا النصوص، فإذا تدبرت تدبر متأمل يطلـــب البصيرة والفهم الصحيح يظهر لك ما يأتي:

أولا: أن الاستواء في هـــذه الآيـــة ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ ﴾[2]. أن أهل السنة لهم في معناه قولان:

أحدهما: انه الارتفاع، فإذن على هذا القول اســـتوى إلى الســـماء ارتفع إليها. وهذا تفسير للمعنى لا تفسير الكيفية، فقد سبق أن أهل الســـنة يفوضون علم الكيفية في جميع الصفات ومنها الاستواء إلى السماء. وقد ذكر الشيخ - رحمه الله - ترجيح ابن جرير.

---

(١) سورة الإنسان، آية ٦.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٩.

القول الثاني: أن الاستواء في الآية بمعنى القصد التام ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي قصد إليها وعمد إليها فدبرها سبع سموات. والفعل يفسر بمعنى ما يتعدى به من الحروف، فإنه يضمن معنى الحرف. فالاستواء هنا كما ذكر ابن كثير مضمن معنى القصد لأنه تعدى بحرف الانتهاء والغاية وهو إلى. وهكذا كل فعل يتعلق به حرف، يتعلق به جار ومجرور فإنه يضمن معنى الحرف الذي تعدى به الفعل. فمعنى قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ يروى بها عباد الله، لأن يشرب تعدى بالباء التي تتضمن الري، ففسر يشرب بها بيروى بها. وبهذا يندفع اتهام أهل السنة بالتأويل في هذه الآية.

****

****

*

قال المصنف رحمه الله تعالى

المثالان الخامس والسادس: قوله -تعالى- في سورة الحديد: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[١]. وقوله في سورة المجادلة: ﴿ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾[٢].

والجواب: أن الكلام في هاتين الآيتين حق على حقيقته وظاهره، ولكن ما حقيقته وظاهره؟.

هل يقال: إن ظاهره وحقيقته أن الله تعالى مع خلقه معية تقتضي أن يكون مختلطا بهم، أو حالا في أمكنتهم؟

أو يقال: إن ظاهره وحقيقته أن الله تعالى مع خلقه معية تقتضي أن يكون محيطا بهم، علما وقدرة، وسمعا، وبصرا، وتدبيرا، وسلطانا، وغير ذلك من معاني ربوبيته مع علوه على عرشه فوق جميع خلقه؟

ولا ريب أن القول الأول لا يقتضيه السياق، ولا يدل عليه بوجه من الوجوه، وذلك لأن المعية هنا أضيفت إلى الله عز وجل وهو أعظم وأجل من أن يحيط به شيء من مخلوقاته! ولأن المعية في اللغة العربية التي نزل بها القران لا تستلزم الاختلاط أو المصاحبة في المكان، وإنما تدل على مطلق مصاحبة ثم تفسر في كل موضع بحسبه.

---

(١) سورة الحديد، آية ٦.

(٢) سورة المجادلة، آية ٧.



ش/: وأقول: هذا المثال الذي هو المثال الخامس والسادس وهو في معية الرب جل وعلا، فقد تضمنت الآيتان إثبات صفة المعية لله سبحانه وتعالى وهذا حق على حقيقته، ولكن ما حقيقة ذلك؟

حقيقة ذلك: أن المعية في هاتين الآيتين الكريمتين أضيفت إلى الله سبحانه وتعالى، وما أضيف إلى الله عز وجل فهو من خصائص صفاته أو من صفاته الخاصة به، التي لا يشبهه فيها أحد من خلقه، ولا يشبه هو سبحانه وتعالى فيها أحدا من خلقه، والمعية هنا تقتضي علم الله سبحانه وتعالى المحيط بخلقه وتدبيره شئوهم، كما تقتضي قدرته وسلطانه، وهذه هي المعية العامة.

فإذا نظرت إلى الآية الأولى وهي آية الحديد ظهر لك أن الله سبحانه وتعالى جمع بينها - اعني بين المعية وبين علوه واستوائه على عرشه -، وإذا نظرت في الآية الثانية وهي آية المجادلة ظهر لك أن الله بدء الآية بالعلم وختمها بالعلم، فقال في بدئها: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وقال في خاتمتها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. فالآية الثانية مبدوءة بالعلم ومختومة به، وحصيلة الآيتين أن الله مع خلقه علما وتدبيرا وقدرة وسلطانا، لا تخفى عليه من أقوال العباد ولا أفعالهم خافية.

وثمة أمر آخر، وهو أن المعية في اللغة، لا تقتضي الحلول، ولا المماسة ولا المخالطة، أقول: بل هي لمطلق المقارنة، فالناس يقولون: لا

نزال نسير والقمر معنا، ولا يفهم عاقل أن القمر حال في أمكنتهم، أو مخالطا لهم. ويقول الرجل: فلانة معي - يعني أنها زوجة له - وقد يكون هو في المشرق وهي في المغرب أو العكس.

ص/: وتفسير معية الله تعالى لخلقه بما يقتضي الحلول والاختلاط باطل من وجوه:

الأول: أنه مخالف لإجماع السلف فما فسرها أحد منهم بذلك، بل كانوا مجمعين على إنكاره.

الثاني: أنه مناف لعلو الله تعالى الثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة وإجماع السلف وما كان منافيا لما ثبت بدليل كان باطلا بما ثبت به ذلك المنافي وعلى هذا فيكون تفسيره معية الله لخلقه بالحلول والاختلاط باطلا بالكتاب والسنة والعقل والفطرة وإجماع السلف!!

ش/: وأقول: هذه أدلة سديدة وهي في الحقيقة بصيرة لمن طلب البصيرة، وذلك أن هذه الأدلة كلها متفقة على أن تفسير معية الرب لخلقه، بمعنى: المخالطة والممازجة والحلول باطل، وهذا يظهر من الوجهين اللذين ذكرهما المصنف - رحمه الله -.

الوجه الأول: أن تفسير معية الله لخلقه بمخالطته إياهم وحلوله في أمكنتهم مخالف لإجماع السلف، فما علم أن أحدا من السلف أئمة الهدى قال بذلك، بل هم مجمعون على إنكاره.

والثاني: أن هذا التفسير الباطل مناقض لعلو الله ومناف له، وعلو الرب جل وعلا ثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة والإجماع، وما كان منافيا لما ثبت بدليل فإنه باطل، فهذه أدلة خمسة مجتمعة على أن الله عز وجل مستو على عرشه فوق جميع مخلوقاته.

فتفسير المعية الربانية بالحلول والمخالطة مناف لهذا فيكون باطلا لمنافاته ما ثبت بالدليل القطعي.

ص/: الثالث: أنه مستلزم للوازم باطلة لا تليق بالله - سبحانه وتعالى -.

ولا يمكن لمن عرف الله _ تعالى _ وقدره حق قدره وعرف مدلول المعية في اللغة العربية التي نزل بها القرآن أن يقول: إن حقيقة معية الله لخلقه تقتضي أن يكون مختلطا بهم أو حالا في أمكنتهم، فضلا عن أن تستلزم ذلك ولا يقول ذلك إلا جاهل باللغة، جاهل بعظمة الرب جل وعلا.

فإذا تبين بطلان هذا القول تعين أن يكون الحق هو القول الثاني، وهو أن الله تعالى مع خلقه معية تقتضي أن يكون محيطا بهم علما وقدرة وسمعا وبصرا وتدبيرا وسلطانا وغير ذلك مما تقتضيه ربوبيته مع علوه على عرشه فوق جميع خلقه. وهذا هو ظاهر الآيتين بلا ريب لأنهما حق ولا يكون ظاهر الحق إلا حقا ولا يمكن أن يكون الباطل ظاهر القران أبدا.

ش/: وأقول: الذي يعرف الله حق المعرفة ويقدره حق قـــدره ويدرك عظمة الله عز وجل، ويعرف ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وإجماع الأئمة لا يمكن أن يفسر معية الله لخلقه بالحلول والمخالطـــة، لأن هذا هو **أولا** خلاف ظاهر النصوص، وما كان مخالفا لظاهر النصوص فهو باطلا.

وثانيا: لا يمكن أن يكون ظاهر القران والســـنة و لم يتعبدنـــا الله بغيرهما باطلا بل هو حق، لأن القران والسنة حق وظاهر الحق حـــق، ولا يمكن أن يكون باطلا بوجه من الوجوه.

وثالثا: لا يقول: إن المعية الربانية تقتضي الحلول والمخالطة مــــن كان حاذقا في اللغة العربية، بل ذلك لا يصدر إلا عن جهل بها، فقد تقدم الدليل اللغوي. فبان بهذا أن معية الله عز وجل كما في الآيتـــين ومـــا في معناهما هي إحاطة الله عز وجل بخلقه علما وتدبيرا وقدرة وسلطانا وسمعـا وبصرا إلى غير ذلك من معاني ربوبيته.

ص/: قال شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمـــه الله تعـــالى - في الفتوى الحموية ص١٠٣، ج٥ من مجموع الفتاوى لابن القاســـم: " ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد فلما قـــال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾(١). إلى قولــه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾

---

(١) سورة الحديد،آية ٤.

[1]. دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم شهيد عليكم ومهيمن عالم بكم، وهذا معنى قول السلف إنه معهم بعلمه وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته. وكذلك في قوله: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾[2]. إلى قوله: ﴿ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾.

ولما قال النبي ﷺ لصاحبه في الغار:

﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[3]. كان هذا أيضا حقا على ظاهره، ودلت الحال على أن حكم هذه المعية هنا معية الإطلاع والنصر والتأييد.

ثم قال: فلفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع، يقتضي في كل موضع أمورا لا يقتضيها في الموضع الآخر، فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها، وإن امتاز كل موضع بخاصية فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب مختلطة بالخلق حتى يقال قد صرفت عن ظاهرها"ا.هـ.

---

(١) سورة المجادلة، آية ٧.

(٢) سبق تخريجه، نفس الصفحة.

(٣) سورة التوبة، آية ٤٠.

ش/: وخلاصة هذا، في أمرين:

الأمر الأول: فيه الإشارة إلى ما قرره الأئمة مستندين على الكتاب والسنة، أن معية الله قسمان، معية عامة، ومعية خاصة.

فالمعية العامة: هي التي مقتضاها العلم والإحاطة والتدبير والسلطان وكون الله عز وجل مهيمنا على خلقه رقيب عليهم إلى غير ذلك من معاني ربوبيته.

وأما المعية الخاصة: فهي معية الله لأهل الإيمان لأوليائه فهي معية تقتضي مع ما سبق النصر والتمكين والحفظ والتأييد والتوفيق للحق إلى غير ذلك مما وعد الله به سبحانه وتعالى أهل الإيمان به، هذا هو الأمر الأول.

الأمر الثاني: أن الذي يدرك ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وما أفادته من معاني معية الله عز وجل وكان أيضا عنده حذق في اللغة لا يمكن أن يفسر المعية بالحلول والمخالطة، لأنه إذا كان حاذقا سيظهر له أن معية الرب ترد في مواضع مختلفة سواء في نصوص الكتاب أو نصوص السنة، ولكل موضع مقتضاه وحكمه.

ص/: **ويدل على أنه ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق أن الله تعالى ذكرها في آية المجادلة بين ذكر عموم علمه في أول الآية وآخرها فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ**

إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾(١). فيكون ظاهر الآية أن مقتضى هذه المعية علمه بعباده، وأنه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، لا أنه سبحانه مختلط بهم ولا أنه معهم في الأرض.

أما في آية الحديد فقد ذكرها الله تعالى مسبوقة بذكر استوائه على عرشه وعموم علمه متلوة ببيان أنه بصير بما يعمل العباد فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٢).

فيكون ظاهر الآية أن مقتضى هذه المعية علمه بعباده وبصره بأعمالهم مع علوه عليهم

واستوائه على عرشه لا أنه سبحانه مختلط بهم ولا أنه معهم في الأرض وإلا لكان آخر الآية مناقضا لأولها الدال على علوه واستوائه على عرشه.

فإذا تبين ذلك علمنا أن مقتضى كونه تعالى مع عباده أنه يعلم أحوالهم ويسمع أقوالهم ويرى أفعالهم ويدبر شئوهم، فيحيي، ويميت،

(١) سورة المجادلة، آية ٧.

(٢) سورة الحديد ٦.

ويغني، ويفقر، ويؤتى الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، إلى غير ذلك مما تقتضيه ربوبيته وكمال سلطانه لا يحجبه عن خلقه شيء، ومن كان هذا شأنه فهو مع خلقه حقيقة ولو كان فوقهم على عرشه حقيقة.

ش/: وأقول:هذا توجيه لطيف وتسديد جيد لمعنى المعية في الآيتين، آية المجادلة، وآية الحديد. فالمصنف - رحمه الله - لفت نظر القارئ إلى ورود المعية في هاتين الآيتين، فإن المعية في آية المجادلة: واقعة بين عمومي علمه عز وجل، يعني بين موضعين أو بين صيغتين من صيغ عموم علم الرب جل وعلا:

فالصيغة الأولى من صيغ عموم العلم: قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ** ﴾. وهذا اللفظ العام شامل باق على عمومه لم يدخله التخصيص ولن يدخله أبدا ثم ذكر عموما آخر وهو قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ** ﴾. فإذا نظرت إلى الآية ظهر لك **ثلاثة** أشياء:

أولا: إحاطة علم الله سبحانه وتعالى بالكون كله، وما فيه من سماء وارض وإنس وجن، وغير ذلك من مخلوقاته. فلا يعزب عن علمه من هذا الكون مثقال ذرة.

ثانيا: أن مقتضى هذا العلم أنه مع خلقه، ولهذا قال: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾[1]. قاله بعد أن ذكر عموم علمه:

الأول: في الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾[2]. فالمعية هنا هي العلم وهو مقتضاها، ولهذا قال الإمام أحمد - رحمه الله -: " أن الله بدء هذه الآية بالعلم وختمها بالعلم "

الأمر الثاني: أن مقتضى المعية هو العلم.

الأمر الثالث: أن مقتضى هذا العلم أن الله عز وجل محصى على العباد أعمالهم ثم هو مجازيهم عليها في الآخرة، فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه. أما آية الحديد فإنها تتضمن ثلاثة أمور أيضا:

الأمر الأول: إخبار الحق عز وجل باستوائه علىٰ عرشه وقد تضافرت الأدلة على أن عرشه فوق سمواته، فإذا هذا هو أول ما سبقت به المعية وهو استواء الله على عرشه وعلوه على خلقه.

---

(١) سورة المجادلة، آية ٧.

(٢) سورة المجادلة، آية ٧.

ثانيا: انه سبحانه وتعالى مع هذا العلو والاستواء هو مع خلقه، لا يفوته منهم فائت، ولا يشذ عنه منهم شاذ أبدا، فهو محيط بهم.

الثالث: بصره بأعمالهم، ولهذا قال في آخر الآية: ﴿ **وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾. فاجتمعت الآيتان على أن مقتضى معية الله عز وجل إحاطته بخلقه علما وتدبيرا وقدرة وسلطانا وسمعا وبصرا إلى غير ذلك من معاني ربوبيته. فسلمت النصوص لأهل السنة، فلم يكونوا مؤولين لها ولا صارفين لها عن ظاهرها.

ص/: قال شيخ الإسلام ابن تيميه في العقيدة الواسطية ص١٤٢، ج٣ من مجموع الفتاوى لابن قاسم في فصل الكلام على المعية قال: " وكل هذا الكلام الذي ذكره الله سبحانه من أنه فوق العرش وأنه معنا حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف ولكن يصان عن الظنون الكاذبة ".

وقال في الفتوى الحموية ص١٠٢، ص١٠٣، ج٥، من المجموع المذكور: " وجماع الأمر في ذلك أن الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه، وقصد إتباع الحق وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه والإلحاد في أسماء الله وآياته".

ولا يحسب الحاسب أن شيئا من ذلك يناقض بعضه بعضا البتة مثل أن يقول القائل: ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه الظاهر من قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ (١). وقوله ﷺ: " إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه ونحو ذلك فهذا غلط ".

وذلك أن الله معنا حقيقة وهو فوق العرش حقيقة، كما جمع الله بينهما في قوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٢).

فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شيء، وهو معنا أينما كنا كما قال النبي ﷺ في حديث الأوعال (٣): " والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه " ا.هـ.

---

(١) سورة الحديد، آية ٤.

(٢) سورة الحديد، آية ٤.

(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة و الجماعة رقم ٦٥٠، و ابن أبي عاصم في السنة رقم ٥٧٧ ؛ و غيرهما، و نصه: ...عن عبدالله بن عمير ة، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب زعم أنه كان جالسا بالبطحاء في عصابة و رسول الله ﷺ جالس فيهم إذ مرت سحابة فنظر إليها فقال رسول الله ﷺ: (هل تدرون ما اسم هذه قالوا: نعم هذا السحاب. فقال رسول الله ﷺ: و المزن. قالوا و المزن قال رسول الله

ش/: وحاصل هذا التقرير ما يأتي:

أولا: أن جميع ما ورد من نصوص المعية حق على حقيقته ويجب صيانته عن الظنون الكاذبة والتخيلات الباطلة.

ثانيا: انه لا مناقضة ولا منافاة بين دلالة نصوص المعية، سواء ما كان منها عاما أو خاصا. فهو حق، والحق لا يتناقض ولا ينافي بعضه بعضا، الحق حق، فنصوص المعية حق، وما أفادته من معية الله عز وجل عامة أو خاصة حق، فلا يناقض شيء منها الآخر.

ثالثا: يحصل للمتأمل البصير لنصوص المعية، سواء كانت من آي التنزيل الكريم أو من صحيح سنة النبي ﷺ مثل: " **إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يصقن قبل وجهه فإن الله قبل وجهه** "(1). وغير ذلك من

ﷺ: تدرون ما بعدما بين السماء و الأرض ؟ قالو لا والله ما ندري. قال فإن بعد ما بينهما: إما واحد و إما اثنين و إما ثلاث وسبعين سنة و السماء التي فوقها كذلك حتى عد سبع سموات كذلك ثم فوق ذلك السماء السابعة نهر بين أعلاه و أسفله ما بين السماء إلى السماء ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن و ركبهن ما بين سماء إلى سماء ثم فوق ظهورهن العرش بين أسفله و أعلاه ما بين سماء إلى سماء و الله تبارك و تعالى فوق ذلك). قال الألباني رحمه الله تعالى في ظلال الجنة، ح رقم ٥٧٧: اسناده ضعيف.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري، ك: الصلاة، ب: حك البزاق باليد من المسجد، رقم ٤٠٦. و مسلم، ك: المساجد، ب: النهي عن البصاق في المسجد والصلاة و غيرها رقم: . و لفظه: عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ رأى بصاقا في جدار القبلة فحكه، ثم أقبل إلى الناس، فقال: " إذا كان أحدكم يصلي فلا يبصق قبل وجه، فإن الله قبل وجهه إذا صلى ").

الآيات والأحاديث. أن الله سبحانه وتعالى محيط بخلقه وهو معهم أين ما كانوا مع انه فوق عرشه مستو عليه، وهذا هو الحق الذي لا مرية فيه ولا يدركه إلا من شرح الله صدره لما جاء في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ، لأن في الكتاب الكريم والسنة الهدى والنور لمن شرح الله صدره للهدى ودين الحق، الذي جاء به رسول الله ﷺ.

ص/: واعلم أن تفسير المعية بظاهرها على الحقيقة اللائقة بالله تعالى لا يناقض ما ثبت من علو الله تعالى بذاته على عرشه وذلك من وجوه ثلاثة:

الأول: أن الله تعالى جمع بينهما لنفسه في كتابه المبين المتره عن التناقض وما جمع الله بينهما في كتابه فلا تناقض بينهما. وكل شيء في القران تظن فيه التناقض فيما يبدو لك فتدبره حتى يتبين لك، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[1]. فإن لم يتبين لك فعليك بطريق الراسخين في العلم الذين يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[2]. وكل الأمر إلى مترله الذي يعلمه، واعلم أن القصور في علمك أو في فهمك وان القران لا تناقض فيه. والى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام في قوله

---

(١) سورة النساء، آية ٨٢.

(٢) سورة آل عمران، آية ٧.

القران لا تناقض فيه. والى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام في قوله فيما سبق: " كما جمع الله بينهما ".

وكذلك ابن القيم كما في مختصر الصواعق[1] لابن الموصلي ص٤٠١، ط الإمام في سياق كلامه على المثال التاسع مما قيل إنه مجاز. قال: " وقد أخبر الله أنه مع خلقه مع كونه مستويا على عرشه، وقرن بين الأمرين، كما قال تعالى وذكر آية سورة الحديد. ثم قال: فأخبر أنه خلق السموات والأرض وانه استوى على عرشه وانه مع خلقه يبصر أعمالهم من فوق عرشه، كما في حديث الأوعال: " والله فوق العرش يرى ما أنتم عليه ". فعلوه لا يناقض معيته، ومعيته لا تبطل علوه بل كلاهما حق ".ا.هـ.

ش/: وأقول: يتضمن هذا التقرير أربعة أمور:

الأمر الأول: انه لا تناقض معية الله علوه، ولا يناقض علوه معيته، بل كل منهما حق على الحقيقة.

الأمر الثاني: أن الله سبحانه وتعالى جمع بينهما في كتابه، كما في آية الحديد المتقدمة التي ذكر الله سبحانه وتعالى فيها انه خلق السموات والأرض وانه استوى على العرش وانه مع خلقه يبصر أعمالهم، يعني صغيرها وكبيرها ودقيقها وجليلها لا يخفى عليه منها شيء.

---

(١) ص ٦٢٢، تحقيق: رضوان جامع رضوان، مكتبة: الباز، مكة.

الأمر الثالث: أن ما ذكر في الكتاب الكريم كله لا يتناقض، بل هو حق مصدق بعضه بعضا، سواء في ذلك أمر العلو أو الاستواء والمعية وغير ذلك من الأحكام التي أودعها الله سبحانه وتعالى كتابه، سواء كانت أمرا أو نهيا أو خبرا. فكل ما تضمنه هذا الكتاب العزيز حق وصدق وعدل.

الأمر الرابع: أن كل ما أودع في القران الكريم من أحكام الله عز وجل وأخباره، ينبغي للمسلم أن يتدبره فسوف يظهر له نتيجة هذا التدبر، أن كل ما تضمنه القران حق على حقيقته،و يصدق بعضه بعضا. فإن فهمه كان بها وإن لم يفهمه فوض ما خفي عليه مما أودع في الكتاب الكريم إلى عالمه وهو الله سبحانه وتعالى. وهذه طريقة الراسخين في العلم الذين نوه الله بشرفهم وفضلهم وعظيم قدرهم، إذ أخبر عنهم بقوله: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾[١]. وهذا هو تمام الانقياد لحكم الله وحكم رسوله ﷺ وخبر الله وخبر رسوله ﷺ. فشأن المسلم الحق الذي هداه الله إلى الصدق والتصديق وشرح صدره للتسليم أن يستعمل ما علم و يكل مالا يعلم من الأحكام والأخبار إلى الله سبحانه وتعالى.

---

(١) سورة آل عمران، آية ٧.

ص/: الوجه الثاني: أن حقيقة معنى المعية لا تناقض العلو، فالاجتماع بينهما ممكن في حق المخلوق، فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا. ولا يعد ذلك تناقضا ولا يفهم منه أحد أن القمر نزل في الأرض، فإذا كان هذا ممكنا في حق المخلوق ففي حق الخالق المحيط بكل شيء مع علوه سبحانه من باب أولى، وذلك لأن حقيقة المعية لا تستلزم الاجتماع في المكان.

وإلى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام ابن تيميه في الفتوى الحموية ص١٠٣، المجلد الخامس من مجموع الفتاوى لابن قاسم حيث قال: " وذلك أن كلمة (مع) في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى، فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا أو النجم معنا. ويقال: هذا المتاع معي لمجامعته لك، وإن كان فوق رأسك فالله مع خلقه حقيقة وهو فوق عرشه حقيقة " ا.هـ.

ش/: وأقول: حاصل ما ذكره المصنف - رحمه الله -، فيما هاهنا شيئان:

<u>الشيء الأول</u>: أن المعية والعلو ليسا متناقضين ولا متنافيين ولا متضادين في حق المخلوق، ويوضح هذا المثال لا نزال نسير والقمر معنا، والقمر ليس مخالطا للمشاة ولا للقاعدين، فهو مع هؤلاء ومع هؤلاء، فإذا

أمكن ذلك في حق المخلوق مع المخلوق فهو في حق الخالق مع الخلق أولى. فالقمر مع اتفاق العقلاء على انه مع المسافر وغيره وليس مخالطا لهؤلاء ولا لهؤلاء، فالله سبحانه وتعالى مع خلقه غير مخالطا لهم. لأن القاعدة في هذا ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾.

الشيء الثاني: أن معنى المعية في اللغة: هي مطلق المقارنة من غير مماسة، ولا مخالطة، فتستعمل في المورد الذي وردت فيه ولا تطرد طردا عاما، فإذا قال القائل: هذا المتاع معي، وهو فوق رأسه أو محتضنه على صدره، فهذه مقارنة، مقارنة مماسة ومخالطة. وقول القائل: أسير والقمر معي، والناظر لا يرى مخالطة ولا مماسة، فهي إذن مطلق مقارنة وهي في كل موضع بحسبها.

ص/: وصدق – رحمه الله تعالى – فإن من كان عالما بك مطلعا عليك مهيمنا عليك يسمع ما تقول ويرى ما تفعل ويدبر جميع أمورك، فهو معك حقيقة وإن كان فوق عرشه حقيقة، لأن المعية لا تستلزم الاجتماع في المكان.

ش/: وأقول: هذا تأكيد على ما تقدم من كلام شيخ الإسلام ابن تيميه – رحمه الله –، فالشيخ يوضح أن معناه صدق وحق، وذلك أن الله سبحانه وتعالى مع خلقه تدبيرا، وحفظا، وعلما، وقدرة، وسمعا، وبصرا، فكيف لا يكون مع خلقه وهو فوق عرشه مستو عليه؟!

ص/: الوجه الثالث: أنه لو فرض امتناع اجتماع المعية والعلو في حق المخلوق لم يلزم أن يكون ذلك ممتنعا في حق الخالق الذي جمع لنفسه بينهما، لأن الله تعالى لا يماثله شيء من مخلوقاته كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

وإلى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام ابن تيميه في العقيدة الواسطية ص١٤٣، ج٣ من مجموع الفتاوى، حيث قال: " وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته، فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته وهو علي في دنوه قريب في علوه. ا.هـ.

ش/: وحاصل هذا الوجه الثالث، الذي ذكره المصنف - رحمه الله -، ضمن وجوه اجتماع المعية مع العلو وانه لا يناقض أحدها الآخر أمران:

الأمر الأول: انه لو أمكن امتناع اجتماع العلو والمعية في حق المخلوق، فإنه ليس ممتنعا في حق الخالق جل وعلا، لقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[1]. يعني لا في أسمائه ولا صفاته ولا في أفعاله، ليس كمثله شيء.

---

(١) سورة الشورى، آية ١١.

الأمر الثاني: ما قرره شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله، في العقيدة الواسطية، وذكره المصنف هنا ليبين ما سبق من انه لا تناقض بين كون الرب جل وعلا مع خلقه وكونه مستو على عرشه، يعلم ما الخلق عاملون وما هم عليه.

ص/: (تتمة) انقسم الناس في معية الله تعالى لخلقه ثلاثة أقسام:

القسم الأول: يقولون إن معية الله تعالى لخلقه مقتضاها العلم والإحاطة في المعية العامة، ومع النصر والتأييد في المعية الخاصة، مع ثبوت علوه بذاته واستوائه على عرشه. وهؤلاء هم السلف ومذهبهم هو الحق كما سبق تقريره.

القسم الثاني: يقولون: إن معية الله لخلقه مقتضاها أن يكون معهم في الأرض مع نفي علوه واستوائه على عرشه. وهؤلاء هم الحلولية من قدماء الجهمية وغيرهم، ومذهبهم باطل منكر، أجمع السلف على بطلانه وإنكاره كما سبق.

القسم الثالث: يقولون: إن معية الله لخلقه مقتضاها أن يكون معهم في الأرض مع ثبوت علوه فوق عرشه. ذكر هذا شيخ الإسلام ابن تيميه ص٢٢٩،ج٥ مجموع الفتاوى.

ش/: وأقول: أظن أن المصنف - رحمه الله تعالى - خص المعية بهذا البيان لعظيم شأنها وخطورتها، ولهذا ذكر أقسام الناس فيها، فبدأ بأهل الحق، بالسلف الذين يعتقدون معية الله حقا على حقيقته و أنه لا

يناقض العلو والاستواء، فمع أن الله سبحانه وتعالى فوق عرشه عال على خلقه مستو على عرشه، فهو مع خلقه معية مقتضاها العلم والقدرة والتدبير، وهذه المعية العامة. وتزيد في المعية الخاصة، معية الله لأهل الإيمان الحفظ والتأييد والنصرة والتثبيت على الحق إلى غير ذلك من معاني ربوبيته عموما وخصوصا.

وأهل السنة من أئمة الهدى يقررون مذهب السلف في جميع الأحكام أولا حتى يرسخ في ذهن السامع والقارئ وتخالط بشاشة الحق قلبه، ثم بعد ذلك يتبعون بالمذاهب الأخرى حتى ينفر منها السني السلفي الذي تشرب قلبه بالحق وعرفه وألفه، فيصبح منكرا لكل ما هو باطل وزيغ وانحراف عن الهدى.

المذهب الثاني: الذي اتبعه الشيخ - رحمه الله - مذهب أهل السلف: هو مذهب الحلولية، والذين يفسرون المعية بالحلول وان الله مع خلقه حال معهم في أمكنتهم، وينكرون علوه فوق عرشه وفوق خلقه، و مذهبهم هذا منكر و باطل بالكتاب والسنة وإجماع أهل الحق والعقل السليم والفطرة النظيفة، كلها ترد مذهب الحلولية.

المذهب الثالث:

وهم الذين يقولون، أن معية الله لخلقه مقتضاها انه معهم في الأرض، مع علوه على عرشه، والنصوص قاضية ببطلان هذا المذهب أيها القاريء أن الله على عرشه مستو عليه وهو مع خلقه، ومع خلقه يعني

سواء في ذلك أهل السماء و أهل الأرض وما بينهما من مخلوقات، وقـول المصنف ــ رحمه الله تعالى ــ ذكر هذا شيخ الإسلام، قلت: مـــراده أن الإمام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ ذكر المذاهب الثلاثة جميعها قـلل في ثالثها:(**يقولون: إن معية الله لخلقه مقتضاها أن يكون معـهم في الأرض مع ثبوت علوه فوق عرشه**).

ص/: وقد زعم هؤلاء أنهم أخذوا بظاهر النصوص في المعيـــة والعلو، وكذبوا في ذلك فضلوا، فإن نصوص المعية لا تقتضي ما ادعوه من الحلول، لأنه باطل ولا يمكن أن يكون ظاهر كـــلام الله ورســـوله باطلا.

ش/: وأقول: هذا تأكيد لشيئين أو مذهبين:

أحدهما: صحة مذهب السلف الذي سبق تقريره.

وثانيهما: بطلان مذهب الجهمية والمعتزلة ومن لف لفهم من أهل البـدع، من الحلولية.

ص/: (تنبيه) اعلم أن تفسير السلف لمعية الله تعالى لخلقـــه بأنه معهم بعلمه لا يقتضي الاقتصار على العلم بل المعية تقتضي أيضـــا إحاطته بهم سمعا وبصرا وقدرة وتدبيرا ونحو ذلك من معاني ربوبيته.

ش/: أقول: سبق قريبا تقرير مذهب السلف في المعيـــة وانـــه متضمن فيما تضمنه من معاني ربوبية الحق جل ثناؤه، وان المعية، معيـــة

خاصة ومعية عامة، فمن معاني الربوبية في المعية العامة العلم والتدبير والسمع والبصر، ومن معانيها في المعية الخاصة النصرة والتأييد والحفظ.

ص/: (تنبيه آخر) أشرت فيما سبق إلى أن علو الله تعالى ثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة والإجماع.

أما الكتاب فقد تنوعت دلالته على ذلك:

فتارة بلفظ العلو والفوقية والاستواء على العرش، وكونه في السماء كقوله - تعالى -: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾[١]. ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾[٢]، ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[٣]. ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ ﴾[٤].

وتارة بلفظ صعود الأشياء وعروجها ورفعها إليه كقوله: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾[٥]. ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾[٦]. ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾[٧]

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٥٥.

(٢) سورة الأنعام، آية ١٨.

(٣) سورة طه، آية ٥.

(٤) سورة الملك، آية ١٦.

(٥) سورة فاطر، آية ١٠.

(٦) سورة المعارج، آية ٤.

(٧) سورة آل عمران، آية ٥٥.

وتارة بلفظ نزول الأشياء منه ونحو ذلك، كقوله تعالى:

﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ﴾[1]. ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾[2].

ش/: وأقول: هذه الآيات دليل على ثبوت علو الرب سبحانه وتعالى، ذاتا وقدرا و قهرا، فأهل السنة وأئمة الهدى مجمعون على هذه الأنواع الثلاثة. وأما المبتدعة فإنهم ينكرون علو الذات، والآيات التي ذكرها الشيخ صريحة الدلالة على العلو بأقسامه الثلاثة، تأمل **﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾**[3]. هذه فيها علو الذات وعلو القدر وعلو القهر، **﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾**[4]علو الذات، **﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾**[5]. علو القهر، ومن تدبر هذا الباب في كتاب الله وجد صراحة الدلالة من آيات كثيرة على ما دلت عليه هذه الآيات، فأصبح علو الله على خلقه ذاتا وقدرا وقهرا ثابت بالكتاب الكريم ثبوتا قطعيا، لا يقبل الجدل والمراء، ثبوت يزيل الشك لطالب الحق ويملأ القلب يقينا وتصديقا، بثبوت علو الرب سبحانه وتعالى.

---

(١) سورة النحل، آية ١٠٢.

(٢) سورة السجدة، آية ٥.

(٣) سورة البقرة، آية ٢٥٥.

(٤) هامش ٣١٣.

(٥) سورة الأنعام، آية ١٨.

ص/: وأما السنة فقد دلت عليه بأنواعها القولية والفعلية والإقرارية في أحاديث كثيرة تبلغ حد التواتر على وجوه متنوعة، كقوله ﷺ في سجوده: " سبحان ربي الأعلى " (١) وقوله: " إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي " (٢). وقوله: " ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء " (٣). وثبت عنه أنه رفع يده وهو على المنبر يوم الجمعة يقول: " اللهم أغثنا " (٤). وأنه رفع يده إلى السماء وهو يخطب الناس يوم عرفة حين قالوا نشهد أنك قد بلغت

---

(١) صحيح الترمذي للألباني رحمه الله تعالى ـ ب: ما جاء في التسبيح في الركوع و السجود، رقم ٢١٥، الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط ١.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري،ك: بدء الخلق،ب: ما جاء في قوله تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده)، رقم: ٣١٩٤. و مسلم،ك: التوبة، ب: سعة رحمة الله تعالى و أنها سبقت غضبه، رقم: ٢٧٥١، فؤاد. و لفظه (لما قضى الله الخلق كتب في كتاب، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي).

(٣) أخرجه البخار، ج٧، عن أبي سعيد، ك: المغازي، ب: ٦٢ بعث علي بن أبي طالب، و خالد بن الوليد رضي الله عنهما إلى اليمن قبل حجة الوداع، رقم: ٤٣٥١. و مسلم، ج٢، ك: الزكاة، ب: ذكر الخوارج وصفاقم، رقم: ١٠٦٤، ت: فؤاد عبد الباقي.

(٤) أخرجه البخاري،ك:الاستسقاء، ب: الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة، ج١، رقم: ٩٦٨، ضبط البغا، د / ابن كثير.

وأديت ونصحت، فقال: " اللهم اشهد " [1]، وأنه قال للجارية أين الله؟ قالت في السماء فأقرها وقال لسيدها اعتقها فإنها مؤمنة.

ش/: أقول: والسنة المضافة إلى النبي ﷺ وهي الشاملة لكل ما جاء به عن ربه من شرعه وبلغ به العباد تتضمن ثلاثة أقسام: قولية و فعلية وتقريرية.

فالقولية: ما تلفظ به ﷺ، والفعلية ما فعله، والتقريرية ما فعل بحضرته أو قيل فأقره وكان المقرر منقادا للإسلام. هذه الأنواع الثلاثة من أنواع السنة التي تعبد الله الخلق بها وبلغ بها نبينا ﷺ الأمة شرع الله، كلها متفقة على ثبوت العلو لله سبحانه وتعالى، فمن القولية " ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء "، قاله استنكارا على من اعترض عليه في بعض القسمة، قسمة الغنائم بهذا القول، كيف أكون أمين الله الذي هو في السماء على شرعه ولا تأمنوني انتم أيها المسلمون على حطام الدنيا ؟!. ومن الفعلية ما صح عنه ﷺ انه يرفع يديه في الدعاء، ورفع يديه ﷺ في الدعاء يبلغ التواتر، من ذلك ما استشهد به المصنف. ومن التقريرية، إقراره الجارية حين سألها: أين الله؟ قالت: في السماء.

---

(١) رواه مسلم،ك:الحج، ب: حجة النبي ﷺ، رقم ١٢١٨،صحيح سنن أبي داود للألباني رحمه الله تعالى، ك: المناسك، ب: صفة حج النبي ﷺ، رقم ١٦٧٦.

فهذه النصوص وما في معناه يبلغ التواتر، والمتواتر سواء كان لفظيا أو معنويا فإنه يدل دلالة قطعية ويفيد العلم الضروري اليقيني، الذي يجب التسليم له.

ص/: وأما العقل: فقد دل على وجوب صفة الكمال لله تعالى وتتريهه عن النقص. والعلو صفة كمال والسفل نقص، فوجب لله تعالى صفة العلو وتتريهه عن ضده.

ش/: جرت عادة المصنف - رحمه الله - في التقرير والتأكيد والتوضيح وقوة الاستدلال على ما يقرره في هذا الباب، باب الأسماء والصفات أنه يتبع الدليل النقلي بالدليل العقلي، حتى يكون أبلغ لمن كان عنده أدنى ريبة، أما السني الخالص فإنه يكفيه الدليل النقلي فإذا حصل له مع ذلك دليل عقلي زاد الأمر عنده توكيدا ووضوحا، لكن أهل الشك أهل الريب قد لا يسلمون للدليل النقلي. فتترلا معهم وإلزاما لهم يذكر الدليل العقلي.

فالشيخ ذكر في الاستدلال على علو الرب عز وجل عقلا شيئين:

الأول: أن العلو صفة كمال، ولا يمكن أن يكون العلو صفة نقص، والله سبحانه وتعالى أولى أن يوصف بالكمال. فكل كمال ناله مخلوق من مخلوقاته فهو منه سبحانه وتعالى، ومن المعلوم أن معطي الكمال إذا أمكن وصفه به فهو أولى به.

والشيء الثاني: أن السفل صفة نقص، ولا يقول أحد أن السفل صفة كمال أبدا، لا يقول أحد من العقلاء ذلك، فالله سبحانه وتعالى متره، إذا كان المخلوق يتره عن السفل الذي هو صفة نقص فالله سبحانه وتعالى أولى أن يتره عن كل ما هو صفة نقص، ومن ذلك السفل. فتقرر بهذا أن الله علي فوق خلقه عقلا وقبل ذلك بالنقل.

ص/: وأما الفطرة: فقد دلت على علو الله تعالى دلالة ضرورية فطرية فما من داع أو خائف فزع إلى ربه تعالى إلا وجد في قلبه ضرورة الاتجاه نحو العلو لا يلتفت عن ذلك يمنة ولا يسرة.

واسأل المصلين يقول الواحد منهم في سجوده: " سبحان ربي الأعلى " أين تتجه قلوبهم حينذاك؟

ش /: الفطرة هي ما فطر الله الناس عليه وجبلهم عليه، والفطرة السليمة التي سلمت من تلويث البدعة هي دالة على علو الرب سبحانه وتعالى، وانه فوق عرشه فوق سمواته فوق خلقه، وهذا من اوجه:

أحدها: أن كل مخلوق مصلي يقول: سبحان ربي الأعلى، لا يتجه قلبه إلا إلى العلو إلى السماء فلا يذهب يمنة ولا يسرة، فضلا أن يذهب سفلا.

ثانيها: أن عوام المسلمين إذا دعوا الله عز وجل رفعوا أيديهم إلى السماء، وهذا لأنه مركوز في فطرهم أن الله فوق سمائه، بل حتى الأطفال إذا أحس أحدهم أمرا مذهلا أو موجعا أو مخيفا، رفع رأسه إلى السماء

وقال: يا رب. وهكذا كل خائف وجل يتجه قلبه إلى ربه سبحانه وتعالى، إلى جهة العلو إلى السماء. فأصبحت الفطرة دالة على علو الرب عز وجل دلالة ضرورية، لا مناص منها لطالب الحق ومبتغي الهدى، أما أهل البدع فإن فطرهم ملوثة، فهم ينازعون الفطرة ويكابرون عن قبول الحق وان كان دليله أوضح من الشمس في رابعة النهار.

ص/: وأما الإجماع: فقد أجمع الصحابة والتابعون والأئمة على أن الله تعالى فوق سمواته مستو على عرشه، وكلامهم مشهور في ذلك نصا وظاهرا، قال الأوزاعي: " كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بما جاءت به السنة من الصفات " وقد نقل الإجماع على ذلك غير واحد من أهل العلم، ومحال أن يقع في مثل ذلك خلاف، وقد تطابقت عليه الأدلة العظيمة التي لا يخالفها إلا مكابر طمس على قلبه واجتالته الشياطين عن فطرته، نسأل الله تعالى السلامة والعافية.

فعلو الله تعالى بذاته وصفاته من أبين الأشياء وأظهرها دليلا وأحق الأشياء وأثبتها واقعا.

ش/: وأقول: لما فرغ الشيخ - رحمه الله - من الاستدلال على علو الله عز وجل وانه فوق عرشه وفوق مخلوقاته نقلا وعقلا وفطرة ختم بالإجماع، والإجماع هو اتفاق جميع العلماء المجتهدين من أمة محمد ﷺ بعد وفاته في أي عصر من العصور على أمر ديني. وقد ذكر - رحمه الله

- شيئين في الاجماع، حتى يقوى يقين طالب الحق وتقوم الحجة على مكابر معاند من أهل البدعة.

فالشيء الأول: حكاية الأوزاعي - رحمه الله -، والأوزاعي اعلم بما يقول، واعرف لما يحكي، فهو من الأئمة المشهود لهم بجلالة القدر والفضل والسابقة في الإسلام، فإذا قال مثل هذا المحكي فإنه أدرى،فلو كان ثمة نكير في عهده - رحمه الله - ولو من بعض التابعين لنقل.

الشيء الثاني: حتى لا يقول قائل: ليس قول الأوزاعي نصا صريحا في حكاية الإجماع، فقد يكون نكير ممن لم يعلم الأوزاعي نكيره.

قال الشيخ - رحمه الله -: وقد نقل الإجماع على ذلك غير واحد من أهل العلم، فانتفت الشبة ووضحت المحجة وقامت الحجة النيرة الصادقة على ثبوت علو الرب عز وجل إجماعا، كما قام الدليل من قبل على ذلك فطرة وعقلا وكتابا وسنة ولله الحمد.

ص/: (تنبيه ثالث) اعلم أيها القارئ الكريم، انه صدر مني كتابة لبعض الطلبة تتضمن ما قلته في بعض المجالس في معية الله تعالى لخلقه ذكرت فيها: " أن عقيدتنا أن لله تعالى معية حقيقية ذاتية تليق به وتقتضي إحاطته بكل شيء علما وقدرة وسمعا وبصرا وسلطانا وتدبيرا، وأنه سبحانه منزه أن يكون مختلطا بالخلق أو حالا في أمكنتهم، بل هو العلي بذاته وصفاته، وعلوه من صفاته الذاتية التي لا ينفك عنها وأنه

مستو على عرشه كما يليق بجلاله، وأن ذلك لا ينافي معيته لأنه تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(١).

وأردت بقولي " ذاتية " توكيد حقيقة معيته تبارك وتعالى.

وما أردت أنه مع خلقه سبحانه في الأرض، كيف وقد قلت في هذه الكتابة نفسها كما ترى إنه سبحانه متره أن يكون مختلطا بالخلق أو حالا في أمكنتهم، وانه العلي بذاته وصفاته وان علوه من صفاته الذاتية التي لا ينفك عنها. وقلت فيها أيضا ما نصه بالحرف الواحد: " ونرى أن من زعم أن الله بذاته في كل مكان فهو كافر أو ضال إن اعتقده، وكاذب إن نسبه إلى غيره من سلف الأمة أو أئمتها ".ا.هـ.

ولا يمكن لعاقل عرف الله وقدره حق قدره أن يقول إن الله مع خلقه في الأرض ولا زلت ولا أزال أنكر هذا القول في كل مجلس من مجالسي جرى فيها ذكره، وأسأل الله تعالى أن يثبتني وإخواني المسلمين بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

هذا وقد كتبت بعد ذلك مقالا نشر في مجلة (الدعوة) التي تصدر في الرياض، نشر يوم الاثنين الرابع من شهر المحرم سنة ١٤٠٤هـ برقم ٩١١قررت فيه ما قرره شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله تعالى - أن معية الله تعالى لخلقه حق على حقيقتها، وأن ذلك

---

(١) سورة الشورى، آية ١١.

لا يقتضي الحلول والاختلاط بالخلق، فضلا عن أن يستلزمه. ورأيت من الواجب استبعاد كلمة "ذاتية" وبينت أوجه الجمع بين علو الله تعالى وحقيقة المعية.

ش/: وأقول: يتلخص من هذا التقرير:

أولا: إعادة ما قرره المصنف - رحمه الله عز وجل - من قول الحق في معية الله سبحانه وتعالى، وأنها لا تناقض علوه، فقد عرفنا فيما سبق أن الكل حق وثابت بالكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة.

ثانيا: يؤكد الشيخ - رحمه الله - عقيدته في ذلك، وانه لم يخالف ما سار عليه سلف الأمة وأئمة الهدى منها في هذا الباب.

ثالثا: يبين مراده بكلمة "معية ذاتية"، وانه أراد أن المعية والعلو من صفات الله الذاتية.

رابعا: استبعد الشيخ للمصلحة كلمة " ذاتية"، وهذه عادة كل إماما وناصح لنفسه وإخوانه وأبناءه من أهل الإسلام أن يستبعد كل ما فيه غموض في معناه أو مخالفة لما قرره السلف قبل.

خامسا: سؤاله الله عز وجل أن يثبته وإخوانه المسلمين على الحق وسؤاله، هذا يتضمن التثبيت على السنة كلها، سواء ما كان منها في علو الله أو جميع صفاته أو جميع شرعه.

سادسا: أعاد ما قاله شيخ الإسلام في تقرير الجمع بين المعية والعلو، انهما لا يتناقضان، وقد مضى الكلام في ذلك. والخلاصة، أن

المصنف - رحمه الله - أبان صحة المعتقد الذي دل عليه الكتاب والسنة والعقل والفطرة والإجماع في هذا الباب.

ص/: واعلم أن كل كلمة تستلزم كون الله تعالى في الأرض أو اختلاطه بمخلوقاته أو نفي علوه أو نفي استوائه على عرشه أو غير ذلك مما لا يليق به تعالى، فإنها كلمة باطلة يجب إنكارها على قائلها كائنا من كان وبأي لفظ كانت.

وكل كلام يوهم ولو عند بعض الناس مالا يليق بالله تعالى، فإن الواجب تجنبه لئلا يظن بالله تعالى ظن السوء، لكن ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ فالواجب إثباته، وبيان بطلان وهم من توهم فيه مالا يليق بالله عز وجل.

ش/: وأقول: يمكن أن يكون هذا البيان وجها أو أمرا سابعا مضموما إلى ما تقدم، وخلاصة ذلك، تقرير المصنف - رحمه الله - بطلان وإنكار كل كلام يفيد صراحة أن الله مختلط بخلقه، وكذلك بطلان ما يوهم من الكلام أن الله مختلط بخلقه حال في أمكنتهم وان الصواب خلاف ذلك، كما يتضمن إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأوصاف، وقد مضى أن الشيخ - رحمه الله - قد قرر أن أهل السنة يثبتون من الصفات ما أثبته الله لنفسه وكذلك ما أثبته له رسوله ﷺ وقد مضى شرح ذلك.

****

قال المصنف رحمه الله تعالى

المثالان السابع والثامن: قوله تعالى: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾[(١)]. وقوله: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾[(٢)]. حيث فسر القرب فيهما بقرب الملائكة.

والجواب: أن تفسير القرب فيهما بقرب الملائكة ليس صرفا للكلام عن ظاهره لمن تدبره. أما الآية الأولى: فإن القرب مقيد فيها بما يدل على ذلك، حيث قال: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[(٣)]. ففي قوله: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ﴾. دليل على أن المراد به قرب الملكين المتلقيين.

وأما الآية الثانية: فإن القرب فيها مقيد بحال الاحتضار، والذي يحضر الميت عند موته هم الملائكة، لقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾[(٤)]. ثم إن في قوله:

---

(١) سورة ق، آية ١٦.

(٢) سورة الواقعة، آية ٨٥.

(٣) سورة ق، الآيات ١٦، ١٧، ١٨.

(٤) سورة الأنعام، آية ٦١.

﴿ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾[١]. **دليلا بينا على أنهم الملائكة، إذ يدل على أن هذا القريب في نفس المكان، ولكن لا نبصره، وهذا يعين أن يكون المراد به قرب الملائكة لاستحالة ذلك في حق الله تعالى.**

ش/: وأقول: دفع الشيخ – رحمه الله – شبهة من ادعى على أهل السنة تأويل هذين المثالين، وذلك بتفسير القرب فيهما بأنه قرب الملائكة. ويزعم هذا أن هذا التفسير هو صرف لمعنى الآيتين.

والجواب يتضمن أمورا أربعة:

الأمر الأول: أن هذا التفسير ليس هو صرفا للفظ عن ظاهره، بل هو عين الحقيقة وعين الصواب، يوضحه،

الأمر الثاني.

وذلك أن في السياق نفسه ما يعين المراد من القرب في قوله تعالى:

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾[٢]. وان هذا القرب هو قرب الملائكة، والسياق يبدأ من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ﴾[٣] إلى قوله: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا

---

(١) سورةو الواقعة، آية ٨٥.

(٢) سورة ق، آية ١٦.

(٣) الهامش السابق.

﴿لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[(١)]. فإذا تأملت الآيات الثلاث وهي من سورة ق، ظهر لك جليا أن القرب هو قرب الملائكة المتلقين. فانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾[(٢)]. فإذا ضممت قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [٣]، إلى قوله: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ [(٤)] إلى آخر الآيات، ظهر لك جليا أنه لا يراد بالقرب سوى قرب الملائكة، الذين وكلوا بالإنسان فيتلقيانه عن اليمين وعن الشمال لتقييد ما يلفظ من أقواله.

الأمر الثالث: في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ [(٥)]، وتمامها ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [(٦)]. تفسير القرب هنا بقرب الملائكة من الإنسان حال احتضاره، فهم الذين معه ملك الموت وأعوانه، يوضحه **الأمر الرابع** و يتضمن شيئين:

---

(١) سورة: ق، الآيتان: ١٧،١٨.

(٢) سورة النساء. آية ١٤٢.

(٣) الهامش السبق.

(٤) الهامش السابق.

(٥) سورة الواقعة، آية ٨٥.

(٦) الهامش السابق.

الشيء الأول: تأمل سياق الآيات، هذه الآية المستدل بها وما قبلها وما بعدها فإنه في الإنسان حال احتضاره، فانظر إلى مبدأ السياق، وهو قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾(١).

فلا يظهر للحاذق البصير العارف بتفسير القرآن من ضميمة ما قبل الآية المستدل بها وما بعدها إليها إلا أنها في الميت حال احتضاره وأن القريب منه هم الملائكة، ملك الموت وأعوانه. **الشيء الثاني:** وهو مزيل للإشكال واللبس وقاطع للجاج، هو قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾(٢). فما يظن من لبس وإشكال في آيات الواقعة أزالته آية الأنعام وهي الآية الأخيرة،و هاك تفسيرها:

---

(١) سورة الواقعة، آية ٨٥-٩٣.

(٢) سورة الأنعام، آية ٦١.

قال ابن كثير ــ رحمه الله تعالى: { و قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ أي هو الذي قهر كل شيء وخضع لجلاله، و عظمته و كبريائه كل شيء.

﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ أي من الملائكه يحفظون بدن الإنسان، كما قال:

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ و حفظة يحفظون عمله و يحصونه كما قال: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ﴾ الآية وقال: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾، و قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي احتضر و حان أجله ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ أي ملائكة موكلون بذلك. قال ابن عباس و غير واحد: لملك الموت أعوان من الملائكة يخرجون الروح من الجسد فيقبضها ملك الموت إذا انتهت إلى الحلقوم و سيأتي عند قوله تعالى ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ الأحاديث المتعلقة بذلك، الشاهد لذا المروي عن ابن عباس و غيره بالصحة.

و قوله: ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ أي في حفظ روح الموتى بل يحفظونها و يترلونها حيث شاء الله عز وجل، إن كان من الأبرار ففي

عليين، و إن كان من الفجار ففي سجين، عياذا بالله من ذلـــك } [(١)] ا. هــ.

ص/: بقي أن يقال: فلماذا أضاف الله القرب إليه، وهل جاء نحو هــذا التعبير مرادا به الملائكة؟

فالجواب: أضاف الله تعالى قرب ملائكته إليه، لأن قربهم بأمره وهـــم جنوده ورسله.

وقد جاء نحو هذا التعبير مرادا به الملائكـــة، كقولـــه – تعالى–: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾[(٢)]. فإن المراد به قراءة جـــبريل القرآن على رسول الله ﷺ مع أن الله تعالى أضاف القراءة إليه، لكـــن لما كان جبريل يقرؤه على النبي ﷺ بأمر الله تعالى صحت إضافة القراءة إليه تعالى. وكذلك جاء في قوله – تعالى –: ﴿ فلما ذهب عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لوط ﴾[(٣)]. وإبراهيم إنما كان يجادل الملائكة الذين هم رسل الله – تعالى –.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، جـ ٣، ص ٣٢٨، ٣٢٩، تحقيـــق و تخريـــج: أبي عبدالله قاسم بن أحمد التعزي النفيعي، أبي معاذ قاسم بن عبده بن ملهى غـــز الديـــن الحميري العديني، مراجعة الشيخ: مقبل بن هادي الوادعي.

(٢) سورة القيامة،آية ١٨.

(٣) سورة هود، آية ٧٤.

ش/: هنا لفتة جيدة من لفتات المصنف البديعة التي تعودناها منه - رحمه الله - في تقريراته الجميلة السديدة. واللفتة هاهنا تتضمن سؤالا وجوابا، فالسؤال لو قال قائل: هل جاء في القران مثل هذا القرب الذي أضافه الله إليه وقررتم أن المراد به الملائكة، هل جاء نحوه مضافا إلى الله، هل جاء نحو هذا من الأخبار مضافا إلى الله والمراد به الملائكة ؟

فقد ضمن الشيخ - رحمه الله جواب هذا السؤال نوعين من الأدلة يظهر بهما جليا صحة ما قرره في المراد بالقرب في آيتي الواقعة و ق، وانه قرب الملائكة.

فالنوع الأول من الأدلة: في سورة القيامة، إذ يقول الحق جل ثناؤه: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾(١)، وسياق الآيات من أولها هكذا: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾(٢). وهذه الآية التي ضمنها الشيخ - رحمه الله - النوع الأول من الإجابة.

فهنا ضمير قرأناه هو مضاف إلى الله عز وجل، لكن من يراد به؟! هل الله سبحانه وتعالى هو الذي يقرأ القران على محمد ﷺ، و أمر محمد ﷺ باتباع ما يقرأه ربه عليه؟! الجواب أن القراءة من جبريل، وإنما أضاف

---

(١) سورة القيامة، آية١٨.

(٢) الهامش السابق.

الله القراءة التي هي قراءة جبريل ﷺ إليه عز وجل، لأن جبريل هو رسوله إلى محمد ﷺ. والعرب تقول: إذا دعوناك فـأجب، والمقصـود إجابـة الرسول، رسول الأمير أو الملك. يوضحه ما رواه البخاري عن سعيد بـن جبير { ثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن موسى بن أبي عائشة أنـه سأل سعيد بن جبير عن قوله ـ تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ قال: قال: ابن عباس: كان يحرك شفتيه إذا أنزل عليه فقيـل لـه لا تحرك به لسانك ـ يخشى أن ينفلت منه ـ إن علينا جمعه و قرآنـه: أن نجمعه في صدرك ﴿ قُرْءَانَهُۥ ﴾ أن نبينه على لسانك }[1].ا.هـ.

النوع الثاني: في قصة إبراهيم وضيفه – عليهم الصلاة والسـلام – وذلك فيما قصه الله علينا من خبره حين ذهب عن إبراهيم الروع الـذي حدث له حال استنكاره صنيع ضيفه وما كان يعلم انهم من الملائكـة، إذ قرب إليهم الطعام فلم يأكلوا فخاف منهم، فلما ذهب عنه ما يجد مـن الوجل والخوف وبشر بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، قال الله عنـه: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴾، وإبراهيم ﷺ لم يجادل الله وإنما كان يجادل ضيفـه مـن الملائكة حين أخبروه انهم ذاهبون إلى قوم لوط ومهلكوهم، وأضاف ربنـا

(١) بخاري، ك: التفسير، ب: تفسير سورة القيامة، رقم: ٤٦٤٤، البغا.

جل وعلا الجدال إليه،لأنه جدال لرسله من الملائكة - عليهم الصلاة والسلام -.

قال المصنف رحمه الله تعالى

المثالان التاسع والعاشر: قوله تعالى عن سفينة نوح:

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾(١). وقوله لموسى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾(٢).

والجواب: أن المعنى في هاتين الآيتين على ظاهر الكلام وحقيقته، لكن ما ظاهر الكلام وحقيقته هنا؟

هل يقال: إن ظاهره وحقيقته أن السفينة تجري في عين الله، أو أن موسى - عليه الصلاة والسلام - يربى فوق عين الله تعالى؟!

أو يقال: إن ظاهره أن السفينة تجري وعين الله ترعاها وتكلؤها وكذلك تربية موسى تكون على عين الله تعالى يرعاه ويكلؤه بها.

ولا ريب أن القول الأول باطل من وجهين:

الأول: أنه لا يقتضيه الكلام بمقتضى الخطاب العربي، والقران إنما نزل بلغة العرب قال الله - تعالى-: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٣). وقال الله - تعالى -: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ

(١) سورة القمر، آية ١٤.

(٢) سورة طه، آية ٣٩.

(٣) سورة يوسف، آية ٢.

﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾[١]. ولا أحد يفهم من قول القائل: فلان يسير بعيني أن المعنى أنه يسير داخل عينه، ولا من قول القائل: فلان تخرج على عيني أن تخرجه كان وهو راكب على عينه، ولو ادعى مدع أن هذا ظاهر اللفظ في هذا الخطاب لضحك منه السفهاء فضلا عن العقلاء.

الثاني: أن هذا ممتنع غاية الامتناع، ولا يمكن لمن عرف الله وقدره حق قدره أن يفهمه في حق الله تعالى لأن الله تعالى مستو على عرشه بائن من خلقه لا يحل فيه شيء من مخلوقاته ولا هو حال في شيء من مخلوقاته سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا.

فإذا تبين بطلان هذا من الناحية اللفظية والمعنوية، تعين أن يكون ظاهر الكلام هو القول الثاني أن السفينة تجري وعين الله ترعاها وتكلؤها[٢] وكذلك تربية موسى تكون على عين الله -تعالى- يرعاه ويكلؤه بها. وهذا معنى قول بعض السلف: بمرأى مني، فإن الله - تعالى - إذا كان يكلؤه بعينه لزم من ذلك أن يراه ولازم المعنى الصحيح جزء منه كما هو معلوم من دلالة اللفظ حيث تكون بالمطابقة والتضمن والالتزام.

---

(١) سورة الشعراء، الآيات ١٩٣-١٩٥.

(٢) الأصل تكلوءه و الصواب ما دون.

ش/: وأقول: ظاهر معنى الآيتين عند أهل السنة حق على حقيقته، وهنا يتوجه سؤالان:

ما هذا الظاهر، هل ظاهر الآية الأولى ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾(١) أن سفينة نوح ﷺ تجري وسط عين الله؟!

وكذلك قوله تعالى في موسى ﷺ: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾(٢) هل معنى هذا أن موسى ﷺ يربى فوق عين الله؟! أو أن معنى قوله: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ أي بمرأى منا وكلاءة؟، وكذلك في شأن موسى ﷺ وقول الله عنه: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ أي بمرأى مني؟

فالأول باطل ويدل لبطلانه:

أولا: أن ظاهر مقتضى الخطاب لا يقتضي ذلك، بل يقتضي ما قرره السلف - رحمهم الله - أن المراد بقوله: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ و ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ أي بالمرأى والحفظ، فالسفينة تجري فوق الأمواج المتلاطمة من الطوفان وعين الله ترعاها، والله يحفظها سبحانه وتعالى.

وكذلك موسى ﷺ يربى ويغذى على كلاءة من الله ومرأى و حفظ منه. وهذا هو مقتضى اللسان العربي الذي جاء به القران الكريم،

---

(١) سورة القمر، آية ١٤.

(٢) سورة طه، آية ٣٩.

كما قال الله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[1]. وكما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[2].

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾، إلى غير ذلك من الآيات.

فظهر أن هذا ممتنع غاية الامتناع، ولا يمكن لمن عرف الله وقدره حق قدره أن يفهمه في حق الله تعالى لأن الله تعالى مستو على عرشه.

ثانيا: أن هذا المعنى الذي تصوره البدعي من المعطلة جهمية أو معتزلية أو غيرهم، ممتنع غاية الامتناع ولا يمكن لمن عرف الله حق معرفته وقدره حق قدره أن يفهم ذلك، لأن الله عز وجل فوق عرشه فوق خلقه مستو على عرشه ليس هو حالا في شيء من خلقه، ولا شيء من خلقه حالا فيه، بل هو بائن منهم سبحانه وتعالى.

والواقع انه لو قال قائل: فلان تخرج على عيني، ومعناه هكذا راكب، فوق عينه لضحك منه السفهاء قبل العقلاء، لأن هذا من السفه الذي تأباه العقول السليمة، لأن العقلاء لم يفهموا من قول القائل: فلان تخرج من الكلية أو المعهد على عيني، لم يفهموا إلا انه يرعاه ويعينه ويحرسه، فإذا كان هذا لا يفهم في حق المخلوق فكيف يفهم في حق

---

(١) سورة الشعراء، الآيات١٩٣-١٩٥.

(٢) سورة يوسف، آية ٢.

الخالق؟ المخلوق إذا قال: فلان تخرج على عيني، يفهم منه انه يرعـــاه و يصونه و يحرسه و يعينه، وإذا قال الله: ﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾هل يفهم أن موسى ﷺ كان وسط عين الله؟ هذا هو منتـــهى الســفه والحماقــة والضلال و سوء الأدب وفساد الذوق الفطري والعقلي.

****

****

قال المصنف رحمه الله تعالى

المثال الحادي عشر: قوله تعالى في الحديث القدسي: " ... وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعذينه... " (١).

والجواب: أن هذا الحديث صحيح رواه البخاري في باب التواضع الثامن والثلاثين من كتاب الرقاق.

وقد أخذ السلف أهل السنة والجماعة بظاهر الحديث وأجروه على حقيقته. ولكن ما ظاهر هذا الحديث؟

هل يقال: إن ظاهره أن الله تعالى يكون سمع الولي وبصره ويده ورجله؟

أو يقال: إن ظاهره أن الله تعالى يسدد الولي في سمعه وبصره ويده ورجله بحيث يكون إدراكه وعمله لله، وبالله، وفي الله؟ ولا ريب أن القول الأول ليس ظاهر الكلام، بل ولا يقتضيه الكلام لمن تدبر الحديث فإن في الحديث ما يمنعه من وجهين:

الأول: أن الله تعالى قال: " وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه " وقال: " ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه ".

---

(١) البخاري، ك: الرقائق، ب: التواضع، رقم: ٦١٣٧، البغا.

فأثبت عبدا ومعبودا، ومتقربا ومتقربا إليه ومحبا ومحبوبا وسائلا ومسئولا ومعطيا ومعطى ومستعيذا ومستعاذا به، ومعيذا ومعاذا. فسياق الحديث يدل على اثنين متباينين كل واحد منهما غير الآخر وهذا يمنع أن يكون أحدهما وصفا في الآخر أو جزءا من أجزائه.

الوجه الثاني: أن سمع الولي وبصره ويده ورجله كلها أوصاف أو أجزاء في مخلوق حادث بعد أن لم يكن ولا يمكن لأي عاقل أن يفهم أن الخالق الأول الذي ليس قبله شيء يكون سمعا وبصرا ويدا ورجل لمخلوق، بل إن هذا المعنى تشمئز منه النفس أن تتصوره ويحسر اللسان أن ينطق به ولو على سبيل الفرض والتقدير فكيف يسوغ أن يقال إنه ظاهر الحديث القدسي وأنه قد صرف عن هذا الظاهر، سبحانك اللهم وبحمدك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

ش/: هذا المثال الحادي عشر ضمن ما قرر فيه المصنف - رحمه الله - بطلان دعوى المبتدعة التأويل على أهل السنة، وهذا المثال يتضمن:

أولا: الحديث القدسي، الذي رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - ولفظه واضح وظاهره واضح، وأخذ به أهل السنة واجروه على ظاهره، وهاهنا سؤالان: ما ظاهر هذا الحديث؟

هل ظاهره أن الله سبحانه وتعالى هو سمع الولي وبصره ويده ورجله؟!

أو أن ظاهره بأن الله مع الولي يحفظه ويصونه ويسدده في سمعه وبصره ويده ورجله؟!

فهذا **المعنى الثاني** هو الصحيح، والأول باطل من وجهين:

فأول هذين الوجهين: مأخوذ من الحديث، فإن الله اثبت فيه عبدا ومعبودا، ومحبا ومحبوبا، ومتقربا ومتقرب إليه، ومعط ومعطى، ومستعيذا ومستعاذا به، ولا يتصور عاقل أن هذه الأوصاف لموصوف واحد، بل هي أوصاف لموصوفين متباينين،

أحدهما: هو الرب سبحانه وتعالى، فإنه هو المعبود المحبوب المعطي المتقرب إليه المسئول المستعاذ به. وبقية الأوصاف للمخلوق، فإنه هو العابد السائل المحب المتقرب المستعيذ المعطى. هذا بين واضح، جلي لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الوجه الثاني: من المعلوم الذي لا ينازع فيه عاقل ذو عقل سليم، أن سمع الولي وبصره ويده ورجله وكذلك سؤاله واستعاذته هذه أوصاف، للولي نفسه وليست أوصاف لله سبحانه وتعالى، وبهذا يظهر أن الله سبحانه وتعالى ليس حالا في هذا العبد، فهو يده ورجله وسمعه و هذا أمر تشمئز منه النفوس و تنفر منه العقول السليمة وتقشعر له القلوب الطيبة، فإنه لا يمكن أن يكون الله عز وجل هو يد الولي التي يبطش بها، أو رجله التي يمشي عليها؟ وإنما يفهم اللبيب البصير السلفي أن الله سبحانه وتعالى مع ذلك الولي الذي حافظ على فرائض الله واستكثر من النوافل،

بأن الله يحبه وثمرة محبة الله له أن الله عز وجل يحفظه في سمعه وبصره وجوارحه، فيكون كل حركاته وسكناته لله عز وجل.

ص/: وإذا تبين بطلان القول الأول وامتناعه، تعين القول الثاني، وهو أن الله تعالى يسدد هذا الولي في سمعه وبصره وعمله، بحيث يكون إدراكه بسمعه وبصره وعمله بيده ورجله كله لله تعالى إخلاصا وبالله تعالى استعانة وفي الله تعالى شرعا واتباعا، فيتم له بذلك كمال الإخلاص والاستعانة والمتابعة وهذا غاية التوفيق وهذا ما فسره به السلف وهو تفسير مطابق لظاهر اللفظ موافق لحقيقته متعين بسياقه وليس فيه تأويل ولا صرف للكلام عن ظاهره ولله الحمد والمنة.

ش/: وهذا ملخص لما سبق من تقرير المعنى الحق الذي فهمه السلف من ظاهر الحديث، وذلك أن الولي الذي احبه الله سبحانه وتعلى يحصل له حفظ الله وتسديده فيكون ذلك العبد كله لله ويكون الله معه يسدده فيحصل له كمال الإخلاص لله وكمال المتابعة للنبي ﷺ.

****

****

*

قال المصنف رحمه الله تعالى

المثال الثاني عشر: قوله ﷺ فيما يرويه عن الله تعالى أنه قال: " من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ".

وهذا الحديث صحيح، رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء من حديث أبي ذر - رضي الله عنه - وروى نحوه من حديث أبي هريرة أيضا وكذلك روى البخاري نحوه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - في كتاب التوحيد الباب الخامس عشر.

وهذا الحديث كغيره من النصوص الدالة على قيام الأفعال الاختيارية بالله تعالى وأنه سبحانه فعال لما يريد، كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة. مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [1]. وقوله: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [2]. وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [3]. وقوله: ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ [4]. وقوله ﷺ: " يترل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر " [1]. وقوله ﷺ: " ما تصدق أحد

(١) سورة لبقرة، آية ١٨٦.

(٢) سورة الفجر، آية ٢٢.

(٣) سورة الأنعام، آية ١٥٨.

(٤) سورة طه، آية ٥.

يبقى ثلث الليل الآخر "[١]. وقـوله ﷺ: " ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه " [٢]. إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على قيام الأفعال الاختيارية به تعالى.

فقولـه في هذا الحديث: " تقربت منه وأتيته هرولة " من هـذا الباب. والسلف (أهل السنة والجماعة) يجرون هذه النصوص على ظاهرها وحقيقة معناها اللائق بالله عز وجل من غير تكييف ولا تمثيل.

ش/: وأقول: هذا المثال الثاني عشر يتضمن حديثا قدسيا متفقا على صحته بين الشيخين، وهذا الحديث قرر الشيخ - رحمه الله - حياله ما يقتضي انه حق على حقيقته وانه على ظاهره، من الأوجه الآتية:

الوجه الأول: أن هذا الحديث الصحيح شأنه شأن غيره من نصوص الكتاب والسنة الدالة على قيام الأفعال الاختيارية بالرب عز وجل.

مثل المجيء يوم القيامة للفصل بين الناس بالقضاء، ونزوله سبحانه وتعالى حين يبقى ثلث الليل الأخير إلى السماء الدنيا، وكذلك استواءه

---

(١) البخاري، ك: التهجد، ب: الدعاء و الصلاة من آخر الليل، رقم: ١٠٩٤، البغا ؛ مسلم رقم: ٧٥٨، فؤاد. و لفظه عند البخاري: (يترل ربنا تبارك و تعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا..).

(٢) أخرجه مسلم، ج٢، ك: الزكاة، ب: قبول الصدقة من الكسب الطيب و تربيتها، عن أبي هريرة، رقم: ٦٣ / ١٠١٤، ت: فؤاد عبد الباقي.

على عرشه، إلى غير ذلك من النصوص التي لا يمكن حصرها في هذا الباب.

فالحديث المروي هنا في هذا المثال، هو مثل النصوص الأخرى التي ذكر الشيخ بعضها، وهي ظاهرة الدلالة على قيام الأفعال الاختيارية بالرب جل وعلا، انه يفعل ما يشاء كيف يشاء.

ثانيا: أن السلف يجرون هذه النصوص على ظاهرها، ويقولون بما تضمنته من غير تكييف ولا تمثيل، ويكلون علم كيفية ذلك إلى الله سبحانه وتعالى.

ثالثا: ظهر بهذا التقرير الملخص المستفاد من كلام المصنف - رحمه الله - أن ما تضمنه الحديث من ذكر تقرب الله عز وجل من عبده وانه يأتيه هرولة إن أتاه ماشيا وغير ذلك مما تضمن الحديث حق على حقيقته، يجريه السلف على ظاهره مع الإمساك عن الخوض في كيفيته، ويفوضونها - اعني الكيفية - إلى الله سبحانه وتعالى، لأن هذا هو مقتضى ظاهر الحديث.

ص/: قال شيخ الإسلام ابن تيميه في شرح حديث النزول ص٤٦٦، ج٥ من مجموع الفتاوى: (وأما دنوه نفسه وتقربه من بعض عباده فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه، ومجيئه يوم القيامة، ونزوله واستواءه على العرش، وهذا مذهب أئمة السلف، وأئمة الإسلام المشهورين، أهل الحديث والنقل عنهم بذلك متواتر).

ا.هـ. فأي مانع يمنع من القول بأنه يقرب من عبده كيف يشاء مع علوه؟ وأي مانع يمنع من إتيانه كيف يشاء بدون تكييف ولا تمثيل؟

وهل هذا إلا من كماله أن يكون فعالا لما يريد على الوجه الذي يليق به؟

ش/: وما نقله المصنف – رحمه الله – عن شيخ الإسلام ابن تيميه – رحمه الله – يمكن أن يكون وجها رابعا: وهو أن الله سبحانه وتعالى يقرب ويدنو من عبده كيف يشاء، فلا يمنعه مانع من ذلك، فالله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء، فإذا ما الذي يمنعه أن يقرب ويدنو من عباده أو بعض عباده؟

وما الذي يمنعه أن يأتي هرولة من أتاه ماشيا؟ إنه سبحانه وتعالى فعال لما يريد، يفعل ما يشاء، متى شاء، كيف شاء سبحانه وتعالى، لا يشبه شيء من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه، وهل هذا إلا من كماله سبحانه وتعالى.

ص/: وذهب بعض الناس إلى أن قوله تعالى في هذا الحديث القدسي: " أتيته هرولة ". يراد به سرعة قبول الله تعالى وإقباله على عبده المتقرب إليه المتوجه بقلبه وجوارحه وأن مجازاة الله للعامل له أكمل من عمل العامل. وعلل ما ذهب إليه بأن الله تعالى قال: " ومن أتاني يمشي ". ومن المعلوم أن المتقرب إلى الله عز وجل الطالب للوصول إليه لا يتقرب ويطلب الوصول إلى الله تعالى بالمشي فقط بل

تارة يكون بالمشي كالسير إلى المساجد ومشاعر الحج والجهاد في سبيل الله ونحوها وتارة بالركوع والسجود ونحوهما وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: " أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد"[1] بل قد يكون التقرب إلى الله تعالى وطلب الوصول إليه والعبد مضطجع على جنبه كما قال الله – تعالى –: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾[2]. وقال النبي ﷺ لعمران بن حصين: " صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنبك "[3].

قال: فإذا كان كذلك صار المراد بالحديث بيان مجازاة الله تعالى العبد على عمله وأن من صدق في الإقبال على ربه وإن كان بطيئا جازاه الله تعالى بأكمل من عمله وأفضل. وصار هذا هو ظاهر اللفظ بالقرينة الشرعية المفهومة من سياقه.

وإذا كان هذا ظاهر اللفظ بالقرينة الشرعية، لم يكن تفسيره به خروجا به عن ظاهره ولا تأويلا كتأويل أهل التعطيل فلا يكون حجة لهم على أهل السنة ولله الحمد.

---

(١) أخرجه مسلم، ك: الصلاة، ب: ما يقال في الركوع، رقم: ٤٨٢، عن أبي هريرة.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٩١.

(٣) أخرجه البخاري، ك: الصلاة، ب: ما يقول في الركوع، رقم: ٤٨٢. ومسلم، ك: تقصير الصلاة، ب: إذا لم يطق قاعدا صلى على جنب، رقم: ١٠٦٦.

وما ذهب إليه هذا القائل له حظ من النظر لكن القول الأول أظهر وأسلم وأليق بمذهب السلف.

ويجاب عما جعله قرينة من كون التقرب إلى الله تعالى وطلب الوصول إليه لا يختص بالمشي بأن الحديث خرج مخرج المثال لا الحصر فيكون المعنى من أتاني يمشي في عبادة تفتقر إلى المشي بتوقفها عليه لكونه وسيلة لها كالمشي إلى المساجد للصلاة أو من ماهيتها كالطواف والسعي. والله تعالى أعلم.

ش/: ختم الشيخ – رحمه الله – الكلام على هذا الحديث الذي تضمنه المثال الثاني عشر بإيراد وهو تفسير لبعض أهل العلم لفظ (الهرولة) بأنه سرعة الرحمة أو سرعة قبول العمل أو سرعة الإجابة، وقد بنى هذا المفسر تفسيره على قرينة شرعية. ومن القرينة الشرعية، أن الأعمال ليست كلها مفتقرة إلى المشي، فبعضها ما كان المشي من ماهيتها كالطواف والسعي، وبعضها ما كان المشي إليها وسيلة، وبعض العبادات ليست متوقفة على المشي.

فبعد أن ذكر الشيخ حجة هذا المفسر خلص **إلى شيئين:**

الأول: أن تفسير ذلك العالم له حظه من النظر، وعلى هذا فلم يكن مبتدعا ولا ضالا، بل اجتهد وقرر ما يرى انه هو المفهوم من الحديث، وهذا وسعه ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، وهو إن شاء الله مأجور على هذا الاجتهاد.

والشيء الثاني: أن المذهب الأول الذي خلاصته: أن كل ما جاء في الحديث هو حق على حقيقته وعلى ظاهره أصوب، لأنه إجراء للحديث على ظاهره الذي لا يتبادر من اللفظ سواه عند الإطلاق، ولأنه هو مذهب السلف، وأنه يجاب عما جعله قرنية من كون التقرب إلى الله تعالى وطلب الوصول إليه لا يختص بالمشي بأن الحديث خرج مخرج المثال لا الحصر إلى آخر ما قرره المصنف رحمه الله في ذلك والله أعلم.

قال المصنف رحمه الله تعالى

المثال الثالث عشر: قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾(١).

والجواب: أن يقال ما هو ظاهر هذه الآية وحقيقتها حتى يقال إنها صرفت عنه؟

هل يقال: إن ظاهرها أن الله تعالى خلق الأنعام بيده كما خلق آدم بيده؟

أو يقال: إن ظاهرها أن الله تعالى خلق الأنعام كما خلق غيرها لم يخلقها بيده لكن إضافة العمل إلى اليد، والمراد صاحبها معروف في اللغة العربية التي نزل بها القران.

أما القول الأول فليس هو ظاهر اللفظ لوجهين:

أحدهما: أن اللفظ لا يقتضيه بمقتضى اللسان العربي الذي نزل به القران، ألا ترى إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾(٢). وقوله: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

(١) سورة يسن، آية ٧١.

(٢) سورة الشورى، آية ٣٠.

﴾[١]. وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾[٢]. فإن المراد ما كسبه الإنسان نفسه، وما قدمه وإن عمله بغير يده، بخلاف ما إذا قال عملته بيدي كما في قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[٣]. فإنه يدل على مباشرة الشيء باليد.

الثاني: أنه لو كان المراد أن الله تعالى خلق هذه الأنعام بيده لكان لفظ الآية خلقنا لهم بأيدينا أنعاما كما قال الله تعالى في آدم: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[٤]. لأن القران نزل بالبيان لا بالتعمية، لقوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾[٥].

ش/: وأقول: هذا هو المثال الثالث عشر من الأمثلة التي يزعم أهل التأويل أن أهل السنة صرفوها عن ظاهرها.

وملخص ما ذكره المصنف - رحمه الله - حيال هذا المثال يتضمن ما يأتي:

---

(١) سورة الروم، آية ٤١.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٨٢.

(٣) سورة البقرة، آية ٧٩.

(٤) سورة ص، آية ٧٥.

(٥) سورة النحل، آية ٨٩.

أولا: أن ظاهر هذه الآية حق على حقيقته، ولكن ما هذا الظـاهر الذي هو حق على حقيقته وادعيتم أننا صرفنا النص عنه، أو يقال: مـــا ظاهر هذه الآية المراد منها حتى تدعو ما ادعيتم علينا من صرفها عنه؟ هل ظاهر الآية أن الله باشر خلق الأنعام بيده؟ أو انه خلقها بقدرته؟.

فالصواب: أن الله سبحانه وتعالى لم يباشر خلق الأنعام بيده، كما باشر خلق آدم، فاستمع إلى قوله تعالى ثم تأمله مع هذه الآية يتضح لـــك الفرق جليا.

فلما أراد سبحانه وتعالى أن يظهر لنا مزية آدم وفضله ذكـــر في كتابه ما يدل على مباشرة خلقه بيده، فقال تعالى في شأن إبليس عليه لعنة الله حين امتنع من السجود: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (١)، فلو كان المراد باليدين في هذه الآية وما شابهها مما قصه الله علينا من خبر إبليس عليه لعنة الله وإباءه عن السجود، لو كان المراد القدرة لما كان لآدم مزية على سائر المخلوقات. فإن جميع المخلوقات مخلوقة بقـــدرة الله سبحانه وتعالى.

ثانيا: يمتنع في هذه الآية أن الله باشر خلق الأنعام بيده، لأنه في هذه الآيـــة تعدى الفعل بنفسه، قال:

﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ وفي خلق آدم قال:

---

(١) سورة ص، آية ٧٥.

﴿ بِيَدَيَّ ﴾ فظهر الفرق بين النصين جليا واضحا لمن أراد الحق وجد في طلبه.

فالأنعام كلها مخلوقة بقدرة الله عز وجل، وهي مما عملته الأيدي، فالأيدي هنا معناها القوة والقدرة، مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾(١) أي بقوة وقدرة، فالأيدي في هذه الآية التي هي محل المثال مصدر آد يأيد أيدا، وليست هي جمع يد، مثال آخر لما شنع الله سبحانه وتعالى على أحبار اليهود قال: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾(٢) والمعنى انهم باشروا التحريف، وكتبوا للناس كتبا بأيديهم بأقلامهم فقالوا: هذا من عند الله.

الأمر الثالث: أن إضافة الكسب إلى اليد وإضافة العمل إلى اليد أمر شائع وذائع، فهو أسلوب من أساليب اللغة العربية التي نزل بها القران الكريم، وكان نزوله باللسان العربي المبين.

فمثلا حينما يقول القائل: عملته يدي، وصنعته بيدي، فإن العاقل يفرق بين الجملتين.

فعملته يدي أي كسبته، وصنعته بيدي أي باشرت صنعته، فصنعته يدي غير صنعته بيدي وعملته بيدي، فإذا تعدى الفعل بالباء فإنه

---

(١) سورة الذريات،آية ٤٧.

(٢) سورة البقرة، آية ٧٩.

يقتضي المباشرة باليد المعروفة، وإذا تعدى بنفسه فقال: عملته يدي، كسبته يداه، جنته يداه، فإن المراد معناها انه من كسبه.

فإذا وقع إنسان فيما يستوجب عقوبته وظهر منه التحسر، قيل له: هذا مما جنته يداك، فقد يكون بنظره وقد يكون بلسانه، وقد يكون بإعاز منه، فيقال: جنته يداك، وليس معناه إنك باشرت عمل هذا الشيء بيدك، بخلاف قول القائل: فعلت هذا بيدك يا فلان، هذا أنت فعلته بيدك، معناه باشرت فعله، صنعته حتى رآه الناس، والله أعلم.

ص/: وإذا ظهر بطلان القول الأول تعين أن يكون الصواب هو القول الثاني وهو أن ظاهر اللفظ أن الله تعالى خلق الأنعام كما خلق غيرها، ولم يخلقها بيده، لكن إضافة العمل إلى اليد كإضافته إلى النفس بمقتضى اللغة العربية، بخلاف ما إذا أضيف إلى النفس وعدي بالباء إلى اليد، فتنبه للفرق فإن التنبه للفروق بين المتشابهات من أجود أنواع العلم، وبه يزول كثير من الإشكالات.

ش/: وأقول: إذا عرفت أيها القاريء الكريم، أن المراد بالآية التي هي آية المثال، أن الله سبحانه وتعالى لم يباشر خلق الأنعام بيده ظهر لك الفرق كما قدمنا بين تعدية الفعل بنفسه وتعديته بالباء، فتعديته بالباء تقتضي المباشرة، وتعديته بنفسه تقتضي مجرد الصنعة.

فهذه الآية هي نص صريح في أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الأنعام بيده كما خلق آدم بيده،ففي خلق الأنعام قال تعالى: ﴿عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ﴾،

فجميع المخلوقات تحت هذا، بخلاف آدم ﷺ فإنه مخلوق بيدي الله عــز وجل، باشر الله خلقه بيده، ويزيد هذا وضوحا أن إبليس عليه لعنة الله لم يحتج على الله عز وجل، فلو كان ليس ثمة فرق بين هذا وهــذا وأن الله خلق الأنعام مثل ما خلق آدم، أو خلق آدم مثل ما خلق الأنعام، لكــان لإبليس أن يقول: وأنا يارب خلقتني بيديك، يعني بقدرتك، لكنه لم يحتج بهذا لأنه يعرف الفرق، فاحتج بالقياس الفاسد خلقتني من نار وخلقته من طين، ثم نبه الشيخ - رحمه الله - في نهاية هذا التقرير إلى أمر ضــروري، وذلك الأمر انه ينبغي لطالب العلم أن يعرف الفروق بين الأمور المتشابهة، فإن معرفة الفروق في هذا الباب تكسب الطالب زيادة حذق في المعــاني، وتزيل عنه اللبس والإشكال، فيفسر كل نص بحسبه.

****

****

*

قال المصنف رحمه الله تعالى وغفر له

المثال الرابع عشر: قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾(١).

والجواب: أن يقال: هذه الآية تضمنت جملتين:

الجملة الأولى: قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾(٢).

وقد أخذ السلف أهل السنة بظاهرها وحقيقتها، وهي صريحة في أن الصحابة - رضي الله عنهم - كانوا يبايعون النبي ﷺ نفسه، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾(٣). ولا يمكن لأحد أن يفهم من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ (٤). أنهم يبايعون الله نفسه، ولا أن يدعي أن ذلك ظاهر اللفظ لمنافاته لأول الآية والواقع واستحالته في حق الله تعالى.

---

(١) سورة الفتح،آية ١٠.

(٢) هامش ٣٧٩.

(٣) الهامش السابق.

(٤) هامش السابق.

وإنما جعل الله تعالى مبايعة الرسول ﷺ مبايعة له، لأنه رسوله وقد بايع الصحابة على الجهاد في سبيل الله تعالى ومبايعة الرسول على الجهاد في سبيل من أرسله مبايعة لمن أرسله، لأنه رسوله المبلغ عنه، كما أن طاعة الرسول طاعة لمن أرسله لقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[1].

وفي إضافة مبايعتهم الرسول ﷺ إلى الله تعالى من تشريف النبي ﷺ وتأييده وتوكيد هذه المبايعة وعظمها ورفع شأن المبايعين ما هو ظاهر لا يخفى على أحد.

ش/: وأقول: حتى تندفع شبهة التأويل المدعى على أهل السنة في هذه الآية فقد قرر الشيخ - رحمه الله- ما ملخصه:

أولا: أن هذه الآية تشتمل على جملتين:

الجملة الأولى: في قوله تعالى: **﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾.**

لم يقل أحد من السلف: أن الصحابة - رضي الله عنهم - بايعوا الله نفسه، بل على ظاهر الآية، وهو أن البيعة كانت من أصحاب النبي ﷺ تحت الشجرة هي لرسول الله ﷺ. يزيد هذا وضوحا:

---

(١) سورة النساء، آية ٨٠.

أولا: قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾[1]. فقد أخبر الحق جل ثناؤه انه سبحانه وتعالى اثبت لأولئك النفر وعددهم أربع عشرة مائة حين كانوا مبايعين رسول الله ﷺ على الجهاد، في سبيل الله.

ثانيا: قوله تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾[2]. فإذا ضممت هاتين الآيتين إلى بعضهما ظهر لك أولا: حقيقة البيعة، وأنها لرسول الله ﷺ وليسوا مبايعين الله نفسه.

ثانيا: إضافة البيعة في قوله: ﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾. إضافة تشريف وتكريم وتنويه بالفضل، وقوة الإيمان الحاملة لهم على مبايعة النبي ﷺ دون تردد، بايعوه على الجهاد في سبيل الله مع انهم غير مستعدين من حيث العدة لذلك.

فالله سبحانه وتعالى في الآية الثانية، وهي آية النساء، أضاف طاعة الرسول ﷺ إلى نفسه، ألا تراه قال جل ثناؤه:

﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾[3]. فظهر بهذا أن الله سبحانه وتعالى أضاف البيعة إلى نفسه مع أنها مبايعة لرسوله، لأن حقيقتها هي

(١) هامش ٣٧٩.

(٢) هامش ٣٨٣.

(٣) هامش ٣٨٣.

امتثال أمر الله عز وجل، كما أضاف في آية النساء طاعة الرسول إلى نفسه، لأن حقيقة طاعة الرسول ﷺ هي طاعة لله عز وجل فهو المبلغ عنه والآمر بأمره، والناهي بنهيه، فبيعة الرسول ﷺ هي بيعة لله، وطاعة الرسول ﷺ هي طاعة لله.

هذا إيضاح معنى الجملة الأولى.

ص/: الجملة الثانية: قوله – تعالى –:

﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ ﴾(١). وهذه أيضا على ظاهرها وحقيقتها، فإن يد الله _ تعالى _ فوق أيدي المبايعين، لأن يده من صفاته وهو سبحانه فوقهم على عرشه، فكانت يده فوق أيديهم. وهذا ظاهر اللفظ وحقيقته، وهو لتوكيد كون مبايعة النبي ﷺ مبايعة له _ عز وجل _ ولا يلزم منها أن تكون يد الله _ جل وعلا_ مباشرة لأيديهم، ألا ترى أنه يقال: السماء فوقنا مع أنها مباينة لنا بعيدة عنا.

فيد الله _عز وجل_ فوق أيدي المبايعين لرسوله ﷺ مع مباينته _ تعالى _ لخلقه وعلوه عليهم ولا يمكن لأحد أن يفهم أن المراد بقوله: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ ﴾. يد النبي ﷺ، ولا أن يدعي أن ذلك ظاهر اللفظ، لأن الله تعالى أضاف اليد إلى نفسه ووصفها بأنها فوق أيديهم،

---
(١) سورة الفتح،آية ١٠.

ويد النبي ﷺ عند مبايعة الصحابة لم تكن فوق أيديهم، بل كان يبسطها إليهم، فيمسك بأيديهم كالمصافح لهم، فيده مع أيديهم لا فوق أيديهم.

ش/: **الجملة الثانية: قوله – تعالى –: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾**. وحاصل ما ذكره المصنف – رحمه الله – يتضمن ما يأتي:

أولا: أن يد الله في هذه الآية هي يده التي من صفاته الذاتية، فالله سبحانه وتعالى فوق خلقه ويده كذلك من صفات ذاته التي لا تنفك عنه، فهو بكل صفاته الذاتية فوق خلقه كما أن ذاته فوق خلقه.

ثانيا: لا يسوغ لأحد أن يدعي أن اليد في هذه الآية هي يد النبي ﷺ لأمرين:

أولا: لأن الله أضاف اليد في قوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ إلى نفسه، ولم تذكر مطلقة فعلم أنها صفته المباينة، لصفات خلقه. فالمعنى إذن يد الله فوق أيديهم أي أن الله معهم، هذا لازمها أن الله معهم، ويده فوق أيدي هؤلاء، كما انه فوقهم وفوق غيرهم سبحانه وتعالى.

وثانيا: يجري على ألسنة الناس: السماء فوقنا، وكذلك السحاب فوق الأرض، ولا يفهم عاقل سلم عقله ونظف قلبه، وشرح الله للحق صدره، أن السماء مماسة للخلق، ولا أن السحاب مماس للأرض، بل يفهمون من ذلك الفوقية وان السماء عالية على الخلق، كذلك السحاب عالي على الأرض.

فبان بهذا أن الله سبحانه وتعالى يده فوق أيدي المبايعين، كما انـه بذاته فوقهم، ولازم هذا أن الله مؤيد لهم معين لهم، معهم بعلمه ونصرتـه وتأييده وحفظه لأولئك القوم أهل الحديبية أهل بيعة الرضوان - رضي الله عنهم- الذين بايعوا تحت الشجرة.

****

*****

قال المصنف رحمه الله تعالى

المثال الخامس عشر: قوله _ تعالى _ في الحديث القدسي: " يـــابن آدم مرضت فلن تعدني ". الحديث

وهذا الحديث رواه مسلم في باب فضل عيادة المريض من كتاب الـــبر والصلة والآداب،رقم ٤٣، ص ١٩٩٠، ترتيب:محمـــد فـــؤاد عبـــد الباقي، رواه مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رســول الله ﷺ: " إن الله تعال[1] يقول يوم القيامة: يابن آدم مرضـــــت فلـــم تعدني، قال: يارب كيف أعودك وأنت رب العلمين؟ قال: أما علمـــت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده!، أما علمت أنك لو عدته لوجدتـــــني عنده؟!، يابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال: يارب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلـــم تطعمه؟! أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي!، يـــابن آدم استسقيتك فلم تسقني! قال: يارب كيف أسقيك وأنت رب العـــلمين؟! قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه! أما إنك لو سقيته وجدت ذلـــك عندي؟! ".

والجواب: أن السلف أخذوا بهذا الحديث ولم يصرفوه عـــــن ظـــاهره بتحريف يتخبطون فيه بأهوائهم، وإنما فسروه بما فسره به المتكلم بــــه،

(١) (إن الله عز وجل ....) الحديث، رقم ٤٣ / ٢٥٦٩، فؤاد.

فقوله تعالى: " مرضت، واستطعمتك، واستسقيتك " بينه الله تعالى بنفسه حيث قال: " أما علمت أن عبدي فلانا مرض وأنه استطعمك عبدي فلان واستسقاك عبدي فلان ". وهو صريح في أن المراد به مرض عبد من عباد الله واستطعام عبد من عباد الله واستسقاء عبد من عباد الله، والذي فسره بذلك هو الله المتكلم به وهو أعلم بمراده، فإذا فسرنا المرض المضاف إلى الله، والاستطعام المضاف إليه، والاستسقاء المضاف إليه، بمرض العبد واستطعامه واستسقائه لم يكن في ذلك صرف للكلام عن ظاهره، لأن ذلك تفسير المتكلم به فهو كما لو تكلم بهذا المعنى ابتداء، وإنما أضاف الله ذلك إلى نفسه أولا للترغيب والحث، كقوله تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ ﴾[1].

وهذا الحديث من أكبر الحجج الدامغة لأهل التأويل الذين يحرفون نصوص الصفات عن ظاهرها بلا دليل من كتاب الله تعالى ولا من سنة رسوله ﷺ، وإنما يحرفونها بشبه باطلة هم فيها متناقضون مضطربون.

إذ لو كان المراد خلاف ظاهرها كما يقولون لبينه الله تعالى ورسوله، ولو كان ظاهره ممتنعا على الله كما زعموا لبينه الله ورسوله كما في هذا الحديث، ولو كان ظاهرها اللائق بالله ممتنعا على الله لكان

(١) سورة البقرة، آية ٢٤٥.

في الكتاب والسنة من وصف الله تعالى بما يمتنع عليه مالا يحصى إلا بكلفة وهذا من أكبر المحال.

ش/: وأقول: يفهم ملخصا من كلام المصنف - رحمه الله - في رد ما ادعاه المؤولون على أهل السنة انهم صرفوا هذا الحديث عن ظاهره، يتلخص منه ما يأتي:

أولا: أن السلف - رحمة الله عليهم - وهم أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم من أئمة التابعين ومن بعدهم أخذوا بظاهر هذا النص، و لم يصرفوه عنه.

ثانيا: فإن قيل على أهل السنة زورا وبهتانا انهم صرفوا هذا الحديث عن ظاهره: فالجواب إنا لم نفسر هذا الحديث من تلقاء أنفسنا، بل فسرناه بما فسره به المتكلم به وهو الله سبحانه وتعالى، والمتكلم اعرف بمراده من كلامه. يوضحه **الوجه الثالث:**

وهو أن المرض المضاف إلى الله والاستطعام المضاف إلى الله، والاستسقاء المضاف إلى الله المراد به بعض عبيده فهو مرض عبد من عبد الله، واستسقاء عبد من عباد الله، واستطعام عبد من عباد الله، هذا هو ما فسره به المتكلم به وهو الله سبحانه وتعالى.

فاندفع ولله الحمد والمنة ما ادعاه هؤلاء المبطلون أن أهل السنة صرفوا هذا الحديث الصحيح عن ظاهره.

ص/: ولنكتف بهذا القدر من الأمثلة لتكون نبراسا لغيرها، وإلا فالقاعدة عند أهل السنة والجماعة معروفة، وهي إجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وقد تقدم الكلام على هذا مستوفا في قواعد نصوص الصفات والحمد لله رب العلمين.

ش/: هذا التعقيب من المصنف - رحمه الله - يشير إلى شيئين:

الأول: انه لم يرد الحصر، وإنما أراد التمثيل لتتضح بذلك الحجة وتستبين المحجة، ويفهم المسلم أن دعوى التأويل على أهل السنة هي ضرب من الباطل لم يستند على دليل لا من كتاب ولا سنة ولا إجماع بل ولا عقل ولا فطرة.

والشيء الثاني: أن أهل السنة أخذوا بظاهر النصوص، الذي يتبادر إلى الذهن منها وفق اللسان العربي وكما عمدوا في تفسيرهم أيضا إلى بيان الشارع نفسه لما أراد، والبيان قد يكون في نفس النص وهو البيان المتصل، وقد يكون خارج النص بنص آخر وهذا هو البيان المنفصل.

خاتمـــــــة

تتضمن ما يلي:

١- الرد على الأشاعرة ومن اغتر بهم ويتضمن ثلاث أسئلة:

* الجواب عن السؤال الأول.

* الجواب عن السؤال الثاني.

* الجواب عن السؤال الثالث.

٢ ـــ حكـــم أهـــل التـــأويل ويتضمـــن:

*** الأصل في المسلم الظاهر العدالة بقاء إسلامه وبقاء عدالتـــــه حـــتى يتحقق زوال ذلك عنه بمقتضى الدليل الشرعي.**

***شروط التكفـــــير.**

*موانع التكفـــير و صـــــــــــــوره .

*قول شيخ الإسلام في المسألـــــــــــة.

******

**

خاتمة في الرد على الأشاعرة و من اغتر بهم و حكم أهل التأويل

ص/: إذا قال قائل: قد عرفنا بطلان مذهب أهل التأويل في باب الصفات، ومن المعلوم أن الأشاعرة من أهل التأويل لأكثر الصفات، فكيف يكون مذهبهم باطلا، وقد قيل إنهم يمثلون اليوم خمسة وتسعين بالمائة من المسلمين؟!

وكيف يكون باطلا وقدوتهم في ذلك أبو الحسن الأشعري؟!

وكيف يكون باطلا وفيهم فلان وفلان من العلماء المعروفين بالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم؟!

الجواب عن السؤال الأول

قلنا الجواب عن السؤال الأول: أننا لا نسلّم أن تكون نسبة الأشاعرة بهذا القدر بالنسبة لسائر فرق المسلمين، فإن هذه دعوى تحتاج إلى إثبات عن طريق الإحصاء الدقيق.

ثم لو سلمنا أنهم بهذا القدر أو أكثر فإنه لا يقتضي عصمتهم من الخطأ لأن العصمة في إجماع المسلمين لا في الأكثر.

ثم نقول: إن إجماع المسلمين قديماً ثابت على خلاف ما كان عليه أهل التأويل، فإن السلف الصالح من صدر هذه الأمة وهم الصحابة الذين هم خير القرون، والتابعون لهم بإحسان، وأئمة الهدى من بعدهم كانوا مجمعين على إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، وإجراء النصوص على ظاهرها اللائق بالله تعالى من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

وهم خير القرون بنص الرسول ﷺ وإجماعهم حجة ملزمة، لأنه مقتضى الكتاب والسنة وقد سبق نقل الإجماع عنهم في القاعدة الرابعة من قواعد نصوص الصفات.

ش/: وأقول: لما بين المصنف – رحمه الله – الأسئلة المفترضة دفاعاً عن الأشاعرة وهم من ذوي المذاهب الباطلة والفرق الضالة في صفات الرب سبحانه وتعالى، شرع – رحمه الله – في الرد على هذه الأسئلة

وجوابها. فبدء بالسؤال الأول الذي يعترض على من أبطل مذهب الأشاعرة معلل دعواه الهم أكثر الفرق وأن نسبتهم خمسة وتسعون في المائة إلى آخره، فضمن المصنف - رحمه الله - جوابه على هذا ما ملخصه في أمرين:

الأمر الأول: عدم التسليم بأن الأشاعرة بهذه النسبة التي هي خمسة وتسعون في المائة، لأن محدد هذه النسبة كان تحديده جزافاً، فمثل هذه النسبة لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق الإحصاء الدقيق، وهيهات، أقول: وهيهات لمدعي هذه النسبة في الأشاعرة أن يثبتها بالإحصاء الدقيق. بينه وبين ذلك خرط القتاد كما يقولون.

الأمر الثاني: انه ليس العبرة بهذه الكمية من الأشاعرة كما زعم الزاعم، بل العبرة في إجماع الأئمة الذي انعقد قبل الأشاعرة وقبل إمامهم الذي ينتسبون إليه، زعموا وهو أبو الحسن الأشعري - رحمه الله -.

فإن الأمة من لدن أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم من أئمة التابعين، ومن بعدهم من أهل القرون المفضلة كالأئمة الأربعة، والحمادين، والأوزاعي، والسفيانين، والليث ابن سعد، وإخوانهم من أئمة الهدى مجمعون على إثبات ما أثبته الله لنفسه من صفاته أو أثبته له رسوله ﷺ، وقد تقدم أن طريق ذلك القرآن والحديث الصحيح. فإجماع الأمة معصوم، إجماع الأمة هو الذي فيه العصمة، بخلاف مذهب الأشاعرة

والكلابية وغيرهم من المؤولة المعطلة المحرفة. فكيف ينهض مذهب فرقة من الأمة، حتى لو سلمنا أن نسبتهم اليوم خمسة وتسعون في المائة على معارضة إجماع من سلف من أهل الحق والهدى؟ هذا لا يدعيه عاقل.

الجواب عن السؤال الثاني

ص/: والجواب عن السؤال الثاني: أن أبا الحسن الأشعري وغيره من أئمة المسلمين لا يدعون لأنفسهم العصمة من الخطأ، بل لم ينالوا الإمامة في الدين إلا حين عرفوا قدر أنفسهم ونزلوها مترلتها، وكان في قلوبهم من تعظيم الكتاب والسنة ما استحقوا به أن يكونوا أئمة، قال الله - تعالى -: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[١]. وقال عن إبراهيم: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ ﴾[٢].

---

١ سورة السجدة، آية ٢٤.

٢ سورة النحل، آيتان ١٢٠، ١٢١.

ثم إن هؤلاء المتأخرين الذين ينتسبون إليه لم يقتدوا به الاقتداء الذي ينبغي أن يكونوا عليه. وذلك أن أبا الحسن كان له مراحل ثلاث في العقيدة:

المرحلة الأولى: مرحلة الاعتزال: اعتنق مذهب المعتزلة أربعين عاماً يقرره ويناظر عليه، ثم رجع عنه وصرح بتضليل المعتزلة وبالغ في الرد عليهم.

المرحلة الثانية: مرحلة بين الاعتزال المحض والسنة المحضة سلك فيها طريق أبي محمد عبد الله ابن سعيد بن كلاب. قال شيخ الإسلام ابن تيمية ص٤٧١، من المجلد السادس عشر من مجموع الفتاوى لابن القاسم: " والأشعرية وأمثاله برزخ بين السلف والجهمية أخذوا من هؤلاء كلاماً صحيحاً، ومن هؤلاء أصولاً عقلية ظنوها صحيحة وهي فاسدة ".ا.هـ.

المرحلة الثالثة: مرحلة اعتناق مذهب أهل السنة والحديث مقتدياً بالإمام أحمد – رحمه الله – كما قرره في كتابه (الإبانة عن أصول الديانة). وهو من آخر كتبه أو آخرها.

قال في مقدمته: (جاءنا – يعني النبي ﷺ – بكتاب عزيز، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، جمع فيه علم الأولين، وأكمل به الفرائض والدين فهو صراط الله المستقيم،

وحبله المتين، من تمسك به نجا، ومن خالفه ضل وغوى وفي الجهل تردى وحث الله في كتابه على التمسك بسنة رسوله ﷺ فقال عز وجل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ (١). إلى أن قال: فأمرهم بطاعة رسوله كما أمرهم بطاعته ودعاهم إلى التمسك بسنة نبيه ﷺ كما أمرهم بالعمل بكتابه، فنبذ كثير ممن غلبت شقوقم، واستحوذ عليهم الشيطان، سنن نبي الله ﷺ وراء ظهورهم، وعدلوا إلى أسلاف لهم قلدوهم بدينهم ودانوا بديانتهم، وأبطلوا سنن رسول الله ﷺ ورفضوها وأنكروها وجحدوها افتراء منهم على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين.

ثم ذكر – رحمه الله – أصولا من أصول المبتدعة، وأشار إلى بطلانها ثم قال:

فإن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والجهمية والحرورية والرافضه والمرجئة فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون؟!

قيل له: قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا ـ عز وجل ـ وسنة نبينا ﷺ وما روى عن الصحابة، والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو

---

(١) سورة الحشر، آية ٧.

عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل – نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته – قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون، لأنـه الإمـام الفـاضل والرئيس الكامل". ثم أثنى عليه بما أظهر الله على يده من الحق وذكـر ثبوت الصفات، ومسائل في القدر، والشفاعة، وبعـض السـمعيات، وقرر ذلك بالأدلة النقلية والعقلية.

والمتأخرون الذين ينتسبون إليه، أخذوا بالمرحلة الثانيـة مـن مراحل عقيدته، والتزموا طريق التأويل في عامة الصفات، ولم يثبتـوا إلا الصفات السبع المذكورة في هذا البيت:

حي عليم قدير والكلام له   إرادة وكذاك السمع والبصر

على خلاف بينهم وبين أهل السنة في كيفية إثباها.

ولما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ما قيل في شـأن الأشـعرية ص٣٥٩،من المجلد السادس من مجموع الفتاوى لابن القاسـم قـال: ومرادهم الأشعرية الذين ينفون الصفات الخبرية أما من قـال منـهم بكتاب (الإبانة) الذي صنفه الأشعري في آخر عمره ولم يظهر مقالـة تناقض ذلك فهذا يعد من أهل السنة وقال قبل ذلك ص٣١٠: وأمـا الأشعرية فعكس هؤلاء وقولهم يستلزم التعطيل، وأنه لا داخل العـالم، ولا خارجه وكلامه معنى واحد، ومعنى آية الكرسي وآيـة الدَّيـن، والتوراة، والإنجيل واحد، وهذا معلوم الفساد بالضرورة. ا.هـ.

وقال تلميذه ابن القيم في النونية ص٣١٢ من شرح الهراس، ط الإمام:

واعلم بأن طريقهم عكس الـ
طريق المستقيم لمن له عينان

إلى أن قال:

فاعجب لعميان البصائر أبصروا
كون المقلد صاحب البرهان

رأوه بالتقليد أولى من سواه
بغير ما بصر ولا برهان

وعموا عن الوحيين إذ لم يفهموا
معناهما عجباً لذي الحرمان

ش/ وأقول: ما أجاب به المصنف - رحمه الله - على السؤال الثاني الذي يزكي مذهب الأشاعرة، ويدعي تنزيههم وبراءتهم من التعطيل.

قال - رحمه الله - ما سمعتَ من الجواب السديد القائم على الأدلة القوية، ونحن نلخص ما فهمناه من هذا الجواب فيما يأتي:

أولاً: على فرض انه فيهم من ذكر من الأئمة وهم أبو الحسن الأشعري وغيره، فإنهم لم ينالوا هذه الإمامة إلا بالصبر واليقين، وما علا قدرهم إلا بالاستقامة على دين الله عز وجل، وليس بالدعاوي ولا بالأماني.

ثانياً: أن أبا الحسن الأشعري - رحمه الله - مر بثلاثة أطوار:

الطور الأول: طور الاعتزال، والذي مكث عليه أربعين عاماً يقرره ويناظر عليه، وأقول: هذا المذهب أخذه عن زوج أمه أبي علي الجبائي المعتزلي، واسمه محمد بن عبد الوهاب شيخ المعتزلة في زمانه.

الطور الثاني: فلما انكشف له ضلال المعتزلة ترك هذا المذهب واخذ مذهب الكلابية، أصحاب أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب، هذا هو الطور الأوسط وهو برزخ بين أول أمر الأشعري وآخره، فإنه جمع بين متناقضين، جمع بين شيء من الكلام الصحيح عن أهل السنة، وجمع أصول عقلية جعلتهم يثبتون من الصفات سبعاً فقط، وهي التي تضمنها البيت الذي حكاه المصنف - رحمه الله تعالى-.

الطور الثالث: **مذهب أهل السنة** وهو الطور الأخير، الذي هدى الله الإمام الذي انتحلته الاشاعرة - اعني أبا الحسن الأشعري - آخر أمره، وهو أن الله هداه إلى السنة وقرر ذلك فيما نقله الشيخ عنه - رحمه الله - في كتابه (الإبانة). ومن هنا يقال لهذا المدعي: نزاهة الأشعرية عن التعطيل الذي يسمونه تأويلاً، يقال له: أن الأشاعرة المنتسبين إلى أبي الحسن الأشعري قسمان، فإن أردت بالمنتسبين إلى الإمام من كانوا على المرحلة الوسطى، فهؤلاء مبتدعة ضلال، هم معتزلة إلا في سبع صفات لم يثبتوها بالنصوص، بل أثبتوها لأن العقل يثبتها. وان أردت بالمنتسبين إلى أبي الحسن - رحمه الله - من كانوا على آخر أمره، فهم من أهل السنة،

وبهذا يظهر أن أبا الحسن الأشعري - رحمه الله - بريء من مذهب الكلابية، وانه على ما عليه الإمام أحمد ومن مضى قبله من أهل السنة من إثبات أسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته كما جاءت بذلك النصوص من الكتاب والسنة.

ومذهب الرجل هو آخر أمره، فمن كان على آخر أطوار الأشعري ولم يظهر لنا خلاف ذلك فهو سني وليس أشعريا نافيا للصفات كلها عدا سبعا، بل هو سني قح خالص محض لأنه يثبت جميع أسماء الرب وصفاته عز وجل على الوجه اللائق به كما جاءت بذلك النصوص، ومشى عليه السلف الصالح وأجمعوا عليه.

ص/: قال الشيخ محمد أمين [١] الشنقيطي في تفسيره (أضواء البيان)[٢] ص ٣١٩،جـ ٢، على تفسير آية استواء الله تعالى على عرشه التي في سورة الأعراف: (اعلم أنه غلط في هذا خلق لا يحصى كثرة من المتأخرين فزعموا أن الظاهر المتبادر السابق إلى الفهم من معنى الاستواء واليد مثلا في الآيات القرآنية هو مشابهة صفات الحوادث وقالوا: يجب علينا أن نصرفه عن ظاهره إجماعا، قال: ولا يخفى على أدنى عاقل أن حقيقة معنى هذا القول أن الله وصف نفسه في كتابه بما ظاهره المتبادر منه السابق إلى الفهم الكفر بالله تعالى والقول

---

(١) الصواب الأمين.

(٢) جـ ٢، ص: من ٣١٩ إلى ٣٢٠، د:عالم الكتب العلمية.

فيه بما لا يليق به جل وعلا. والنبي ﷺ الذي قيل لـه: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (١). لم يبين حرفا واحدا من ذلك مع إجماع من يعتد به من العلماء على انه ﷺ لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة إليه وأحرى في العقائد لا سيما ما ظاهره المتبادر منه الكفر والضلال المبين حتى جاء هؤلاء الجهلة من المتأخرين فزعموا أن الله أطلق على نفسه الوصف بما ظاهره المتبادر منه لا يليق والنبي ﷺ كتم أن ذلك الظاهر المتبادر كفر وضلال يجب صرف اللفظ عنه وكل هذا من تلقاء أنفسهم من غير اعتماد على كتاب أو سنة، سبحانك هذا بهتان عظيم ولا يخفى أن هذا القول من أكبر الضلال ومن أعظم الإفتراء على الله جل وعلا ورسوله ﷺ.

والحق الذي لا يشك فيه أدنى عاقل أن كل وصف وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ فالظاهر المتبادر منه السابق إلى فهم من في قلبه شيء من الإيمان هو التتريه التام عن مشابهة شيء من صفات الحوادث، قال: وهل ينكر عاقل أن السابق إلى الفهم المتبادر لكل عاقل هو منافاة الخالق للمخلوق في ذاته وجميع صفاته؟ لا والله لا ينكر ذلك إلا مكابر!

(١) سورة النحل، آية ٤٤.

والجاهل المفتري الذي يزعم أن ظاهر آيات الصفات لا يليق بالله، لأنه كفر وتشبيه، إنما جر إليه ذلك تنجيس قلبه بقذر التشبيه بين الخالق والمخلوق، فأداه شؤم التشبيه إلى نفي صفات الله جل وعلا وعدم الإيمان بها مع انه جل وعلا هو الذي وصف بها نفسه، فكان هذا الجاهل مشبها أولا، ومعطلا ثانيا، فارتكب مالا يليق بالله ابتداء وانتهاء، ولو كان قلبه عارفا بالله كما ينبغي، معظما لله كما ينبغي طاهرا من أقذار التشبيه لكان المتبادر عنده السابق إلى فهمه أن وصف الله تعالى بالغ من الكمال والجلال ما يقطع أوهام علائق المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فيكون قلبه مستعدا للإيمان بصفات الكمال والجلال الثابتة لله في القران الكريم والسنة الصحيحة، مع التتريه التام عن مشابهة صفات الخلق على نحو قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1]. ا.هـ. ــ كلامه رحمه الله ــ.

ش/: وأقول: ما اعظم هذه الحجة من عالم جهبذ يعرف فضله من خبر كتابه أضواء البيان وغيره من الكتب التي نافح فيها - رحمه الله - عن مذهب السلف، وأبان أن ما عدا مذهب السلف في صفات الرب وأسمائه باطل، ويمكن تلخيص ما أورده المصنف - رحمه الله - عن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - فيما يأتي:

---

(١) سورة الشورى، آية ١١.

أولا: بطلان تشبيه صفات الرب جل وعلا وهو الخالق الموجد الذي هو الأول الذي ليس قبله شيء بصفات الحوادث.

ثانيا: أن نهاية هذا التشبيه الذي أنقدح في أذهان المبتدعة من الجهمية والمعتزلة ومن حذا حذوهم من الأشاعرة والكلابية، نهايته التعطيل.

وقد عرفنا فيما سبق أن المعطل انجر إلى التعطيل حين لم يفهم من نصوص الصفات إلا مشابهة الخالق للمخلوق، فشبه أولا، ثم عطل ثانيا.

ثالثا: يلزم على هذا المذهب الفاسد -اعني مذهب التشبيه- المذموم لوازم باطلة منها:

أولا: أن الله سبحانه وتعالى خاطب عباده بنصوص تتضمن الكفر، وهذا هو أبطل الباطل، فإن الله سبحانه وتعالى لم يترل كتابه على الناس إلا لهدايتهم به، وإخراجهم به من الظلمات إلى النور بإذنه.

ثانيا: أن رسول الله ﷺ لم يبين ولا حرفا واحدا من معاني كتاب الله عامة ولا نصوص الصفات خاصة، مع إجماع من يعتد بقوله من الأئمة على خلاف ذلك، وهم مجمعون على أن رسول الله ﷺ بين كتاب الله عز وجل بيانا شافيا، كما قال الله تعالى له: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ

﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[1]. فإن لازم قول هؤلاء أن الرسـول ﷺ لم يستجب لهذه الآية، فأصبحوا مخالفين للنص والإجماع.

ومن اللوازم الباطلة أن الناس كـانوا في جـهل يتخبطـون، لأن الرسول ﷺ لم يبين لهم كتاب الله كما أمره ربه، حتى جاء هؤلاء ففهموا هذا الفهم الفاسد، وهو التشبيه القذر مخالفين ظاهر النصوص من الكتاب والسنة، ومخالفين العقل والفطرة وإجماع الأئمة. والله اعلم.

ص/: والأشعري أبو الحسن – رحمه الله – كان في آخر عمـره على مذهب أهل السنة والحديث وهو إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييـف ولا تمثيل.

ومذهب الإنسان ما قاله أخيرا إذا صرح بحصر قوله فيه، كمـا هي الحال في أبي الحسن كما يعلم من كلامه في (الإبانة). وعلى هـذا فتمام تقليده اتباع ما كان عليه أخيرا وهو التزام مذهب أهل الحديث والسنة، لأنه المذهب الصحيح الواجب الاتباع الذي التزم بـه أبـو الحسن نفسه.

ش/: وأقول: خلاصة هذا التقرير، هو الثنـاء علـى أبي الحسـن الأشعري – رحمه الله –، وعده في أهل السنة المثبتين ما أثبته الله لنفسه أو

---

(١) سورة النحل، آية ٤٤.

أثبته له رسوله، والنافين عن الله عز وجل ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه الرسول ﷺ من الصفات.

وبيان أن أبا الحسن - رحمه الله - آخر أمره كما تقدم، هو معتقد أهل السنة والجماعة لأن أبا الحسن - رحمه الله - حصر قوله في اتباع أهل السنة، وهذا الحصر منه - رحمه الله - اعني أبا الحسن الأشعري - مقتضاه انه مخالف لما كان عليه في أول أمره و ثانيه من مراحل الضلال، وعلى هذا فيقال لمدعي الانتساب إلى أبي الحسن الأشعري ومدع انتحاله واتخاذه - إماما - أن يقول بشجاعة ما قاله أبو الحسن الأشعري ويقرره ويمشي عليه كما مشى عليه إمامه، وإلا فهو كاذب الدعوى منحرف ضال مضل، أو جاهل لا يعرف أبا الحسن الأشعري، ولا يعرف ما انتهى إليه من صواب القول وسداد المعتقد.

****

****

**

الجواب عن السؤال الثالث

ص/: والجواب عن السؤال الثالث من وجهين:

الأول: أن الحق لا يوزن بالرجال، وإنما يوزن الرجال بالحق، هذا هو الميزان الصحيح، وإن كان لمقام الرجال ومراتبهم أثـــر في قبـــول أقوالهم كما نقبل خبر العدل ونتوقف في خبر الفاسق، لكن ليس هـــذا هو الميزان في كل حال، فإن الإنسان بشر يفوته من كمال العلم وقـــوة الفهم ما يفوته فقد يكون الرجل دينا وذا خلق، ولكن يكون نـــاقص العلم أو ضعيف الفهم فيفوته من الصواب بقدر ما حصـــل لـــه مـــن النقص والضعف، أو يكون قد نشأ على طريق معين أو مذهب معين لا يكاد يعرف غيره فيظن أن الصواب منحصر فيه ونحو ذلك.

ش/: وأقول: يمكن أن يستفاد من هذا التقرير الذي يتضمنه الوجـه الأول من جواب المصنف – رحمه الله– على السؤال الثالث فيما يأتي:

أولا: القاعدة المشهورة عند أهل السنة (انه لا يوزن الحق بالرجال وإنما يوزن الرجال بالحق) ويعبرون عن هذه القاعدة أحيانا بقولهـــم: لا يعرف الحق بالرجال وإنما يعرف الرجال بالحق، والمعـــنى علـــى كلتـــا العبارتين:

أن الحكم بالحق على الرجال، فالرجل إن كان مصيبا حكم له بأنه محـــق، وان لم يصب حكم بأنه مخطئ، فلا بد من الإصابة. هذا أمر.

وأمر ثاني: أن أهل السنة لا ينحازون إلى الرجال فيوالون ويعـادون فيهم، بل انحيازهم هو إلى الحق، فمن كان على الحق ظاهرا وباطنا فـــهو منهم له مالهم وعليه ما عليهم، وان كان ليس على الحق في أقواله وأعماله

فإنهم يصفونه بأنه ليس على الحق، وان نهجه باطل، وفعله باطل، وقوله باطل.

وأذكر هاهنا كلمة لشيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله -يقول: (ومن نصب للناس رجل يوالي فيه ويعادي فيه فهو من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا).

ثانيا: لا يشك عاقل أن لقبول الحق رجال يؤثرون في الناس، لا لذاتهم لكن لمشيهم على الحق، وسلوكهم سبيل الصدق، ولهذا فإنا نقبل خبر العدل، ونرد خبر الفاسق، كما قال الله تعالى: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ** ﴾[1]. فهذه الآية من حيث منطوقها قاضية بالتبين وهو التثبت حين يأتي الخبر عن طريق فاسق.

ومن حيث مفهومها، فإن خبر العدل لا يتثبت فيه، بل يقبل، والتحقيق أنها دليل على قبول خبر الواحد العدل، وقد استفاضت الأدلة من السنة على ذلك.

ثالثا: الميزان الذي يوزن به أقوال الناس وأعمالهم إصابة السنة، - وبعبارة أوضح - يزن أهل السنة أقوال الناس وأعمالهم بميزانين، وذانك

---

(١) سورة الحجرات، آية ٦.

الميزانان هما النص والإجماع. فمن كان موافقا لنص أو إجماع قبل منه ومن خالف نصا أو إجماعا رد عليه كائنا من كان، قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- في كتابه النفيس زاد المعاد جـ١ صـ٣٨(فمن أنشأ أقوالا وأسس قواعد بحسب فهمه وتأويله لم يجب على الأمة إتباعها ولا التحاكم إليها حتى تعرض على ما جاء به الرسول فإن طابقته ووافقته وشهد لها بالصحة، قبلت حينئذ، وإن خالفته وجب ردها واطراحها فإن لم يتبين فيها أحد الأمرين، جعلت موقوفة وكان أحسن أحوالها أن يجوز الحكم والإفتاء بها وتركه وأما أنه يجب ويتعين فكلا.ا.هـ.

ص/: الثاني: أننا إذا قابلنا الرجال الذين على طريق الأشاعرة بالرجال الذين هم على طريق السلف وجدنا في هذه الطريق من هم أجل وأعظم وأهدى وأقوم من الذين على طريق الأشاعرة، فالأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبوعة ليسوا على طريق الأشاعرة.

وإذا ارتقيت إلى من فوقهم من التابعين لم تجدهم على طريق الأشاعرة. وإذا علوت إلى عصر الصحابة والخلفاء الأربعة الراشدين لم تجد فيهم من حذا حذو الأشاعرة في أسماء الله تعالى وصفاته وغيرهما مما خرج به الأشاعرة عن طريق السلف.

ونحن لا ننكر أن لبعض العلماء المنتسبين إلى الأشعري قدم صدق في الإسلام والذب عنه، والعناية بكتاب الله تعالى وبسنة رسوله ﷺ رواية ودراية، والحرص على نفع المسلمين وهدايتهم، ولكن هذا لا

يستلزم عصمتهم من الخطأ فيما أخطأوا فيه، ولا قبول قولهم في كل ما قالوه، ولا يمنع من بيان خطئهم ورده لما في ذلك من بيان الحق وهداية الخلق.

ولا ننكر أيضا أن لبعضهم قصدا حسنا فيما ذهب إليه وخفي عليه الحق فيه، ولكن لا يكفي لقبول القول حسن قصد قائله، بل لابد أن يكون موافقا لشريعة الله عز وجل فإن كان مخالفا لها وجب رده على قائله كائنا من كان، لقول النبي ﷺ: " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد ".

ثم إن كان قائله معروفا بالنصيحة والصدق في طلب الحق، اعتذر عنه في هذه المخالفة وإلا عومل بما يستحقه بسوء قصده ومخالفته.

ش/: وأقول: هذا هو ما تضمنه الوجه الثاني من وجهي الجواب اللذين أجاب بهما المصنف - رحمه الله - على السؤال الثالث، ويتحصل من هذا الجواب الشافي السديد أمورا هامة لا يستغني عنها طالب علم، ولا داعية إلى الله على بصيرة، بل وأظن انه لا يستغني عنها من أراد الرسوخ في فقه المنهج السلفي الصحيح والتعامل مع المخالفين لهذا المنهج، ومن تلك الأمور التي تستخلص من تقرير المصنف - رحمه الله - في هذا الوجه ما يأتي:

أولا: حينما نقابل من هم على طريق الأشاعرة بالآخرين من أئمة الإسلام الذين ليسوا هم على طريق الأشاعرة، نجد أن في طريق أئمة الهدى وأئمة السنة مثل الأئمة الأربعة والحمادين، والأوزاعي والسفيانين، والليث بن سعد، وأبي عبيد القاسم بن سلام، وشعبة بن الحجاج، والبخاري، ومسلم، وأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، المعروف في عهده بإمام الأئمة، لوجدناهم ليسوا على طريق الأشاعرة، وإذا ارتقيت فوق هؤلاء إلى عهد التابعين وأهل الإمامة وجلالة القدر و الفضل مثل السعيدين (سعيد بن جبير) و (سعيد بن المسيب)، وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، والشعبي عامر بن شراحيل، وغيرهم كذلك هم ليسوا على طريق الأشاعرة. وهم أسبق الناس إلى فضل التمسك بالسنة من غيرهم، لأهم اخذوا عن من شاهدوا التتريل وتلقوا من فم رسول الله ﷺ - واعني به أصحابه - وهؤلاء ليسوا على طريق الأشاعرة.

وأولئك الذين ذكرنا من تلك العصور حتى انتهينا بأصحاب النبي ﷺ مشهود لهم بالإمامة وجلالة القدر والسابقة في الفضل، على أهل الإسلام وليسوا هم على طريق الأشاعرة.

ثانيا: بين من ينتسب إلى الأشعري رجال لهم قدم صدق في الفقه والعلم والفضل والنصيحة للأمة، ومنهم من هو معروف بالاجتهاد. ولكن هذا المسلك لا يستلزم قبول كل ما قالوه بل لابد من رد الخطأ حتى يرجع

الناس إلى السنة، فالسنة هي المعصومة، العصمة في الوحي ولا يجوز أن تدعى عصمة في أحد من الخلق بعد رسول الله ﷺ، نعم العصمة ثابتة للأمة بأجمعها، فقد جاء في الحديث الصحيح [(١)] من غير وجه عن النبي ﷺ أن هذه الأمة لا تجتمع على ضلال، لكن أفراد أو فرق من هذه الأمة فليست لها عصمة لا الأشاعرة ولا غيرهم.

ثالثا: النظر إلى المخالفة والمخالف، فمخالفة الحق الثابت نصا أو إجماعا مردودة على قائلها كائنا من كان، لما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة – رضي الله عنها-: " من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد ". وفي المتفق عليه من حديثها -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال: " من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد ". والرد معناه المردود، وما كان مردودا فكأنه لم يوجد والرد إذا أضيف إلى العبادة اقتضى فسادها وعدم الاعتداد بها، وإذا أضيف إلى المعاملة فإنه يقتضي إلغاؤها وعدم نفوذها. كما ينظر إلى المخالف، فالمخالف إما أن يكون من المعروفين بالتمسك بالسنة والدعوة إليها وتقرير الحق للأمة والنصيحة لهم به،فهذا ترد مخالفته وهو مأجور على اجتهاده إن شاء الله تعالى وخطأه مغفور،

---

(١) عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله لا يجمع أمتي ــ أو قال: أمة محمد على ضلالة، و يد الله على الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار) ؛ رواه الترمذي، ج٢، ص ٢٣٢، ك: الفتن، ب: لزوم الجماعة رقم ١٧٥٩.

كما في الحديث الصحيح " إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجـــران، وإذا اجتهد فأخطأ فله اجر واحد " [١]. أما إن كان المخالف ليس من أهـــل السنة، بل هو من أهل الأهواء ومعروف بذلك فإنه مع رد مخالفته يعـــامل بما يستحق من التحذير منه والتشهير به وزجره والإغلاظ عليه، وهكـــذا سلك أهل السنة مع المخالفين لهم من أهل الأهواء، فإذا كانت لهم الصولة والجولة - اعني أهل السنة - فإنهم يهينون المبتدعة ويغلظون لهم القـــول ويشددون النكير عليهم ويحذرون منهم، واذكر هنا مقولتين من تحذيـات السلف:

قال مصعب بن سعد - رحمه الله -: (لا تجالس مفتونا فإنه لن يخطئـــك منه إحدى اثنتين: إما أن يفتنك فتتبعه، وإما أن يؤذيك قبل أن تفارقه).

وقال المفضل بن مهلهل - رحمه الله -: (لو كان صاحب البدعـــة يحدثك في أول مجلسه من ببدعته لحذرته ونفرت منه، ولكنه يحدثـــك في بدو مجلسه بالسنة، ثم يدخل عليك بدعته فلعلها تلزم قلبك فمتى تفـــارق قلبك).

---

(١) رواه البخاري،: الاعتصام بالكتاب و السنة، ب: أجر الحاكم إذا اجتهد فأصـــاب أو أخطأ، رقم: ٦٩١٩، عن عمرو بن العاص، و لفظه: (أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: " إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران , إذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجـر "). ومسلم، ك: الأقضية، ب: بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطـــأ، رقـــم: ١٧١٦.

وقد تواتر النقل عن أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم بـــالرد علـــى المبتدعة والنكير الشديد على أهل الأهواء، بل الرد على مخالفات ليســـت بدعية. ومن ذلكم ما رواه اللالكائي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: " والله ما أظن أن أحدا احب إلى الشيطان هلاكا مني اليوم، فقيـــل: وكيف؟ قال: تحدث البدعة في المشرق أو المغرب فيحملها الرجل إلي فإذا انتهت إلي قمعتها بالسنة فترد عليه". وروى أحمد وأبو داوود والبغوي في شرح السنة عن عبادة بن الصامت – رضي الله عنه - " قيل له: يقول أبو محمد الوتر واجب قال: كذب أبو محمد، سمعت رسول الله ﷺ يقـــول: **خمس صلوات كتبهن الله على عباده في اليوم والليلة** " [1] الحديث.وبهـذا علم انه لا ينتظر في الرد على المخالفين نصيحتهم، - وبعبارة لعلها أوضح - لا يشترط نصح المخالف بل ترد المخالفة حتى تصفو الســـنة.أمـــا إذا كانت المخالفة في نفس مخالفها، لم تنتشر و لم يقررها فهذا الخطب فيـــه يسير، هذا ينصح في نفسه إن أمكن لأن مخالفته في نفسه.

---

(١) صحيح أبي داود، للألباني رحمه الله ــ تعالى ــ ج١، ب: في مـــن لم يوتـــر، رقـــم: ١٢٥٨، و لفظه: عن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقـــول: " **خمـــس صلوات كتبهن الله على العباد، فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقـــهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، و من لم يأت بهن فليس له عند الله عـــهد: إن شاء عذبه / إن شاء أدخله الجنة** ".

أما من كانت مخالفته ذائعة ومنتشرة، ومن كان داعية إلى البدعة فإن السلف، يردون عليهم مخالفتهم مع التحذير منهم حتى يكون الناس منهم على بينة.

واذكر حكاية طريفة، ذكرها الذهبي في ترجمة عمرو بن عبيد في الميزان- وعمرو بن عبيد هذا معتزلي قدري - والحكاية هي عن عاصم الأحول - رحمه الله - قال: (كنت في مجلس قتادة فذكر عمرو بن عبيد فوقع فيه، قلت: لا أرى بعض أهل العلم يقع في بعض! فقال قتادة: أما تدري يا أحول أن الرجل إذا ابتدع بدعة يجب أن يذكر ليعلم؟!). وبهذا يعلم أن الموازنة التي يقررها الحركيون ويستدلون لها بأدلة ليست هي في كفتهم، ولكنهم يحرفون النصوص باطل - وسيصدر فيها إن شاء الله بيان خاص يبين بطلانها بالنص والإجماع - والله المستعان وعليه التكلان.

قال المصنف رحمه الله تعالى

ص/: فإن قال قائل: هل تكفرون أهل التأويل أو تفسقوهم ؟

قلنا الحكم بالتكفير أو التفسيق ليس إلينا بل هو إلى الله تعالى ورسوله ﷺ فهو من الأحكام الشرعية التي مردها إلى الكتاب والسنة، فيجب التثبت فيه غاية التثبت فلا يكفر ولا يفسق إلا من دل الكتاب والسنة على كفره أو فسقه.

والأصل في المسلم الظاهر العدالة بقاء إسلامه وبقاء عدالته حتى يتحقق زوال ذلك عنه بمقتضى الدليل الشرعي، ولا يجوز التساهل في تكفيره أو تفسيقه لأن في ذلك محذورين عظيمين:

أحدهما: افتراء الكذب على الله تعالى في الحكم، وعلى المحكوم عليه في الوصف الذي نبزه به.

الثاني: الوقوع فيما نبز به أخاه إن كان سالماً منه، ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – أن النبي ﷺ قال: " إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما " (١). وفي رواية: " إن كان كما قال

(١) أخرجه مسلم، ك: الإيمان، ب: بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر، رقم: ٦٠، فؤاد.

وإلا رجعت عليه ". وفيه عن أبي ذر – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ: "ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليـــس كذلـك إلا حـار عليه"(١).

ش/: وأقول: يتضمن تقرير المصنف – رحمه الله – في الجواب على سؤال من سأل، هل تكفرون أهل التأويل.. الخ؟ عدة أمور نلخصها فيمـا يأتي:

أولاً: أن الحكم بالتكفير أو التفسيق، وأقول: كذلك التبديع، ليـس مرده إلى البشر بل مرده إلى الله والى رسوله ﷺ، وهذا يعني انه من أحكام الوعيد التي يجب تلقيها من نصوص الكتاب والسنة.

ثانياً: لا يكفر ولا يفسق إلا من قام الدليل عليه بذلك، فمـــن دل الشرع على فسقه أو كفره حُكم عليه بمقتضى دلالة الشرع.

ثالثاً: بيان قاعدة شرعية وهي: أن المسلم العدِل ظـاهر الإســلام وظاهر العدالة الأصل فيه البقاء على ذلك، وان شئت فقل: الأصـــل في المسلم الذي هو ظاهر الإسلام وظاهر العدالة بقاءه على إسلامه وعلـــى عدالته حتى يزول عنه ذلك بمقتضى الدليل الشرعي. ويعبر عنـــها شـيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – وغيره، من ثبت له عقد الإسلام يقيناً فلا يزول عنه إلا بيقين.

---

(١) أخرجه مسلم، ك: الإيمان، ب: بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر، رقـم: ٦١، فؤاد.

وأما المخالفون من المعاصرين لنا اليوم من أصحـــاب الانتمـــاءات الحزبية المقيتة، فلا يستوفون هذه القاعدة كما يجب بل يقررون أن الأصل في المسلم العدالة، وهذا باطل وليس بصحيح من عدة وجوه منها:

كتب الجرح والتعديل التي لا تحصى، فلو كان الأمر كما يزعمـون ما احتيج إلى هذه الكتب، وفيها الحكم على رجال بسقوطهم من الرواية.

ومنها انه لو كان الأمر كما يقررون ما احتاج القاضي إلى تزكيـــة الشهود، إلى غير ذلك من الأدلة المستفيضة على رد هذه القاعدة المبتورة.

رابعاً: ليس من السهولة بمكان أن يُكَفّر المسلم أو يُفَسّق بل يجـــب عدم التساهل في ذلك، لأن التساهل في الحكم على مســـلم بـــالكفر أو الفسق يترتب عليه محذوران خطيران، وأقول: مهلكان:

أحدهما: الكذب على الله وعلى رسوله وكذلك المحكوم عليه.

وثانيهما: وقوع هذا المفسق أو المكفر فيما نبز به أخاه من الكفـــر أو الفسق إن كان كاذباً، وفي الأحاديث التي أوردها المصنف – رحمه الله – أدلة على ذلك شيئان:

أحدهما: شدة الوعيد على المتسرعين في الحكم علـــى المســـلمين بالكفر أو الفسق بغير بينة، وان جريرة ذلك راجعة إليهم.

وثانيهما: أن من قام الدليل على فسقه أو كفره، فإن الحكم عليـــه بذلك سائغ ولا محذور فيه، ألا تراه في بعض النصوص قال وليس كذلك،

ومفهومه إن كان كذلك فإنه يستحق الحكم عليه بما جنت يـداه وبما اكتسب.

ص/: وعلى هذا فيجب قبل الحكم على المسلم بكفر أو فسق أن ينظر في أمرين:

أحدهما: دلالة الكتاب أو السنة على أن هذا القول أو الفعل موجب للكفر أو الفسق.

الثاني: انطباق هذا الحكم على القائل المعين أو الفاعل المعين بحيث تتم شروط التكفير أو التفسيق في حقه وتنتفي الموانع.

ش/: وأقول: هذه قاعدة شرعية جليلة، واصل من أصول الحكم على المخالفين عظيم، بل هو اصل من أصول الدين. وإيضاح ذلك فيما يأتي:

أولاً: النظر إلى المخالفة، ماذا تستوجب من حكم؟ هل تستوجب الكفر، هل يصلح أن يحكم عليها بالكفر أو الفسق أو البدعة أو مجرد خطيئة، فلا يتجاوز فيها دلالة الشرع.

وإذا نظرنا وجدنا أن الشرع حكم على بعض المخالفات بالكفر كالذبح لغير الله والنذر لغير الله ودعاء غير الله، فهذه محكوم عليها شرعاً بأنها كفر، لأن أدلة الشرع قامت عليها بذلك.

كما أن الشرع حكم على مخالفات أخرى بالفسق و لم يحكم عليها بالكفر، مثل شُرب المسكر، والزنا، والسرقة، فهذه مفسقات بدلالة

الشرع وليست مكفرات بإجماع من يعتد بقوله إلا إذا استحلها فاعلها، فمن استحلها كفر.

فمن حكم على مثل الطائفة الأولى من الأمثلة بأنها مجرد معاصي مفسقات جار في الحكم وافترى على الشرع، ومن حكم على مثل الطائفة الثانية بأنها مكفرات بدون قيد الاستحلال فقد خرج عن الصواب، وكذب على الشرع. فإذاً دلالة الشرع هو الأمرالأول - دلالة الشرع على المخالفة كيف كانت؟

ثانياً: النظر إلى المخالف، متى يحكم عليه بما توجبه مخالفته؟ وان شئت فقل: الانطباق، انطباق الحكم، نحن حكمنا بمقتضى الشرع على أعمالٍ بأنها كفر، وأخرى بأنها فسق مفسقات، والسؤال هاهنا، هذا المرتكب المعين متى يحكم عليه بما توجبه مخالفته، متى ينطبق عليه الحكم بأنه كافر أو فاسق؟ هذا يستدعي منا أمرين:

الأمر الأول: دلالة الشرع كما تقدم.

والثاني: انطباق الوصف عليه هو، وكيف يتحقق لنا انطباق الوصف على أن ذلك المعين فلان أو علان كافرٌ أو فاسق؟

فالجواب: باجتماع الشروط وانتفاء الموانع، فإذا اجتمعت في حقه الشروط - اعني ذلك المعين المرتكب المخالفة - وانتفت في حقه الموانع فإنه يحكم عليه بما توجبه مخالفته ولا كرامة عين.

وما أجمل ما قاله ابن سعدي[١] – رحمه الله – في منظومة القواعد الفقهية:

ولا يتم الحكم حـــتى تجتمـــع   كل الشروط والموانع ترتفـــع

****

****

**

(١) القواعد و الأصول الجامعة، للسعدي، القاعدة الثامنة: الأحكام الأصولية و الفرعية لا تتـــم إلا بأمرين: وجود الشروط و انتفاء الموانع ؛ ص ٣٠، دار الوطن.

شروط التكفير

قال المصنف رحمه الله تعالى

ص/: ومن أهم الشروط أن يكون عالماً بمخالفته التي أوجبت أن يكون كافراً أو فاسقاً، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾(١). وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾(٢).

ولهذا قال أهل العلم: لا يكفر جاحد الفرائض إذا كان حديث عهد بإسلام حتى يبين له.

ش/: وأقول: اعلم أيها المسلم الحازم في أمره الناصح لنفسه ولعباد الله، أن الحكم بالتكفير أو التفسيق له شروط، وقد تقدم قبل أنه لا يحكم على أحد من المسلمين بكفر أو فسق حتى تجتمع في حقه الشروط وتنتفي

---

(١) سورة النساء، آية ١١٥.

(٢) سورة التوبة، آيتان: ١١٥، ١١٦.

الموانع، ونحن ذاكرون لك بعض الشروط، وفي انتفائها حقيقة هو موانع.

فمن الشروط الواجب توفرها حتى يحكم على مرتكب المكفر بالكفر وعلى مرتكب المفسق بالفسق:

أولاً: التكليف، والتكليف شاملٌ للبلوغ والعقل وعليه فإنه لا يحكم على صغيرٍ ولا مجنون بكفر أو فسق.

ثانياً: العلم بما توجبه مخالفته، ومن أدلة ذلك قوله تعالى ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[1].

فالحق جلَّ ثناؤه توعد المشاق لله ولرسوله، المتبع غير سبيل المؤمنين بعقوبتين:

إحداهما: أن يوليه ما تولى.

وثانيتهما: أنه يصلى جهنم وساءت مصيراً.

ولكن ليس ذلك على سبيل الإطلاق، بل بقيد تبين الهدى ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾، ومفهوم ذلك، انه لو حصلت منه مخالفة ومشاقة لله ولرسوله وعدم اتباع لسبيل المؤمنين دون معرفة الصواب في ذلك فإن هاتين العقوبتين غير

---

(١) سورة النساء، آية ١١٥.

منصبتين عليه. و لهذا قال بعض أهل العلم: لا يكفر جاحد الفرائض إذا كان إسلامه حديثاً، أو نشأ في بادية بعيدة حتى يتبين له.

وأقول: ما أكثر الذين ينشئون بين أهل الإسلام على الخرافة والتصوّف وتعظيم القبور، ورثوا ذلك عن آبائهم وأجدادهم ومشائخ الضلال فظنوا أنها من دين الله، وما أكثر الذين يسلمون من أوروبا وأمريكا وأفريقيا وآسيا على أيدي دعاة ضلاّل، ويعلمونهم تعظيم القبور والطواف بها وتعظيم الأولياء والاستغاثة بهم، ولا يظنون ديناً حقاً غير ما تعلّموا، فلا بد من بيان الحق لهم حتى تقوم عليهم الحجة.

الشرط الثالث: التذكر، أن يخالف ذاكراً لا ناسياً ولا مخطئاً.

الرابع: العمد، أن يتعمد هذه المخالفة إصرارا وعناداً.

الشرط الخامس: الاختيار، أن يفعل ذلك مختاراً، وهذا الشرط يخرج الإكراه كما في آية النحل التي استدل بها المصنف - رحمه الله - كما سيأتي،(إلا من أُكره وقلبه مطمئنٌ بالإيمان)، فمن فعل المعصية كفرية كانت أو فسقية أو بدعية بإكراه لا يمكنه التخلص منه، فإنه لا يحكم عليه بمقتضى هذه المخالفة بل هو معذور، والله أعلم.

الشرط السادس: ألا يغلب على عقله غالب، كشدة فرحٍ أو حزنٍ، والحديث الذي في صحيح مسلم دليلٌ صريحٌ واضح، فإن صاحب الراحلة قال كلمة كفر باتفاق المسلمين، قال من شدة فرحه: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، ولا يشك أحد في أن هذه الكلمة كلمة كفر وهي

مخرجةٌ عن الملة، لكن هل كفر قائلها؟ الجواب: لا، لأنه قال ما قال بغـــير إرادة منه.

أما لو قالها مريداً لها ذاكراً عامداً فإنه يرتد بعد إسلامه.

****

******

**

قال المصنف رحمه الله تعالى

ومن الموانع أن يقع ما يوجب الكفر أو الفسق بغير إرادة منه ولذلك صور:

١- منها: أن يكره على ذلك فيفعله لداعي الإكراه لا اطمئناناً به، فلا يكفر حينئذ، لقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرًا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١).

٢- ومنها: أن يغلق عليه فكره، فلا يدري ما يقول لشدة فرح أو حزن أو خوف أو نحو ذلك.

ودليله ما ثبت في صحيح مسلم عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال، قال رسول الله ﷺ: " لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها،

---

(١) سورة لنحل،١٠٦.

ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح " [١].

ش/: وهذا قد سبق بيانه في الشرطين الخامس و السادس.

****

****

**

(١) أخرجه مسلم، ك: التوبة، ب: الحض على التوبة و الفرح، رقم: ٢٧٤٧، فؤاد.

قال المصنف رحمه الله تعالى

قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله، ص ١٨٠،ج١٢ من مجموع الفتاوى لابن القاسم: (وأما التكفير فالصواب أن من اجتهد من أمـــة محمد ﷺ وقصد الحق فأخطأ لم يكفر بل يغفر له خطؤه ومن تبين لـــه ماجاء به الرسول فشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى واتبع غـــير سبيل المؤمنين فهو كافر، ومن اتبع هواه وقصر في طلب الحق وتكلـــم بلا علم فهو عاص مذنب ثم قد يكون فاسقاً، وقد يكون له حســـنات ترجح على سيئاته).ا.هـــ.

ش/: وأقول: في هذا المنقول عن شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمـــه الله - ثلاثة أمور:

الأمر الأول: أن من اجتهد في طلب الحق وأخطأ فإنه مغفورٌ لـــه خطأه، وهو مأجورٌ على اجتهاده. والله سبحانه وتعالى قد اخبر في كتابـه انه لا يؤاخذ على الخطأ والنسيان، ففي صحيح مسلم عن أبي هريـــرة - رضي الله عنه - انه لما نزل قولـــه تعـــالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا

﴿وُسْعَهَا﴾[١]، قال: نعم، قال: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[٢]، قال: نعم، - وفي رواية قد فعلت -. فهذا دليل على أن من كان مخطئاً أو ناسياً فإنه لا مؤاخذة عليه.

وأما أجر من اجتهد فأخطأ، فدليله الحديث الصحيح " إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله اجر واحد ".

الأمر الثاني: في حق من قصر ولم يستفرغ وسعه في الاجتهاد بحثاً عن الحق مع قدرته عليه، فهذا آثم.

الأمر الثالث: من شاق الرسول ﷺ مستبيناً عامداً عالماً بأن مخالفته تستوجب عليه الوعيد، فهذا كافر ولا بد من قيد أن تكون المخالفة كفرية، أما الفسقية فلا بد من قيد الاستحلال.

وثمة أمرا رابع: وهو في شأن من اتبع الهوى غير معتقدٍ حِلّ ذلك فهذا فاسق، أو يقال: هذا مذنب، ثم قد يكون فاسقاً وقد يكون عاصياً وقد يكون له حسنات ترجح على سيئاته - هذا في الآخرة فيما بينه وبين الله - أما في الدنيا فإنه يعاقب، على قدر خطيئته إذا كان ذلك يضر بالناس في دينهم أو دنياهم.

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٨٦.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٨٦.

وقد قرر هذا – اعني عقوبة المخالف الذي يضر الناس في دينـهم أو دنياهم – قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيميه – رحمه الله – في الجزء العاشر من مجموع الفتاوى وفي الصفحة الثالثة والسبعين بعد ثلاثمائة فليرجع إليـه من شاء.

ص/: وقال في ص٢٢٩، ج٣ من المجموع المذكور في كلام لـه: (هذا مع أني دائماً ومن جالسني يعلم ذلك مني أني من أعظم النـــاس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير، وتفسيق، ومعصية، إلا إذا علم انــه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة، وفاسـقاً أخرى، وعاصياً أخرى، وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأهـــا، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية. ومـــا زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحد منهم علـى أحد لا بكفر، ولا بفسق، ولا بمعصية.

ش/: وأقول: وفي هذا النقل أمور عدة يجب على كل من تصدر ميـدان الدعوة إلى الله قاصداً للإصلاح مستعملاً البصيرة، متشوّقاً إلى اتبـــاع سـبيل المؤمنين أن يعيها ويتفطن لها، ومن تلك الأمور:

أولاً: انه لا ينسب معيّن ولا يحكم عليه بأنه كـــافرٌ أو فاســقٌ أو عاصي، حتى تقوم عليه الحجة، ومن الحجة في هذا قول الحق جل ثنـاؤه:

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[1]. وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾[2].

فإذا تأملت هاتين الآيتين تأمل إنصافٍ وبصيرة وقصدٍ للحق، ظهر لك جلياً أن الوعيد فيهما منصبٌ على من كان مستبيناً حال مخالفته، ومفهومه انه لا وعيد على من لم يكن متبيناً.

ثانياً: حرصه - رحمه الله - على انه لا يكفر أحداً أو يفسقه حتى تقوم عليه الحجة الرسالية، وهذا هو نهج السلف الصالح.

الأمر الثالث: التأكيد على انه يعذر من وقع في المخالفة خطئاً أو نسياناً وانه لا شيء عليه- وقد قدمنا فيما سبق الأدلة على ذلك- فهل يعي هذا المتسرعون الذين يكفرون جزافاً.

ص/: وذكر أمثلة.. ثم قال: وكنت أبين أن ما نقل عن السلف والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا فهو أيضاً حق، لكن يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين، إلى أن قال: والتكفير هو من الوعيد، فإنه وإن كان القول تكذيباً لما قاله الرسول ﷺ، لكن قد يكون الرجل

---

(١) سورة التوبة، آيتان ١١٥-١١٦.

(٢) سورة محمد، آية ٢٥.

حديث عهد بإسلام أو نشأ ببادية بعيدة، ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص أو سمعها ولم تثبت عنده أو عارضها عنده معارض آخر، أوجب تأويلها وإن كان مخطئاً.

وكنت دائماً أذكر الحديث الذي في الصحيحين في الرجل الذي قال: " إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم ذرّوني في اليم فوالله لئن قدر الله عليّ ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً من العالمين. ففعلوا به ذلك فقال الله: ما حملك على ما فعلت؟ قال: خشيتك، فغفر له "[١].

فهذا رجل شك في قدرة الله وفي إعادته إذا ذرّي بل اعتقد أنه لا يعاد، وهذا كفر باتفاق المسلمين، لكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك، وكان مؤمناً يخاف الله أن يعاقبه فغفر له بذلك.

والمتأول من أهل الاجتهاد الحريص على متابعة الرسول ﷺ أولى بالمغفرة من مثل هذا " ا.هـ.

ش/: وأقول: يظهر في هذا الذي نقله المصنف -رحمه الله- عن شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – ما يجب على ذوي البصائر من الدعاة إلى الله خاصة ومن أهل العلم عامة، أن يتفطنوا له وان يفهموه حق

(١) البخاري باب ٥٢ حديث ٣٢٩٢

الفهم وأن يستعملوه حال الحكم فإنه ليس من السهولة بمكان الحكم على مسلم بكفر أو فسق أو معصية أو بدعة، فمن الأمور الجليلة والقواعد العظيمة التي تضمنها هذا النقل:

أولاً: التفريق في الحكم بالكفر أو الفسق أو البدعة بين الإطلاق والتعميم، وبين التعيين.

فإن السلف يطلقون ما دام الدليل قد قام على أن المخالفات من أمر كذا حكمها كذا، فمثلاً يقال: من ذبح لغير الله فقد أشرك، شركاً أكبر، ومن زنى أو سرق أو شرب مسكراً فقد فسق، وهكذا.

أما الحكم على المعين فإنه لابد فيه كما سبق من اجتماع الشروط وانتفاء الموانع. وبهذا يظهر انه يجب التفريق بين القول والقائل، وكذا الفعل والفاعل، فكم من قولٍ وكم من فعلٍ هو كفر، ومع هذا لا يحكم على من صدر منه ذلك القول أو الفعل بأنه كافرلأسباب:

منها جهله، ومن أدلة ذلك الحديث الذي حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وهو في الصحيح قصة الرجل الذي كان مسرفاً على نفسه فلما أحس بالموت أوصى بنيه إذا مات أن يحرقوه ويسحقوه ثم يذروه، وقال: والله لئن قدِر الله عليّ ليعذبني عذاباً لم يعذبه أحداً من العالمين، فهذا الرجل مؤمنٌ بالله، يخاف الله، وهو مؤمنٌ بالبعث أيضاً، لكنه يظن انه إذا فعل هذا الفعل يفلت من عقاب الله، لم يكن عالماً بأن الله على كل شيء قدير، وان الله يبعثه كيف كان، وأين كان بعد موته، فأحياه الله سبحانه وتعالى، جمعه

الله عز وجل وأحياه - ويظهر أن ذلك في البرزخ - فلما سأله ربه: ما الذي حمله على هذا؟ قال: خشيتك يارب، فغفر الله له. أما لو كانت هذه المقولة وهذه الفعلة صادرة عمن يعتقد أن البعث والحساب والجزاء واقعة على العبد وانه مدركته قدرة الله عز وجل كيف ماكان سوف يحييه ويبعثه ويجازيه ويحاسبه، لو صدرت ممن هذا حاله لكان كافراً، لأن هذه الفعلة وهذه المقولة كفرٌ باتفاق المسلمين.

الأمر الثاني: أن من تأول مجتهداً من المسلمين طالباً للحق ولكن أخطئه التوفيق، فإنه أولى بالمغفرة لما قدمنا من الأدلة في ذلك.

الأمر الثالث: أن التنازع الذي يحصل بين أهل العلم والأئمة له أسباب وهي:

أولاً: عدم بلوغ المخالف النص.

ثانياً: قد يكون بلغه ولكن بطريقٍ ضعيف.

ثالثاً: قد يكون بلغه، ولكن قام عنده معارضٍ له أقوى منه فيما يرى.

رابعاً: الاختلاف في الفهم، فإن عالماً يفهم من النص فهماً، وآخر يفهم فهماً آخر.

ص/: وبهذا علم الفرق بين القول والقائل، وبين الفعل والفاعل، فليس كل قول أو فعل يكون فسقاً أو كفراً يحكم على قائله أو فاعله

بذلك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمـــه الله، ص١٦٥، ج٣ مـــن مجموع الفتاوى: وأصل ذلك أن المقالة التي هي كفر بالكتاب والســـنة والإجماع، يقال هي كفر قولاً يطلق كما دلت على ذلـــك الدلائـــل الشرعية، فإن الإيمان من الأحكام المتلقاة عن الله ورسوله ليس ذلك مما يحكم فيه الناس بظنونهم وأهوائهم، ولا يجب أن يحكم في كل شـــخص قال ذلك بأنه كافر حتى تثبت في حقه شروط التكفير وتنتفي موانعـــه مثل من قال إن الخمر أو الربا حلال لقرب عهده بالإسلام أو لنشـــوئه في بادية بعيدة أو سمع كلاماً أنكره ولم يعتقد أنه من القرآن ولا أنه مـــن أحاديث رسول الله ﷺ كما كان بعض السلف ينكر أشياء حتى يثبـــت عنده أن النبي ﷺ قالها، إلى أن قال: فإن هؤلاء لا يكفرون حتى تقـــوم عليهم الحجة بالرسالة كما قال الله ـ تعـالى ـ: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾ [(١)]. وقد عفا الله لهذه الأمة عن الخطـــأ والنسيان ". ا.هـــ.

ش/: وأقول: لا يزال المصنف – رحمه الله – يدلل على المنـــهج الحق بالنقل عن إمام من أئمة الحق والهدى، وهذا الذي نقلـــه أخـــيراً يتضمن ما يأتي:

---

(١) سورة النساء، آية ١٦٥.

أولاً: أن الإيمان من الأحكام المتلقاة عن الله وعن رسوله ﷺ، وعلى هذا فهو نصي لا عقلي، وما أجمل ما روي عن علي - رضي الله عنه -: " لو كان الدين بالرأي لكان باطن الخف أولى بالمسح من أعلاه " [(١)] وكما أن رابع أمراء المؤمنين الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - حذر بهذه المقولة من الاعتماد على الرأي وترك النصوص، فقد حذر أئمة الهدى كذلك من الرأي.

فمن ذلك ما رواه الدارمي في سننه عن الشعبي -رحمه الله- قال: (إياكم والمقايسة فوالذي نفسي بيده لئن أخذتم بالقياس لتحلن الحرام ولتحرمن الحلال، فما بلغكم عن من حفظ من أصحاب محمد ﷺ فخذوه - أو قال - فخذوا به).

ثانياً: أن من أنكر شيئاً من نصوص الشرع ظناً منه أنها ليست من نصوصه، أو قال بحل الخمر أو الربا جهلاً منه أو كان حديث عهدٍ بالإسلام وكذلك لو كانت مباحة فيما كان عليه من دين، فإنّ هؤلاء لا يكفرون لأنه لم تقم عليهم الحجة الرسالية التي من أجلها بعث الله النبيين

---

(١) صحيح أبي داود للألباني ــ رحمه الله تعالى ــ ك: الطهارة، ب: كيف المسح، رقم: ١٤٧، عن علي و لفظه: (لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه، و قد رأيت رسول الله ﷺ: يمسح على ظاهر خفيه)، الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج.

والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام - فقـال: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾[1]. وهـؤلاء لم تقـم عليهم الحجة.

والناظر في هذا الذي قرره شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمـه الله - ونقله عنه المصنف - رحمه الله- يلمسه واقعاً في حال كثيرٍ من المسلمين، فإن كثيراً من المسلمين ينشئون بين أسلافٍ ضالين وعلماء سوء منحرفين عن المنهج القويم والسبيل المستقيم، يتلقون منهم تعظيم القبور والشـرك بالله سبحانه وتعالى في أصناف متعددة، ويظنون أن ذلك من دين الله مـن الإسلام و لم يعرفوا غيره، نشئوا عليه، شاب عليه الكبير وشـب عليـه الصغير.

وصنفٌ آخر يسلمون على أيدي صوفية قبورية من فرق المتصوفـة الضالة يسلمون على أيديهم، ويلقنوهم أن الاستغاثة بغير الله والانحنـاء لأصحاب القبور من تعظيم الأولياء الذي يحبه الله، فيخرج من اليهودية أو النصرانية أو المجوسية أو غيرها من الديانات الضالة التي يزعم أنها ديـن وليست بدين، يخرج منها إلى هذا الإسلام المحرّف الذي حرفـه هـؤلاء الأئمة المضلون والدعاة الجاهلون. فتجد هذا منتسباً للإسلام ومتزيٍ بـزي

---

(١) سورة النساء، آية ١٦٥.

أهل الإسلام لكنه في عبادته من المشركين - اعني من حيث عمله -، فمثل هؤلاء وهؤلاء تكفيرهم جورٌ عليهم.

فلا بد من بيان الحق والهدى لهم، ولا بد من بيان دين الإسلام الصحيح انه هو إخلاص العبادة لله تعالى، هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله، ولا بد أن يبين لهم أن قريشاً الذين بعث إليهم النبي ﷺ كان هذا الصنيع من شركهم الذي من أجله قاتلهم رسول الله ﷺ واستحل دمائهم وأموالهم.

ص/: ولهذا عُلم أن المقالة أو الفعلة قد تكون كفراً أو فسقاً ولا يلزم من ذلك أن يكون القائم بها كافراً أو فاسقاً إما لانتفاء شرط التكفير أو التفسيق أو وجود مانع شرعي يمنع منه. ومن تبين له الحق فأصر على مخالفته تبعاً لاعتقاد كان يعتقده أو متبوع كان يعظمه أو دنيا كان يؤثرها فإنه يستحق ما تقتضيه تلك المخالفة من كفر أو فسوق.

فعلى المؤمن أن يبني معتقده وعمله على كتاب الله -تعالى -وسنة رسوله ﷺ فيجعلهما إماماً له يستضئ بنورهما، ويسير على منهاجهما فإن ذلك هو الصراط المستقيم الذي أمر الله تعالى به في قوله: ﴿ وَأَنَّ

هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(١).

وليحذر ما يسلكه بعض الناس من كونه يبني معتقده أو عملـــه على مذهب معين، فإذا رأى نصوص الكتاب والسنة على خلافه حاول صرف هذه النصوص إلى ما يوافق ذلك المذهب على وجوه متعســـفة، فيجعل الكتاب والسنة تابعين لا متبوعين وما سواهما إماماً لا تابعاً!

وهذه طريق من طرق أصحاب الهوى. لا أتباع الهدى وقـــد ذم الله هـــذه الطريـــق في قولـــه: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ (٢).

والناظر في مسالك الناس في هذا الباب يرى العجب العجـــاب، ويعرف شدة افتقاره إلى اللجوء إلى ربه في سؤال الهداية والثبات علـــى الحق والاستعاذة من الضلال والانحراف.

ومن سأل الله تعالى بصدق وافتقار إليه، عالماً بغـــنى ربـــه عنـــه وافتقاره هو إلى ربه فهو حرى أن يستجيب الله تعالى له سؤاله، يقـــول

---

(١) سورة الالأنعام، آية ١٥٣.

(٢) سورة المؤمنون، آية ٧١.

الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[1].

ش/: وأقول: يتلخص من كلام المصنف - رحمه الله - ما يأتي:

أولاً: انه لا يحكم على معينٍ بكفرٍ أو فسق حتى تجتمع الشروط في حقه وتنتفي الموانع.

ثانياً: التحذير من اتباع الهوى وأن ذلك مفسدٌ، كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾[2]. ومن بديع حكمة الله جلَّ وعلا أنه لم يكل الناس إلى عقولهم بل أرسل الرسل وأنزل الكتب، لبيان ما يرضاه الله سبحانه وتعالى والحض عليه، وبيان ما يبغضه الله ويأباه والتحذير منه.

ثالثاً: أن العصمة والسلامة في نصوص الكتاب والسنة وليس في غيرهما من أراء الرجال ومذاهبهم.

---

(١) سورة البقرة، آية ١٨٦.

(٢) سورة المؤمنون،آية ٧١.

رابعاً: التحذير من التعصب للرأي أو المذهب، ذلك التعصب الذي يجعل الإنسان يلوي النصوص لياً أو يضرب عنها صفحاً إذا كانت تخالف ما كان عليه من مذهب.

خامساً: الوصية باللجوء إلى الله سبحانه وتعالى، وأن العبد الناصح لنفسه هذه حاله يلجأ إلى الله سبحانه وتعالى ويدعوه ويخلص له الدعاء ويسأل الله أن يرزقه السداد في الأقوال والأعمال، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[1].

فهذا حضٌ من الله سبحانه وتعالى لعباده أن يلتجئوا إليه بأن يرزقهم السلامة، وهذا عام في الدين والدنيا والآخرة.

(١) سورة البقرة، آية ١٨٦.

خاتمة المؤلف

ص/: فنسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن رأى الحق حقاً واتبعه، ورأى الباطل باطلاً واجتنبه، وأن يجعلنا هداة مهتدين وصلحاء مصلحين، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ويهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب.

والحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبي الرحمة وهادي الأمة إلى صراط العزيز الحميد بإذن ربهم وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

تم في اليوم الخامس عشر من شوال سنة ١٤٠٤ هـ بقلم مؤلفه الفقير إلى الله / محمد الصالح العثيمين.

خاتمة الشارح

ش/: وأقول: ختم المصنف - رحمه الله - هذا المؤلف المبارك الذي أبان فيه منهج الحق ومسلك أهل السنة في صفات ربنا سبحانه وتعالى، كما أبان منهجهم في التعامل مع المخالفين وأنه ينبني على الكتاب والسنة، وأن السلف - رحمة الله عليهم - أبعد الناس عن الحكم بالكفر أو الفسق أو المعصية حتى تقوم الحجة الرسالية على ذلك المعين.

ثم بعد ذلك ختمه بحمد الله والثناء عليه والصلاة على النبي ﷺ، ونحن نقول كما قال الشيخ - رحمه الله -: الحمد لله الذي أتم علينا نعمته وأعاننا على هذا الشرح المختصر، وهو في الحقيقة تلخيصٌ لما فهمناه من عبارات المصنف - رحمه الله وأحسن مثواه ورفع درجته في عليين- وكان الفراغ من هذا الشرح بعد العشاء من يوم الجمعة الموافق للعشرين من جمادى الأولى من عام اثنين وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية وكان ذلك بالمدينة النبوية.

والحمد لله أولاً وأخراً وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

